



البَرْ النَّاسُلِّي للإناث ختان البنات

onverted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الطبعكة الأولجك 1819 هـ - 1998م

بميستع جشقوق العلتيع محسفوظة

# دارالشروق... استسهامم المستلم عام ۱۹۶۸

القاهرة : ۸ شاوح سببویه المصری-رابعة العدویة-مدینة نصر ص.ب : ۳۳ البانوراما-تلیفون : ۴۰۲۳۳۹ - طاکس : ۲۰۷۵۲۷ (۲۰) بیروت : ص.ب . ۲۰۱۵-ماتف : ۸۱۷۲۱۳-۳۱۵۸۳۳ ماکس : ۸۱۷۷۲۰ (۲۰)

# د.محتد فسياض

# البَائرالناسك للإناث ختان البنات



#### مقيدمية

رأيي الذي أعلنه منذ البداية وبكل الوضوح:

إنني ضد ختان الإناث.

وذلك رأى رسخ في قرارة نفسى منذ أول يوم مارست فيه مهنة الطب، وتمسكت به طوال حياتي المهنية، وسأظل أدعو إليه بفية عمري.

إن ختان الأننى فى رأيى عملة همجية وحشية ، تجرى وفائعها فى ظروف غير صحية بالمرة ، وعلى أيدى مجموعة من الجهلة ، وهى عملية مدمرة للأنئى صحيا وبدنيا ونفسيا ، ولها آثار ومضاعفات فادحة سواء على المدى القصير أو البعيد . وهى عملية تنعارض مع شعائر الدين الإسلامى ، وتمثل جريمة كاملة قانونيا بكل أبعاد الجريمة من عمد وسبق إصرار .

杂 张 张

ولو كان هذا رأيى وحدى لما كان هناك داع لهذا الكتاب. ولكن القضية تشعبت وترامت أطرافها، فلم يعد في مصر فقط الكثير ممن يرفضون هذه العملية ويعلنون إدانتهم لها، وإنما أصبح العالم بأسره - شعوبا وأفرادا ومنظمات - يقف ضدها بكل قوة، ويطالب بمحوها من الوجود. وحتى تأخذ هذه العملية الوحشية حقها، فإن العالم لم يعد يسميها «الختان»، وإنما «البئر التناسلي للأنثى». وهذا الواقع هو ما حاولت تصويره عبر هذه الصفحات.

وقد بدأت علاقتى مع الختان منذ أول يوم لى كطبيب صغير فى قسم الاستقبال بمسنشفى القصر العينى. فى ذلك اليوم الحزين، والذى كان مفروضا أن يكون يوم فرح عندى، فوجئت برجل وزوجته وهما يدخلان إلى، وبين أيديهما ابنتهما البالغة من العمر سبع سنوات، ونزيف الدم يتدفق منها بعد إجراء عملية الختان لها، حاولت بكل الجهد أن أقدم الإسعافات العاجلة إلى البنت الصغيرة، ولكن الوقت كان متأخراً. . فبعد ربع الساعة أسلمت هذه الزهرة المشرقة روحها البريئة إلى ربها، وفارقت الدنيا التى ظلمها فيها أبواها فقدماها قربانا طاهرا على مذبح الجهل العقيم، وأمام الجسد المسجى عاهدت الله أن أناصب ختان الإناث العداء طيلة العمر.

وبعد ذلك بأسبوعين تكرر المشهد مرة ثانية، مع طفلة في الثامنة من عمرها ودمها ينساب نازفا. في هذه المرة كان في الوقت متسع، ولكن فصيلة دمها (B) لم تكن متوافرة. ولكوني أحمل فصيلة الدم نفسها فلم أتردد ثانية واحدة في تزويدها بالدم المطلوب، لتعود الحياة فتدب في أوصالها وتتفتح زهرتها التي كانت على وشك الذبول. وقد بقيت هذه البنت على اتصال بي كطبيب ثم قمت بتوليدها مرتين، وما زالت تصر على تقديم هدية لي في يوم ميلادي كل عام.

#### \* \* \*

وعلى امتداد قرابة نصف قرن من الزمان، فإنه ما من سيدة جاءت تعودنى، وسألتها عن هذه العملية إلا وكان الانطباع واحدا لديهن جميعا. إنهن يسمين يوم إجراء الختان لهن بأنه اليوم «اللي ما يتسمى»، أو «اليوم الأسود» في الحياة، وكلهن يرون أنه من الأفضل أن يحى من الذاكرة.

#### 张 张 姚

وأجدنى متفقا تماما مع القول بأن الختان هو «لعنه» من أربع لعنات كانت تمثل العنف المستخدم ضد المرأة. اللعنة الأولى هي وأد البنات وهي عادة جاهلية قديمة واللعنة الثانية هي ربط القدمين، الذي انتهى في الصين في عام ١٩٤٩ بدخول الشيوعية، واللعنة الثالثة هي حزام العفة الذي شاع في العصور الوسطى في أوروبا، حيث كان الرجال يجبرون زوجاتهم على ارتدائه في أثناء ذهابهم للحرب. وقد انتهت هذه اللعنات الئلاث، لكن المرأة ما زالت تعاني من لعنة الختان.

وعندما شرعت في إعداد مادة هذا الكتاب تبين لي أن الدعوة إلى القضاء على ختان الإناث ليست جديدة، وإنما هي مستمرة منذ الثلاثينيات من هذا القرن، عندما أعلنت جريدة المقطم في سنة ١٩٣٦ حملتها وحربها على الختان، مؤكدة أنه ليس في الختان خبر يرجع إليه ولا سنة تتبع، ثم شاركتها هذه الحرب بقية صحف ومجلات مصر. وعبثا حاول أساتذة الطب في مصر عبر تلك السنوات اسنئصال شأفة هذه العادة البربرية، فاقترح أستاذنا الدكتور إبراهيم مجدى استصدار تشريع خاص لمنع ختان البنات، إلا أن مساعيه باءت بالفشل. ولعلى في هذا المجال أذكر أيضا إسهامات أطباء كثيرين كتبوا في عام ١٩٧٢ مؤكدين أن الختان خطر وخدعة وح مان.

ومع أن منظمات وهيئات وأطباء ومشايخ وقسسا مازالوا يواصلون هذه الحرب، فما زالت ـ للأسف الشديد ـ عمليات الختان تجرى في مصر ويقع ضحيتها قرابة ٩٠٪ من الإناث في ربوع البلاد كلها. وترتعش يداى وأنا أكتب هذا الرقم ٣٦٠٠. . إنه عدد عمليات ختان الأنثى التي تتم يوميا.

\* \* \*

ولقد حاولت مخلصا في هذا الكتاب أن أقدم رؤية شاملة لموضوع «البتر التناسلي للأنثي». لعلها تجيب عن الأسئلة الحرجة التي ما زالت مطروحة حتى الآن، وتدحض الافتراءات التي لم ييأس البعض من إبداتها . أخذت بعضا من كل شيء : من التاريخ، من التشريح، من القانون، من الدين، من الثقافة . نقبت في كل ما تيسر لي من بحوث ودراسات وقرارات في كل آنحاء العالم باحثا عن آراء ومواقف الدول والمنظمات العالمية التي نسبت تماما كلمة الختان ولم تعد تستعمل سوى «البتر التناسلي».

بل إننى ، بكل الديمقراطية ، أفسحت جانبا من هذا الكتاب لأولئك الذين يدافعون عن الختان ، حتى لا تكون الصورة ناقصة في أي من ملامحها .

\* \* \*

طبيبًا أقول: إن للطب أخلاقا، أبرزها عدم إجراء عملية طبية إلا إذا كانت لها فائدة صحية وخالية من الضرر الجسماني، وبالمنطق نفسه فإنه إذا ثبت أن أية عملية

ليست لها فائدة طبية أو تؤدى إلى مخاطر، فإن من الأخلاقيات عدم إجرائها، بل وهذا ما أصر عليه \_ تجريم الطبيب الذى يجريها. ورأيى أن الطبيب الذى يوافق على إجراء عملية ختان لأنثى يتساوى مع الذى يوافق على عمليات الإجهاض المفتعل، وأن تجريم الثانى يستوجب تجريم الأول.

هذه كلمتى ـ وخلاصة رأيى ـ فى ختام تقديمى لهذا الكتاب الذى أرجو أن أسهم به فى إلقاء ضوء كاشف على كل جوانب قضية ، أرى فى استمرارها على أرض مصر عارا على جبين كل منا ، وإهدارا لكرامة أنثى بريئة ، هى فى النهاية أمٌّ ، أو أخت ، أو ابنة لكل مصرى .

\* \* \*

وتبقى فى الختام كلمة أخيرة أوجهها إلى إحدى القلاع الشامخة فى بلادنا، وهى قلعة القضاء المصرى. ففى اللحظات التى كنت أضع فيها اللمسات الأخيرة لهذا الكتاب، ابتهج قلبى مع كثير من قلوب المصريين، وانبعث السرور فى نفسى مع كثير من النفوس، عندما انطلقت كلمة الحق من فوق منصة القضاء المصرى لتكون القول الفصل فى نفى أية صلة بين الختان وبين الدين أو الصحة، وفى تأكيد كونه جريمة (التفاصيل فى الفصل السادس). لقد كنا على يقين من أن رأينا هو الحق، وأن الله ـوهو الحق المطلق لن يخذلنا ونحن ندافع عن إبداعه فى الخلق والتكوين، لكن القضاء المصرى أراد أن يؤكد لكل الأطراف أنه مهما اختلفت الآراء، ومهما علت الأصوات بالويل والوعيد، فستظل فى مصر قوة ذات مهابة قادرة على أن تضع الحق فى نصابه، ولو كره الكارهون.

وختاما فإننى \_ وقد صدمتنى بشاعة الختان منذ اليوم الأول لحياتى المهنية \_ قد عاهدت الله، وقطعت على نفسى عهدا، بأن أبقى فى طليعة المطالبين بمحو هذا العار من جبين مصر الغالية طيلة حياتى، وألا أتوانى عن قول كلمة الحق فيه، فالله \_ فوق كل شىء \_ شاهد وبصير.

والله من وراء القصد،

د. محمد فياض

القاهرة ، يناير ١٩٩٨

#### الختان في اللغة

بمراجعة قواميس اللغة العربية نجد ما يلي:

الختان والختانة: الاسم من الختن، وهو قطع القلفة من الذكر والنواة من الأنثى، كما يطلق الختان على موضع القطع. ويقال غلام مختون وجارية مختونة، وغلام وجارية ختين. كما يطلق عليه الخفض. يقال ختن الغلام والجارية يختينهما ويختنهما ختنا.

والإعذار: وخص بعضهم الختن بالذكر والخفض بالأنثى، والإعذار مشترك بينهما.

والعذرة: الختان. وهي كذلك الجلدة يقطعها الخاتن، وعذر الغلام والجارية يعذرهما عذرا، وأعذرهما ختنهما.

والعذار والإعذار والعذيرة: طعام الختان.



# الفصل الأول الختان: مدى انتشاره في العالم

#### الموقف الراهن:

لم نكن هناك \_ إلى وقت قريب \_ وثائق تبين مدى انتشار الختان في العالم. وتعكف حاليا عدة وكالات ومنظمات تابعة للأم المتحدة على إعداد مجموعة دقيقة من الإحصاءات حول الموضوع. وتعتبر السودان نموذجا فريدا على توافر إحصاءات مفصلة ودقيقة من خلال المسح المفصل للسكان والصحة فيها.

كما أن التقديرات المتاحة حاليا تقول إن ما بين ١٠٠ إلى ١١٤ مليون فتاة وامرأة في كل أنحاء العالم قد أجريت لهن عملية الختان. وأعلى التقديرات تشير إلى أفريقيا إذ تمت فيها العملية لما بين ٨٥ إلى ١٠٠ مليون. وبالنظر إلى النمو السكاني الراهن في أفريقيا، فإن ٢ مليون فتاة يتعرضن سنويا لخطر الختان، وهو ما يعني ١٠٠٠ عملية كل يوم. ويعتمد انتشار الختان على عوامل مختلفة مثل الوضع الاقتصادي والاجتماعي للمرأة في مجتمع ما، ومستوى تعليمها، ومدى إدراكها للقضايا المتعلقة بالنوع والجنس.

ويتم إجراء الختان في ٢٥ دولة أفريقية ، بالإضافة إلى مصر واليمن وعمان . ولا يمارس الختان في الدول العربية الأخرى الناطقة بالعربية في شمال أفريقيا وفي جنوبها . وقد أدت الحروب الأهلية وتدفق اللاجئين من القرن الأفريقي إلى أن أصبح الختان يمارس في معسكرات اللاجتين . ولذا فمن المهم التأكيد على حقيقة أن الختان

تمارسه جماعات عرقية معينة. ويمارس الختان في مناطق قليلة من أمريكا اللاتينية وفي آسيا عند طائفة دينية صغيرة في الهند (البهرة). وقد وردت تقارير عن وجود بعض الاحتفالات الخاصة بالختان في باكستان بين بعض المسلمين، إلا أن النوع الذي يمارس غير معروف.

المهم أن أفريقيا هي القارة التي يمارس فيها أكبر قدر من الختان. لكن التقارير الحديثة تفيد بحدوث بعض التقدم. . في غانا مثلا ، التي كان انتشار الختان فيها يصل إلى ٩٩٪، حدث تناقص وصلت نسبته إلى ٥٠٪ فيما بين عامي ١٩٨٠ و ١٩٩٢ . لكن الصورة في دول أخرى غير واضحة. وعلى الرغم من أن الختان ليس من شعائر الإسلام، فإن التقارير تفيد انتشار أنواعه القاسية والشديدة في الدول الإسلامية مثل مصر، وشعمال السودان ووسطه، وأريتريا، وأجزاء من أثيوبيا، وكينيا، والصومال، وجيبوتي، ومالى. وترتفع درجة الانتشار بشكل ملحوظ في دول مثل الصومال حيث تم إجراء الختان لحوالي ٩٨٪ من النساء والبنات، وفي السودان تصل النسبة إلى ٩٨٪.

ونتيجة للهجرات التى شهدتها القارة الأفريقية عبر العقود الأخيرة، واضطرار الملايين إلى الفرار من بلادهم، فقد انتقلت ممارسة الختان إلى دول أفريقية أخرى. كذلك فإن الختان تتم ممارسته بواسطة المهاجرين الأفارقة في أمريكا الشمالية والجنوبية وأستراليا وأوروبا. وهكذا أصبح الختان قضية دولية وبات محتما على المجتمعات الغربية أن تتعامل مع الختان في داخل حدودها نفسها.

وهذه مجموعة من الجداول والخرائط التي يمكن أن تقدم صورة لمدى انتشار البتر التناسلي أو (ختان الإناث) في العالم.

جدول بالأرقام التقديرية لوفيات الأمهات وأمية الإناث (بالملايين) ومعدلات أمية البالغين من حيث النسبة المثوية للإناث مقارنة بالذكور

معدلات أمية البالغين النسبة المئوية للإناث مقارنة بالذكور (٢)	أمية الإناث ( سن ١٥ فما فوق) <sup>(١)</sup>	وفياتالأمهات	المدولسة
٣٩	غير متوافرة	11	الصومال
غير متوافرة	١ر٠	غير متوافرة	چيبوتي
40	۱۰۰	٤٥٠	سيراليون
٤٨	٩ر٩	٥٦٠	أثيوبيا
غير متوافرة	غير متوافرة	غير متوافرة	أريتريا
۸۲	۷ر ٤	٥٥٠	السودان
٥٩	۰ر۲	7	مالي
غير متوافرة	۲ر۱	1.0.	ڄامبيا
77	۲٫۳	۸۱۰	بوركينا فاسو
٤٣	ارا	97.	تشاد ,
۳۷	۲ر۱	۸۰۰	غينيا
٥٤	۷۰۰۷	۲۷۰	مصر
٧٤	۱ر۲	۱۷۰	كينيا
٥٨	<b>آر</b> ،	غير متوافرة	ليبرىا
٤٥	<b>٤ر ٠</b>	غير متوافرة	موريتانيا
70	٥ره١	۸۰۰	نيچيريا
٦,	۲٫۲	غير متوافرة	ساحل العاج
٤٨	۲ر۰	٧٠٠	غينيا بيساو
٥٠	۱٫۰	۱٦٠	بنين
٧٣	۱ر۲	1	غانا
٥٥	∨ر ۰	٤٢،	تو جو
٤٣	۱۰ر۲	7**	النيجر
٤٨	<b>ارا</b>	7	السنغال
٦٥	٧ڔ١	٤٣٠	الكاميرون
٤٨	ەر،	011	أفربتيا الوسطى
٥٠	٤ر٣	78.	بنزانيا
০٦	٥ر٢	٣.,	أوغندا

<sup>(</sup>١) المصدر: تقرير التنمية السرية - ١٩٩٥.

<sup>(</sup>٢) المصدر: تقرير حالة أطفال العالم ـ ١٩٩٥.

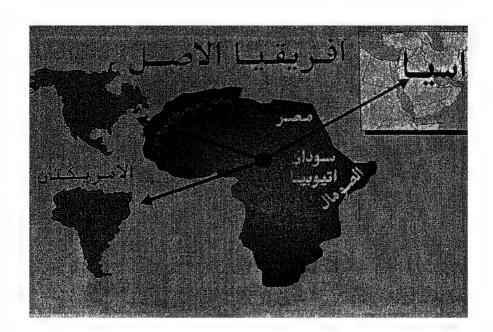
جدول (١) بالعدد التقديري للإناث في الدول الأفريقية والنسبة المنوية للسيدات والبنات التي أجريت لهن عملية الختان

النسبة المئوية للسيدات والبنات المختتنات	عدد الإناث (بالمليون)	الدولسة
٩٨	٩ر٤	الصومال
٩٨	٣رّ٠	چيبوتي
٩٠	۴٫۲	سيرالبون
٨٥	۲۷۲	أثيوبيا
۸٠	٥٧ر١	أريتريا
۸۹	۱ر۱۶	السودان
۸۰	ەەر ٤	مالى
٧٩	ەەر،	چامبيا
٧٠	ه،ره	بوركينا فاسو
7.	٥٢ر٣	تشاد
٦٠	۲ر۳	غينيا
(1)00	٠ر٢٦	مصر کینیا
٥٠	٥ر١٣	کینیا
٥٠	٥٤ر١	ليبريا
٥٠	١١١٥	موريتانيا
٤٠	٥٨ر٧٥	نيچيريا
٤٠	٥٩ر٦	ساحل العاج
٤٠	ەەر،	غينيا بيساو
<b>!</b>	٥٦ر٢	بنین
٣٠ ا	٥٤ر٨	غانا
٣٠	٥١ر٢	توجو ال
γ.	٤٦٤	النيچر السنغال
۲.	١ر}	السنعان الكاميرون
\	٥٥ر٦	الكاميرون أفريقيا الوسطى
\ \ \ \ \ \ \ \ \ \ \ \ \ \ \ \ \ \ \	٥٥ر ١	افریقیا الوسطی تنزانیا
٥ ،	۹ر۶۱ ۹ر۹	تبرانيا أوغندا

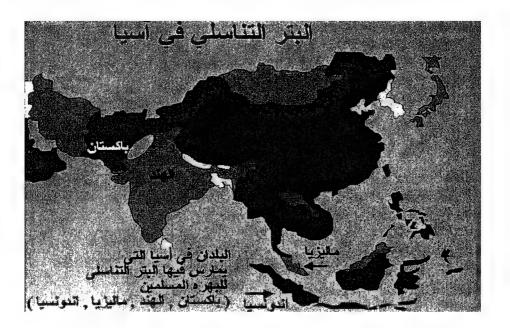
<sup>(</sup>١) المصدر: كتاب "Cutting 'The Rose " بقلم Efun Dorkenoo من جماعه حقوق الأقلية ـ لندن ١٩٩٤ .

<sup>(</sup>٢) يقول الكتاب المذكور إن هناك تقديرات أخرى لباحثين آخرين تصل بهذه النسبه إلى ٨٠٪.

# البترالتناسلي في أفريقيا والشرق الأوسط



# البترالتناسلي في آسيا



#### verted by Till Combine - (no stamps are applied by registered version)

### البتر التناسلي في أمريكا اللاتينية





# الفصل الثانى الختان: تاريخه .. وهل أصله فرعوني

ليس هناك حتى الآن تحديد دقيق، يمكن الاطمئنان إليه بشكل موثوق، للأصل الذى انحدرت منه عملية ختان الأنثى. لكن ذلك يجب ألا يحول بيننا وبين الإبحار عبر صفحات المراجع التاريخية القديمة التى ورد فيها ذكر الختان.

فى هذا الاتجاه يقرر الدكتور حامد رشوان (١) \_ المستشار بالمكتب الإقليمى لمنظمة الصحة العالمية لإقليم الشرق الأوسط \_ أنه «تتم ممارسة ختان الأنثى بأسلوب أو بآخر فى كل قارات العالم \_ قديمها وجديدها \_ ومع ذلك لا يوجد أى دليل تاريخى ثابت يوضح فى أى قارة أجريت أول عملية ختان للأنثى أو من أى نوع كانت أول عملية ».

وفى الاتجاه نفسه نقلب صفحات المذكرات التي كتبها الرحالة الألماني «تيبهر»، وهو الوحيد الذي بقى على قيد الحياة من الحملة الأوروبية الأولى على بلاد العرب، فنجده يقول عن ختان الأنثى:

« لقد قيل الكثير بشأن أصل هذه العادة التي يبدو لأول وهلة أنها شيء سخيف جدا. لقد تم تطبيق ختان الأنثى من أجل النظافة ولجعل عملية الوضوء أكثر سهولة، ولم يسن هذا بأى قانون، فإجراء الختان ليس واجبا دينيا».

<sup>(</sup>١) من ورقسة عمل بعنسوان "حتسان الإنات \_ الجانب الأخلاقي " قدمها في المؤتمسر الدولسي الأول عن الضوابط والآخلاقيات في بحوث التكاثر البتسرى في العالم الإسسلامي . الأزهسر \_ القساهرة ١٠ \_ ١٢ / ١٢ / ١٩٩١ .

وفى محاولة للبحث عن أصول الختان تتجه بعض الآراء ـ التى أتفق معها ـ إلى فحص نظرية «الجنس المزدوج Bisexuality»، حيث تعتقد بعض الثقافات الأفريقية القديمة آن هناك بعضا من الأنوثة لدى الذكر، وبعضا من الذكورة لدى الأنثى. ولذا فيتوجب إزالة الجزء الأنثوى الموجود لدى الرجل فى قمة عضوه التناسلي لكى يصبح رجلا كاملا؛ وكذلك إزالة الجزء الذكرى الموجود لدى الأنثى فى قمة عضوها التناسلي لتصبح امرأة «حقيقية» قادرة على ممارسة دورها فى الحياة الجنسية. وتمضى هذه الثقافات الأفريقية فى اعتقادها فتقول بوجود ملاك مع كل طفل يولد ـ ذكرا أو أنشى ـ فإذا لم يختن اختفى الملك وحل محله الشيطان. ولعل ذلك ما يفسر لنا الاحتفال ـ حتى الآن ـ بالختان بالغناء والرقص، فهى طقوس تعبر عن الفرحة بخروج الشيطان من جسم الطفل. وفي بعض المراجع أن المرأة الأفريقية القديمة التي لم تختن كانت تعتبر «قذرة» لا يؤكل من يدها طعام تقدمه، ولا يتزوجها أحد باعتبارها وكرا للشيطان.

ومن واقع قراءاتى العديدة أجد أن كل الأصابع تتجه فى أصل الختان إلى منطقة وسط أفريقيا، قبل ظهور الأديان السماوية بآلاف السنين، حيث كانت التربة مهيأة لاستقبال مثل هذه المعتقدات متمثلة فى القبائل البدائية التى كانت تعيش فيها، ومن هناك انتشر الختان ليصل إلى الدول المجاورة لمنطقة المنشأة فيمتد إلى دول مثل الصومال وأثيوبيا (الحبشة)، وبالتالى إلى مصر، عن طريق الهجرة، وأجدنى هنا متفقا مع ما ذكره مرجع علمى داغركى من أن «الحقيقة أن الختان شائع فى معظم الدول الأفريقية على امتداد نهر النيل وحوله».

#### هل أصل الختان فرعوني؟

هناك أكذوبة تتردد كثيرا، وللأسف في أوساط علمية عديدة، تفترى على قدماء المصريين وتربط بين الفراعنة وبين ختان الأنثى. وأؤكد هنا كما سبق وأن أكدت في اثنين من مؤلفاتي \_ (١) أن ختان الأنثى لم يكن معروفا لدى الفراعنة المصريين، الذين

to a set to an are also be a set to set the set of the

<sup>(</sup>١) المؤلفان هما « المرأة المصرية القديمة » و «فن الولادة في مصر القديمة».



أبت عليهم حضارتهم وتحضرهم أن يهينوا المرأة ويخدشوا كرامتها، وهم الذين كرموها ليس فقط كملكة حاكمة بل وأيضا كإلهة .

وسويا نستعرض بعضا من الأمثلة على ما قيل في هذا الصدد:

\*\* يقول كتاب "إرشادات حول منع البتر التناسلي للنساء" والصادر عن وزارة الخارجية الداغركية:

" يمكن اقتفاء الأثر التاريخي للختان إلى ما هو أكثر من ٢٠٠٠ سنة، إلى عصور الفينيقيين والمصريين القدماء، وهو ما يسبق ظهور الإسلام والمسيحية. لكنه على أية حال ليس من المكن التأكيد على المصدر الذي نبع منه الختان. وحتى اليوم فإن أصوله لم تكن قد فحصت بدقة أو شرحت بطريقة كافية. ومن الصعب أن نقرر ما إذا كان هذا التقليد أصلا عادة فرعونية انتشرت إلى أفريقيا أو أنه طقس أفريقي جنسي تبنته الثقافة المصرية القديمة».

\*\* وفى منتصف القرن الخامس قبل الميلاد زار مصر المؤرخ الشهير «هيرودوت»، وبعد ذلك زارها الجغرافي اليوناني «سترابو»، وذكرا أن مصر القديمة كانت تمارس عادة ختان الأنثى.

\*\* وفى العهد القديم رواية تثبت معرفة النساء منذ القدم بأن عملية الولادة تكون أسهل بكثير عندما تكون المرأة غير مختنة. جرت هذه الرواية فى وقت ولادة سيدنا موسى فى عام • ١٣٥ قبل الميلاد، عندما أمر فرعون القابلات (الدايات) الملاتى يساعدن فى ولادة أطفال العبرانيين أن يقتلوا كل الأطفال الذكور بمجرد ولادتهم. وعندما فشلت الدايات فى تنفيذ الأوامر استدعاهن الفرعون، وكان عليهن أن يدافعن عن أنفسهن، قالت القابلات لفرعون: «لأن السيدات العبرانيات لسن مثل المصريات ولكنهن مثل الحيوانات فإنهن يلدن قبل أن تصل الدايات». (سفر الخروج السيرات).

إذاء هذه الأمثلة، أقولها بصوت عال، وبشكل قاطع، ومن خلال دراسات وبحوث في مثات الكتب والمراجع عبر عشرات السنين، أننى لم أجد إشارة واحدة إلى ختان الإناث في أية أدبيات فرعونية، علما بأن الفراعنة لم يتركوا في حياتهم شاردة ولا واردة إلا سجلوها بكل تفصيلاتها، إما على أوراق البردي أو جدران

المعابد أو حوائط المقابر. وإذا كانت البرديات الطبية تحتوى على كل ما يتعلق بجسد المرأة من أعراض أو أمراض أو علاجات، فإن السؤال المنطقى الذى يثور هنا هو: هل هناك سبب واحد يمنع الفراعنة من الإشارة إلى ختان الأنثى أو حتى التلميح إليها فوق إحدى الجداريات أو الحوائط، هذا إن كانوا يمارسونها!!

لكن الأمانة العلمية تقتضى منى أن أقرر هنا أن المصريين القدماء قد مارسوا ختان الذكور. فهناك تمثال محفوظ بالمتحف المصرى بالقاهرة لكاهن يدعى «انيساخا» من الأسرة الخامسة، أى منذ ٢٧٠٠ سنة قبل الميلاد، يصوره عارى الجسد مختونا. وفي مقبرة تنتسب لأحد الأثرياء في عصر «تيتى» \_ أول ملوك الأسرة السادسة \_ أى منذ ٢٦٠ سنة قبل الميلاد، توجد لوحة بارزة تصور بالتفصيل عملية الختان لاثنين من الشبان. وفي هذه اللوحة نرى الشابين، أحدهما يداه مرفوعتان يقبضهما شخص آخر، وثانيهما غير رافع يديه ولا يمسكهما أحد، واثنين من الأطباء يجريان لهما عمليتين جراحيتين في عضوى التناسل لديهما، مستخدمين سكاكين حجرية. كذلك يوجد رسم آخر على لوحة ترجع إلى الأسرة التاسعة عشرة، أى سنة ١٣٠٠ قبل الميلاد، يصور صبيين بين السادسة والثامنة من العمر \_ يبدو أنهما من أولاد رمسيس الثاني \_ وأمامهما طبيب يجرى لهما عملية الختان.

ولابدلى هنا أن أقول إزاء هذا الربط الزائف بين الفراعنة وبين ختان الأنثى إن مصر القديمة ربما تكون قد عرفت ختان الأنثى ومارسته فترة من الزمن، هي على وجه اليقين فترة الانحطاط التي وقعت فيها مصر تحت احتلال الأحباش الوافدين من أفريقيا، فكان طبيعيا أن ينتقل إليها في عهدهم بعض من عاداتهم وممارساتهم.

ويهمنى هنا أن أنقل ما كتبه الأستاذ صلاح منتصر فى عاموده اليومى « مجرد رأى» بجريدة الأهرام بتاريخ ٢٤/ ١٩٩٤ تحت عنوان «ليست فرعونية»، إذ قال: « أبدأ أو لا بتصحيح تصور شائع عن أصل عملية الختان وأنها فرعونية الأصل، ولكن الدكتور عبد المنعم عبد الحليم سيد أستاذ الآثار المصرية القديمة بآداب الإسكندرية ينفى ذلك ويقول: الحقيقة أن مصر الفرعونية لم تعرف هذه العادة بدليل أنه لم ترد أية رسوم لهذه العملية على آثارها رغم كثرة رسوم عملية ختان الذكور، كما لم ترد أية إشارة على البرديات المصرية القديمة لعلاج الجروح الناجمة عن ختان

الإناث برغم كثرة الوصفات الطبية على هذه البرديات لعلاج إصابات والتهابات الأعضاء الأنثوية للمرأة. هذا فضلا عن أن فحص مومياوات النساء لم يسفر عن وجود أية آثار لهذه العملية. وعما يؤكد عدم ممارسة المصريين في العصر الفرعوني لعادة ختان الإناث أن المؤرخ اليوناني هيرودوت الذي زار مصر في أواخر هذا العصر (القرن الخامس قبل الميلاد) والذي ذكر صراحة في ثلاثة مواضع من كتابه أن المصريين كانوا يقومون بعمليات ختان للذكور، إلا أنه لم يذكر أي شيء عن ختان الإناث رغم ما عرف عن هيرودوت من الولع الشديد بتتبع العادات المصرية المخالفة للعادات ما عرف عن هيرودوت من الولع الشديد بتتبع العادات المصرية المخالفة للعادات اليونانية. والحقيقة أن عادة ختان الإناث أفريقية الأصل، وإذا تتبعناها في الوقت الحاضر نجد أنها تنتشر على نطاق واسع في المناطق الممتدة إلى الجنوب من مصر خاصة في السودان والصومال، حيث تمارس بطريقة أكثر قسوة من ممارساتها في مصر، فلا تقتصر على قطع العضو البارز (البظر) كما هيئ الحال في مصر، بل تمتد مصر، فلا تقتصر على قطع العضو البارز (البظر) كما هيئ الحال في مصر، بل تمتد والأمر الغريب أن هذه العلمية القاسية تسمى في السودان «الختان الفرعوني»؛ وفي الأغلب فإن هذه العلمية الخاطئة هي المصدر الذي جاءت منه نسبة هذه العادة ظلما للفراعنة».

ويهمنى في هذا المقام أيضا أن أنقل ما كتبه الأستاذ ياسر أيوب في جريدة الدستور بتاريخ ١٣/ ٣/ ١٩٩٦ ، حول هذه النقاط، إذ قال :

لا وهناك دراسات كثيرة ترى أن الختان ليس اختراعا فرعونيا بل هو عادة أفريقية قديمة جدا انتشرت بين مختلف قبائل شرق ووسط القارة، ثم استطاعت التسلل يوما وراء آخر إلى مصر . . وأصحاب هذا الرأى يستشهدون على صحته بأكثر من دليل . . فهم يرون مثلا أن أشرس عمليات الختان وأعنفها على الإطلاق هي التي لا تزال تجرى حتى اليوم في أثيوبيا وكينيا وجنوب السودان . . وكلما اتجهنا شمالا كلما قل العنف وتضاءلت الشراسة . . هم أيضا يقولون إنه ليس من المنطق أن يكون الختان على عادة فرعونية ثم ير ثها السودانيون دونا عن المصريين أنفسهم . بل إن الختان على الرغم من انتشاره في مصر إلا أنه ليس متأصلا تحت جلد الناس وفي وعيهم بنفس درجة تأصله في نفوس الأفارقة إلى حد أن تفشل بعض الحملات التبشيرية لأنها أدانت الختان ولم تسمح بممارسته . . إلى حد أن الرئيس الكيني الراحل جومو كينياتا

اتخذ من الدفاع عن الختان آحد شعاراته القومية التى أحبها وآمن بها الناس فى كينيا . و لا يزال بعض المراقبين يتذكرون كيف قررت الجبهة الشعبية لتحرير أريتريا منع ختان البنات فقامت فتيات كثيرات بالهروب من بيوتهن والالتحاق بجيش الجبهة مفضلات الحرب على التعرض للختان . وهناك دليل إضافي على أن الختان عادة أفريقية أصلا تتعلق باعتقاد شعبى وتاريخى قديم هو باختصار أنه كلما زادت حرارة الجو زادات معها الرغبة الجنسية . . أى أن الفتاة أو المرأة فى المناطق الحارة تصبح أكثر احتياجا للجنس وتلهفا عليه وبحثا عنه ، ولهذا ينتشر الختان فى مناطق الجنوب ولا تكاد تعرفه مناطق الشمال البارد . . وهو الأمر الذى أكده الدكتور مصطفى كامل تكاد تعرفه مناطق الشمال البارد . . وهو الأمر الذى أكده الدكتور مصطفى كامل بدوى فى بحثه العمين عن الختان حين أكد أن أوروبا لم تعرف الختان طوال تاريخها باستثناء فترات قليلة فى القرن الثامن عشر حين تخيل الأطباء هناك وقتها أن إزالة جزء ضيئل من البظر يمكن أن يفيد فى علاج بعض الاضطرابات النفسية وبعض المشاكل المتعلقة بممارسة الجنس » .



## الفصل الثالث الختان: كل ما يجب أن تعرفه عن العملية

#### ما هو الختان؟..

منذ عام ١٩٩١ أصبح العالم كله يتعامل مع ما سمى «ختان الإناث» تحت اسمه الجديد وهو «البتر التناسلي للأنثى». وكان وراء ذلك منطق عقلاني يهدف إلى التفرقة بين ختان الأنثى وبين ختان الذكر الذي يتم فيه قطع قشرة رقيقة خارجية من الجلد محيطة بالقضيب. أما ختان الأنثى ففي معظم حالاته تقريبا يتم قطع واستئصال أعضاء جنسية وليس مجرد قشرة خارجية للبظر. وتتم عملية ختان الأنثى وسط طقوس احتفالية بهذه المناسبة، وعادة ما يجرى للبنت قبل بلوغها سن الحلم، فيما بين الرابعة والعاشرة من عمرها. . وبمعنى آخر فإن البنت تتعرض لهذه المحنة وهي على أعتاب المرحلة التي ستلعب فيها دورها كامرأة . وفي بعض المجتمعات تتم هذه العملية للأطفال في الأسبوع الأول من ولادتهم، وفي البعض الآخر في أثناء الحمل أو بعد أول ولادة .

#### مم تتكون الأعضاء التناسلية الخارجية للأنثى؟

لا يمكن الحديث عن ختان الأنثى قبل استعراض الجهاز التناسلي عندها. والأعضاء التناسلية الخارجية، التي هي فتحة قناة المهبل والتي يحيط بها الشفران

الكبيران وهما عبارة عن طبقتين من الجلد يغطيهما الشعر من الخارج ولونهما من المداخل يميل إلى اللون الوردى وتحتويان على كثير من الغدد الدهنية . . وفي حالة الفتاة العذراء يبدو كما لو أن هذين الشفرين الكبيرين ملتصقان . . وهي الصورة التي تتغير تماما بعد أول ولادة طبيعية . . وداخل هذين الشفرين الكبيرين هناك شفران صغيران يمتلئان بالخلايا العصبية والأوعية الدموية . . ولهذا يعد الشفران الصغيران من الأعضاء التناسلية الخارجية للأنثى الأكثر حساسية . . وفوق فتحة المهبل هناك فتحة صغيرة جدا هي فتحة مجرى البول . . وفوق فتحة مجرى البول هناك البظر أكثر الأعضاء حساسية عند المرأة على الإطلاق . . أو هو عضو صغير جدا يمتلك حساسية هاثلة . . كما يقوم البظر أيضا بإفراز مادة دهنية في أثناء الممارسة كما أنه في أثناء الممارسة يتغير لونه ويميل إلى الحمرة ويمتلئ بالدم .

هذه هي الأعضاء التناسلية الخارجية للأنثى.

#### ما هي أنواع المفتان؟

تنقسم عملية الختان، من حيث القسوة والشدة، إلى الأنواع التالية:

النوع الأول: ويسبه ختان الذكر، ويتمثل في قطع غلفة البظر بشكل محيطي لإزالتها. ويعتبر هذا النوع من الختان أقلها شدة وقسوة. وإنني كطبيب نساء وجراح لأكثر من نصف قرن من الزمان أقولها وبكل الاطمئنان إن إجراء هذه العملية غير محن دون أن تصاب الأعضاء التناسلية والبظر بأي ضرر.

النوع الثانى : ويشمل إزالة حشفة البظر، أو البظر بأكمله، بالإضافة إلى جزء من الأنسجة المجاورة (شفرى الفرج) أو كلها.

النوع الثالث: وهو ما يسمى ظلما وبهتانا بـ «الختان الفرعونى» ( يرجى مراجعة الفصل الخاص بأصل الختان )، ويتضمن ليس فقط إزالة البظر من الأنسجة المجاورة ولكن الشفرين الخارجيين أيضا، ويتم خياطة حافتى الجروح معا، وتترك فتحة صغيرة جدا للتبول وللدورة الشهرية. وإذا تبين أن هذه الفتحة واسعة تتكرر العملية. وفي هذا النوع يتم تقييد ساقى الفتاة سويا لعدة أسابيع حتى يلتئم الجرح.

#### ماهى حقيقة ختان السنة؟

هذا وصف يستخدمه المدافعون عن الختان، ويشيرون فيه \_ كما يزعمون \_ إلى النوع الأول السالف الإشارة إليه. وأنا كطبيب مسلم يؤمن بالله ورسله، أرفض استخدام هذا الوصف. فعلى قدر علمى فإن أحكام الإسلام تستمد من كتاب الله وسنة رسوله، ولو أننى استخدمت وصف «السنة» لخلعت على الختان \_ حتى ولو كان النوع الخفيف \_ هالة قدسية لا يستحقها ولا يمت لها بأية صلة. وهذا ما تؤيدنى فيه الباحثة المشهورة «ناهد طوبيا» عندما تقول: «لا ينبغى أن نستخدم تعبيرات مثل خنان السنة أو الختان الفرعونى لأنها تعبيرات لا تستخدم إلا في الدول العربية، ولا توضح الأماكن التى تقطع. وبالإضافة إلى ذلك فإن تعبير ختان السنة غير دقيق ويمثل فهما خاطئا للإسلام».

#### من الذي يقوم بعملية الختان ؟

فى العادة تقوم بها القابلة (الداية)، أو الكاهنة، أو النساء العجائز اللاتى يحظين فى المجتمعات القبلية بالاحترام والتوقير، هذا بالطبع بجانب حلاف القرية أو الحى (حلاق الصحة). وفى كل الظروف يكون القائم بالعملية أميا، مفتقدا لأية مهارة جراحية، وغير مدرب تدريبا طبيا. ويتم إجراء عملية الختان فى ظروف صحية سيئة، وباستخدام أدوات سيئة مثل سكين صدئ أو شفرة حلاقة أو مقص أو قطعة زجاج أو حجر مسنون.

وهنا يجب ألا ننسى عاملا يثير الفزع والرهبة لدى الضحايا الصغيرات، حيث يكون منظر الذين يجرون العملية متجهما، وهم كبار في السن، وهو ما يسهم إلى حد كبير في تضخيم التعقيدات والمشاكل النفسية التي تحدث بعد العملية.

وفى العملية يتم طرح البنت على الأرض، أو فوق ما يشبه المائدة، ويتم شل حركتها بواسطة امرأة قوية أو أكثر. وتتم العملية دون مخدر. وتستمر مدة ١٥ - ٢٠ دقيقة، بحسب استعداد القائم بها ومقاومة الطفلة. وبعد العملية يتم «كبس» الجرح بلبخة من الأعشاب والرماد، وينم إيقاف النزيف بقطعة من القماش.

وهناك مجتمعات تتم فيها هذه العملية جماعية لعشرات أو مئات من الصغيرات، وباستخدام الأداة نفسها.

وفى العادة فإن الرجال لا يشاركون فى عملية ختان الإناث، ولا يوجدون فى المكان الذى تجرى فيه. إلا أن مصر تمثل استثناء من هذه القاعدة، حيث يمكن للرجل (حلاق الصحة) أن يجرى العملية، كما يحضر فى آثنائها الأب إلى جوار البنت وأمها.

#### ما هي عواقب عملية الختان ومضاعفاتها ؟

بشكل عام، فإن الفتاة التي تجرى لها عملية ختان من الأنواع القاسية تستمر معاناتها من العواقب والتعقيدات والمضاعفات الصحية، التي تحتاج معها إلى رعاية طوال حياتها.

وتترتب على عملية الختان عواقب ومضاعفات بعضها فورى على المدى القصير، وبعضها الآخر على المدى الطويل.

#### فعلى المدى القريب نجد أن:

- \* النزيف أمر حتمى الحدوث، حيث لا يمكن تجنب إتلاف الأوعية الدموية التي يتدفق فيها الدم بغزارة في هذه المنطقة.
- \* عادة ما تحدث صدمة عصبية ونفسية ، من فقد الدم ، ولأن العملية تتم دون مخدر .
  - \* أحيانا تحدث الوفاة عندما لا يتيسر إنقاذ الأنثى بسرعة (« ومن الختان ما قتل»).
- \* حدوث تلوث بسبب الظروف غير الصحية التي تتم فيها العملية، والإصابة بالتيتانوس محتملة جدا.
- \* تصاب الأنثى عموما باحتباس البول في الأيام القليلة التالية للختان، فلا تستطيع الفتاة أن تتبول بسبب الخوف والألم وتورم الأنسجة، مما يؤدى إلى مزيد من الألم، واحتمال تلوث الجهاز البولى.

#### وعلى المدى البعيد نجد من المضاعفات:

- \* يمكن أن يتسبب تيبس الندب في مشكلات عند أول جماع أو عند الولادة .
- \* يمكن أن تنمو الأكياس نتيجة لخياطة الجلد الخارجي في جرح الختان، ويمكن أن تصل هذه الأكياس إلى أحجام كبيرة وتتطلب جراحة لإزالتها، وإلا فيمكن أن تتلوث وتكون قرحات.
- \* غالبا ما تحدث مشاكل فى الدورة الشهرية تشمل احتباس الدم لأن الفتحة المتبقية بعد الختان صغيرة جدا ولا تسمح بإخراج كاف، وفى هذه الحالة تتراكم بقايا دم الدورة الشهرية والترسيبات البولية فى المهبل، فتؤدى هذه الترسيبات إلى تكوين الحصوات فى المهبل أو التشققات (ناصور) فى النسيج الذى يفصل المهبل عن الجهاز البولى، مما يؤدى إلى تسرب البول والبراز وهى أمور تخلق العديد من المشاكل الاجتماعية للسيدات.
- \* قد يحدث عقم لصعوبة الاختراق الجنسي أو بسبب مرض الالتهاب الحوضي الناتج عن التلوث المزمن.

#### ما هي المشاكل النفسية المترتبة على الختان؟

يؤكد جميع أساتذة علم النفس على أن الختان يتسبب فى عدد كبير من المضاعفات والمشاكل النفسية، خصوصا إذا تمت عملية الختان فى سن متأخرة تكون فيها الفتاة فى حالة كافية من الإدراك والوعى الكامل بكل ما يحدث لها. وذلك يسبب لها الإحساس بالقهر والقمع والشعور بالنقص، لأنها تشعر أن هذا العضو الذى تم بتره من جسدها «سبة» يجب التخلص منه، مما يؤثر على اعتزازها بكرامتها وأنو ثتها.

وإذا استطعت أن تتخيل قناعاتهم بأنهم إنما يقتطعون جزءا فاسدا قذرا لن يسعد به إلا الشيطان . . فبإمكانك حينتذ أن تعرف القسوة التي يتعاملون بها مع أعضاء الفتاة التي ساقتها مقاديرها لتفتح لهم ساقيها يشوهونها ويخدشون كبرياءها . . وهذا هو الجانب الحقيقي المؤلم في عملية الختان . . الضرر النفسي والعذاب الذي لن تنساه

الذاكرة بعد ذلك أبدا. فالختان إحساس بالمهانة بشكل سيعجز أى رجل عن أن يتخيله. لأنه سيصب في وجدان الفتاة وفي أعماقها إحساسا بأنها مخلوق عاجز عن الفضيلة من تلقاء نفسه، ولابد وأن نتدخل نحن لنساعده ونجبره على الفضيلة. ولا يدرك آخرون أن هذا الإحساس يمكن أن يتحول أحيانا في المستقبل إلى تيار جارف بالغضب أو على النقيض فيصبح إحساسا بالدونية، وفي كلتا الحالتين تختفي مشاعر الأنوثة الطبيعية ببراءتها ورقتها وتلقائيتها(١).

وعندما قدم الدكتور إسماعيل سلام وزير الصحة دفوعه أمام محكمة القضاء الإدارى قدم من بينها بحثا عن ختان الأنثى يؤكد أن ٢٦٪ من الإناث اللاتى أجريت لهن عملية الختان أصبن بأمراض نفسية وعضوية (٢).

ويشير الدكتور أحمد عكاشة ، أستاذ علم النفس ، إلى ظاهرة خطيرة وهى طقوس الاحتفال التى تصاحب عملية الختان ، والتى يحضرها عادة الأهل والأقارب ؛ وهو ما يعتبر نوعا من الاحتفال المهين . . لأن الفتاة تتألم وتبكى بينما المحيطون بها يغنون ويضحكون وكأنه نوع من التعذيب النفسى للفتاة . ويؤدى كل ذلك إلى شعور الفتاة بالقهر وكراهيتها لنفسها وجسدها ، وهى حالات تصادفنا كثيرا ، وتحتاج لعلاج نفسى طويل لإزالة النأثيرات النفسية السيئة من ذهن الفتاة (٣) .

ويؤكد الدكتور يسرى عبد المحسن، أستاذ الطب النفسى، أن الجرح النفسى فى عملية الخنان أشد إيلاما من الجرح العضوى، لأن هذه الصدمة النفسية تترسب فى وجدان الفتاة، مما يفقدها اعتزازها بأنوثتها ويشوه مفاهيمها. وتكون النتيجة أنها تتعامل مع الزواج فى المستقبل إما بمنتهى الخوف أو بمنتهى البرود، وهى حالات تصادفنى كثيرا (٤٠).

#### ما هي المضاعفات الجنسية للختان؟

من الأمور التي يؤكدها المتخصصون أن السيدة المختنة تحدث لها مشاكل جنسية تنعكس بالضرر على حياتها الزوجية .

<sup>(</sup>١) ياسر أيوب. جريدة الدستور ١٣/٣/٣/١٩٠. (٢) مشيرة موسى جريدة الأهرام ٢١/ ٦/ ١٩٩٧.

<sup>(</sup>٣) جريدة الأخبار ٢٠/٧/٧٩. (٤) المصدر السابق.

فى الندوة التى أقامتها المنظمة المصرية لحقوق الإنسان فى يوم ١١/٣/٣ ١٩٩٧، أشار الدكتور عزيز خطاب إلى أن لديه دراسات تؤكد أن ٤٨ ــ ٥٢٪ من النساء المصريات يعانين من البرود الجنسى بسبب عملية الختان.

والحقيقة المؤكدة هي أن الختان يجعل ضحيته غير قادرة على الاستمتاع بالعملية الجنسية بشكل كامل، بل أحيانا قد لا تعرف هذه الأنثى طعم النشوة طوال حياتها، أو تصاب بالبرود فلا تعود قادرة على إسعاد زوجها ولا إسعاد نفسها معه.

والحقيقة أن الختان هو المسئول الأول عن عدم استمتاع المرأة المصرية بالجنس بشكل سليم وطبيعى . . ولا أحد منا يستطيع أن يدعى أنه لا يعرف ذلك . فنحن كلنا نعرف أن حرمان كل امرأة من متعة الجنس هو القصد والهدف الحقيقى من أية عملية ختان . وإذا ذهبت إلى أى حى شعبى فى القاهرة أو إلى أية قرية فى مصر كلها وسألت الناس عن سبب إصرارهم على الختان إلى هذا الحد لسمعت ما سبق ، وأنا سمعت مثله كثيرا وطويلا . سيقولون لك إنه من أجل الحفاظ على البنت وعلى الزوجة ، نجعلها لا تعرف الإثارة ولا الرغبة ، فلا تضعف ولا تستسلم . إنهم لا يقولون ذلك فقط وإنما هناك الكثير جدا الذي يتخيله المصريون من وظائف ومنافع الختان . فهم يتخيلون أن الختان هو الذي يعجل ببلوغ الفتاة واكتمال أنوثتها . يقولون أيضا إن الختان يساعد الفتاة أو المرأة على الاحتفاظ بنظافة جهازها التناسلي ، فضلا عن طهارته بإزالة الجزء النجس منه . وأخيرا يتخيل المصريون أن الختان يساعد الزوجة على الإنجاب لأن الجزء الذي يزيله الختان قد يفرز ما يقتل الحيوانات المنوية القادمة من الرجل فلا تصعد إلى الرحم ليحدث الحمل (١٠) .

وقد أوردت هذه الفقرة التى تبين بوضوح نظرة المصريين إلى البظر، لأقول لهم كلمة مهمة عن الجنس. فالبظر مهما بلغت حساسيته ليس هو معنى الجنس عند أية امرأة واسنئصاله لن يعنى مطلقا ألا تفكر الفتاة في الجنس وتبحث عنه، ومن المؤكد - كما قال الأستاذ ياسر أيوب - "إن الناس في مصر لم يجدوا من يشرح لهم الفارق بين الإثارة وبين الإشباع، فالإثارة هي رغبة المرأة واحتياجها لممارسة الجنس، وهي عملية معقدة تتداخل فيها عدة عوامل طبية وجسدية واجتماعية ونفسية. عملية لا

<sup>(</sup>١) ياسر أيوب. جريدة الدستور ١٣/٣/١٩٩١.

تجرى إلا في المنح الذي قطعا لا يمكن استئصاله، وذلك يعنى أن الفتاة لا تفكر في المنسر كما نتخيل بأعضائها إنما هي تفكر فيه فقط بالعضو الوحيد في جسمها المسئول عن التفكير وعن انخاذ أي قرار . . أقصد المنح . . فإن أمر المنح وسمح لصاحبته بالممارسة . . يأتي بعدها دور الأعضاء التناسلية لتساعد المرأة في الوصول إلى النشوة . . ولكل عضو من تلك الأعضاء دوره أو وظيفته المحددة . . والبظر بالطبع هو أكثر تلك الأعضاء تأثرا بالممارسة . ونحن ندين بمعرفة ذلك إلى الطبيبين الشهيرين جدا ماسترز وجونسون . فقبلهما لم نكن نعرف شيئا عن وظيفة البظر ، وبعدهما عرفنا أن أعصاب البطر تنقل الإحساس إلى عقل المرأة فتستمتع . لكنه ليس الوسيلة الوحيدة لأن تعسرف النشوة عنوان المنح والطريق إليه . . فهناك دور آخر للشفرين الصغيرين . . ودور أقل نسبيا للشفرين الكبيرين . . كما أن للمهبل أيضا دوره الهام . . مع الوضع في الاعتبار أن النشوة عند المرأة عملية نفسية » .

"باختصار . . الفتاة التي يجرون لها عملية الختان . . ستبقى تفكر في الجنس وتحتاجه ، وستمارسه في المستقبل . . لكن يبقى الفارق الوحيد بينها وبين الفتاة التي لم تعرف الختان أبدا ، هو أن الفتاة التي ختنوها قد تعجز كثيرا وغالبا عن الاستمتاع الكامل ، وصفة الكامل هنا ليست بلاغية . . وإنما علمية . . فالمرأة الني استأصلوا البظر منها يمكنها أن تستمتع ولكن بشرط أن يدرك زوجها آنها نحتاج إلى حنان وحب في أثناء الممارسة أكثر مما تحتاجه امرأة أخرى لم تتعرض للختان . . فالختان قد يجعل المرأة عاجزة عن التجاوب مع الرجل وتحتاج منه أن يمد لها يده وأن يتمهل طويلا حتى تستمتع هي مثلما استمتع هو» .

حول هذه النقطة ذاتها، وهي أن عملية الختان لا علاقة لها بالفضيلة والأخلاق، تقول الأستاذة الدكتورة سهام عبد السلام، في كتاب «التشويه الجنسي للإناث»، إنه «توجد بالمخ مراكز مسئولة عن إثارة الرغبة الجنسية وتصعيدها إلى مستوى الاستثارة والاستعداد لممارسة الجماع أو تثبيطها وإنهاء الاستعداد للاستجابة أو تأجيله. هذه المناطق في منطقة تسمى القشرة الحرفية وهي المسئولة عن التحكم في السلوك. وتتصل بمراكز المخ العليا حيث تختزن في الذاكرة خبرات التعلم والتنشئة الاجتماعية . . كما تتصل بمراكز الحواس والانفعالات . . فإذا كانت الظروف مواتية انفعاليا واجتماعيا وتمت الاستثارة الجنسية يرسل المخ إشارات لبقية الجهاز العصبي

الذي يتحكم في الأوعية الدموية فيحدث احتقان بالأعضاء الداخلية للحوض وبالأعضاء الانتصاب وإيصال المرأة للإشباع الجنسي .

إننا بالتالى أمام ٢١ مليون امرآة في مصر لا يصلن إلى هذه الحالة ، وإنما يصلن إلى حالات تتراوح بين الشعور بالخزى والنقص ، وإنكار النوازع الجنسية ، أو الخوف من الجنس والبرود الجنسي ، أو الإحساس بالإحباط الجنسي الذي يؤدي تكراره للإصابة بالاكتئاب . . وربما يؤدي إلى الانحراف » .

### ما الذي يقوله العالم ومنظماته ؟

الآن وقد عرفنا كل شيء عن الختان وأنواعه وكيفية القيام به ومضاعفاته النفسية والجنسية ، تعالوا نستمع إلى ما يقوله عنه العالم والمنظمات العالمية في قراراتها ودراساتها وتوصياتها حول هذه النقطة :

في عام ١٩٩٤، وتحت عنوان: «من تقاليد الأذى»، قالت منظمة الصحة العالمية إن ٨٥ ـ ١٢٠ مليون أنثى قد تأثرت بالبتر التناسلي. وقد توافرت الأرقام حول المرض والوفاة المتعلقة بهذه العملية، إلا أن التقديرات تصل إلى أرقام أعلى. وتنطوى العملية على إزالة جزئية أو كلية للبظر، مع قطع أو إزالة الشفرتين وتضييق الفتحة المهبلبة. إن هذه العملية تعكس تمييزا حادا ضد المرأة، وتأثيرا هاتلا على حياة الأنثى البالغة وأخطارا مباشرة على الطفل. إن الصحة والرفاهية وحقوق الإنسان كلها في خطر، وترتبط الممارسة الثقافية بكل الأديان الكبرى بطريقة تجعل النساء مقبولات في مجتمعاتهن وأزواجهن المقبلين، وهناك جهل حول ما يرتبط به البتر من ألم للبالغين والتهابات وولادة متعسرة ومضاعفات صحية أخرى، ومطلوب كثير من الكياسة واللباقة في إدخال تغيرات اجتماعية للقضاء على هذه العملية.

وتحت عنوان: "صحة الشباب والمراهقة"، قال تقرير صادر في عام ١٩٩٦ عن Family Care International من صندوق الأمم المتحدة للسكان إن "البتر التناسلي للأنثى عملية تؤثر في ٢ مليون فتاة كل عام في أنحاء العالم وتجعلهن عرضة للإصابة بالالتهابات والنزيف.

وقد انتهت أعمال ورشة عمل عن الصحة الإنجابية كحق للمرأة عقدتها منظمة الصحة العالمية في عام ١٩٩٦ إلى اتخاذ قرار بأنه يجب على جمعيات جراحة وطب النساء الوطنية أن تشجع على تقديم خدمات شاملة للصحة الإنجابية، وأن تثبط "Discourage" إجراء البتر التناسلي للأنثى.

وكانت منظمة الصحة العالمية قد أصدرت تقريراً في عام ١٩٩٥ الصحة العالمية قد أصدرت تقريراً في عام ١٩٩٥ ، أوردت فيه فقرة بعنوان «البتر التناسلي للأنثي . . طقس تقليدي يؤثر على صحة المرأة » جاء فيه ما يلي :

"تذهب التقديرات إلى أن ٨٥ – ١١٤ مليون فتاة أفريقبة قد آجريت لهن عملية البتر التناسلي، ويزداد عدد العمليات التي تجرى بمعدل ٢ مليون سنويا. وتختلف العواقب بحسب درجة الجزء الذي يتم إزالته من البظر والشفرين وبحسب مهارة من يجرى العملية، كما أنها تنطوى على الآلام والنزيف من الأوعية الدموية والمسالك البولية والالتهابات والقرحة والتبتانوس والغرغرينة والتشوه الحاد. أما الأعراض طويلة المدى فتشمل صعوبة التبول والالتهابات المزمنة وعدم القدرة على الإشباع الجنسى. ويمكن للبتر التناسلي أن يتسبب في صعوبة الولادة، وفي إصابة الجنين بأخطار. إن منظمة الصحة العالمية التي أطلقت صيحتها المعارضة عالية ضد البتر منذ عام ١٩٦٠، تعارض أيضا الاتجاهات الرامية إلى إضفاء الصفة الطبية على هذه العملية. ووفقا لما أصدرته منظمة الصحة العالمية فإن «كل أشكال ختان الطفولة هي انتهاكات لحقوق الإنسان وخرق للمواثيق الأساسية لأخلاقيات الطب».

# شهادة طبيب مصرى:

ولا أجد ما أختم به هذا الفصل خيرا من شهادة طبيب مصرى قدمها في رسالة نشرها له الأستاذ صلاح منتصر في عموده اليومي «مجرد رأى» بجريدة الأهرام في يوم ٣/ ١١/ ١٩٩٤ :

"طوال أربعين عاما وأنا أباشر اختصاصى كجراح للأطفال لم أشعر خلالها باستياء وانقباض ووحشية إلا عندما كنت أجرى عملية الختان في الإناث مضطرا في بادئ عهدى بجراحة الأطفال عندما كانت تهددني أم بلجوثها إلى حلاق الصحة

فكنت أشعق على البنت الضحية وأجرى لها الختان لكن بطريقة غير تقليدية، حيث كنت لا أستأصل البظر بتاتا، وإنما كنت أستأصل غلاف البظر تماما كما يحدث في ختان الذكور حتى أريح الأم نفسيا وأدفع عن البنت شرا سوف يحدث لها إذا وقعت في يد جاهلة ، وكنت أقوم بهذا الإجراء نظرا لما كنت أعلمه وأدركه جيدا وتعلمته تشريحيا من أن البظر عضو تناسلي خارجي هام مكون من نسيج أجوف دموي شبيه بالنسيج الذكري ولكن أرق منه مما يشرك الزوجة ويساعد على التوافق الجنسي بين الزوجين وعلى سعادتهما. أما ختان الذكور فيختلف تماما عن ختان الإناث، إذ إنه في الذكور يستأصل الجلد الزائد المغلف لحشفة العضو الذكري ولا يستأصل عضو، كما أنه ثبت علميا فائدة الختان في الذكور. أما ختان الإناث فالضرر فيه جسيم وقد يجعل المرأة تعيسة طوال حياتها مع زوجها نظرا لاستئصال عضو تناسلي هام وهو البظر الذي له \_ كما قلت \_ وظيفته في إقبال الزوجة على المباشرة الزوجية وهي غير راضية وبدون اسنمتاع كلي مما يلجأ معه بعض الأزواج إلى المخدرات ظنا منهم أن عدم التوافق الجنسي راجع إليهم. وقد تكونت لجنة في وزارة الصحة منذ أكثر من ٢٥ سنة كنت عضوا فيها انتهت إلى إدانة ختان الإناث. ونحن كجراحين نقوم بعمليات في البظر لدواع طبية محضة مثل تضخمه نتيجة تعاطى الحامل لهرمونات في أثناء الحمل أو نتيجة لخلل هرمونات الغدة فوق الكلية، فنعطى لها الهرمون ونقوم بعملية تصغير البظر، وهي عملية تحتاج إلى مهارة جراحية تتناوله، واللعب جراحيا فيه باستئصاله جزئيا أوكليا وربما باستئصال الشفرين الصغيرين بدون الإلمام بعلم التشريح وما يترتب على ذلك من مضاعفات شديدة أهمها النزيف الحاد والالتهابات التي تنشأ في الجرح والصدمة العصبية نتيجة الألم الشديد من إجراء العملية بدون تخدير ، بجانب تشوه الأعضاء التناسلية وغيرها من المضاعفات».

(أ. د عادل لطفى \_ جراح الأطفال)



# الفصل الرابع الختان: كيف أصبح قضية عالمية

هكذا أصبح الختان قضية عالمية . .

إن تعبير «البتر التناسلي للأنثي» يجيء تتويجا لجهود متواصلة ، استهدفت اهتمام العالم كله بقضية الختان ، انطلقت منذ بداية القرن العشرين . ففي تلك الأيام كان المسئولون عن الصحة في البعثات التبشيرية في أفريقيا هم أول من قدموا شهادتهم عن الختان كأحد الطقوس الملتصقة بالأنثى في الثقافات الأفريقية . وعندما تحدث المبشرون عن هذه العادات والطقوس فإنهم استخدموا أوصافا محددة مثل «همجية» ، «بدائية» ، «غير صحية» ، الأمر الذي يكشف عن قلة فهمهم للثقافات والقيم المحلية .

وبعد الحرب العالمية الثانية، وحتى أواسط السبعينيات، لم يكن ذكر الختان يأتى إلا في إطار الأدبيات الخاصة بالمجتمعات البشرية وخصوصا البدائية منها. وفي عام ١٩٥٨ أطلقت منظمة الصحة العالمية دراسة حول «استمرارية العادات التي تخضع البنات للعمليات الطقسية»، ثم أتبعتها بإجراءات تهدف إلى منع الختان (البتر التناسلي للأنثى) على المستويات الإقليمية والوطنية. وجاءت المؤتمرات الإقليمية التي انعقدت في الخرطوم ١٩٧٩، وداكار ١٩٨٤، وأديس أبابا ١٩٨٧، بمثابة خطوات مهمة على طريق زيادة الوعى بالمشاكل المتعلقة بالبتر التناسلي للإناث. وكان من نتيجة هذه الاجتماعات تأسيس اللجنة الأفريقية Inter African

(IAC) Committee للعمل على إلغاء ما يسمى بالممارسات التقليدية الضارة بصحة المرأة والطفل.

وخلال العقد العالمى للمرأة الذى نظمته الأم المتحدة بين عامى ١٩٧٥ – ١٩٨٥ تم تسليط الأضواء على الحالة المتدنية للمرأة فى الدول النامية فيما يتعلق بالموارد وصنع المقرار والصنحة والأمية. . إلخ. وفى أثناء انعقاد مؤتمر الأم المتحدة للمرأة فى كوبنهاجن فى عام ١٩٨٠ بادرت المنظمات غير الحكومية إلى وضع قضية الختان على جدول الأعمال الدولى. وقد بينت المناقشات الحادة التى دارت بعد ذلك أن قضية الختان حساسة ومعقدة أيضا.

وانبرت وفود المرأة في كل مؤتمر للدفاع عن إلغاء الممارسات التقليدية الضارة، وخصوصا ما أسمينه «طقس البتر التناسلي الهمجي»، وكانت حجتهن أن مثل هذه الممارسات تشكل الاضطهاد الثقافي والجنسي ضد المرأة من جانب المجتمع الذي يسيطر عليه الرجل. المهم أن الأضواء والتركيز سلطا على الممارسة نفسها أكثر من الأسباب التي أدت إلى وجودها.

ومع ازدياد الوعى والاهتمام انتقل الموضوع من «الممارسات التقليدية الضارة» إلى «النوع» من حيث صحة المرأة وحقوقها ؛ ولقى هذا المدخل دعما من الداعين إلى حماية الصحة الجنسية والإنجابية للمرأة وحقوقها الإنسائية ، ومن المتخصصين فى النوع البشرى فى الشمال والجنوب .

وهكذا سادت أرجاء العالم كله ظاهرة أجمعت فيها كل المنظمات الدولية والإقليمية والمحلية، وأيضا الدوائر والمؤتمرات الطبية الدولية والإقليمية والمحلية، على رفض البتر التناسلي للأنثى والدعوة إلى تحريمه وتجريم ممارسته: كذلك فإن أى مؤتمر طبي دولي ينعقد، أصبح لابد أن يتضمن جدول أعماله بندا ثابتا – يتكرر على الدوام عنوانه «الممارسات الضارة ضد الأنثى» يحتل فيه البتر التناسلي للإناث العنوان رقم (١). وتتعدد نصوص إدانة هذا الجرم في مختلف المؤتمرات الطبية المتخصصة التي تنعقد في كل أنحاء العالم، ومنها ما انعقد في دول إسلامية مثل باكستان والكويت ومصر.

وعلى سبيل المثال فقد اتخذ المؤتمر الدولي لأمراض النساء في مونتريال في عام

1998 توصية بتحريم هذه العملية ، بل اعتبارها «جريمة هتك عرض» يعاقب من يمارسها كما يعاقب الأب أو ولى أمر الفتاة الضحية . وقد شارك في أعمال هذا المؤتمر أكثر من ثمانية آلاف عضو ، من أطباء أمراض النساء والتوليد ومن المهتمين بقضايا الخصوبة وتحديد النسل في دول العالم الثالث ، ومن علماء الاجتماع والنفس . وكانت قضية «ختان البنات» موضع اهتمام كثير من الأطباء والباحثين في المؤتمر الذي شارك فيه أيضا أكثر من أربعين طبيبا وطبيبة من أساتذة أمراض النساء بالجامعات المصرية . وقد احتلت بحوث الأساتذة المصريين جانبا مهما من أعمال المؤتمر ، وتردد اسم مصر أكثر من مرة في قاعات المؤتمر اعترافا بدور أطبائها الذين كانت لهم بصماتهم في تقدم علوم أمراض النساء . المهم أن المؤتمر الدولي لأمراض النساء في مونتريال وجه نداء إلى أطباء أمراض النساء في العالم بالامتناع عن القيام بهذه العملية ، وأوصى بتجريم إجرائها لما تسببه من آثار جسمانية ونفسية على ضحاياها من الصغيرات . . وقد التزمت دول كثيرة بهذه التوصية .

وكنموذج على استمرارية الاهتمام الدولى بقضية الختان، بل تصاعده، فإننى أورد نص برقية تناقلتها وكالات الأنباء العالمية في يوم ٢٠/٤/١٩ تحت عنوان الأم المتحدة تعلن حربا ضارية على ختان الإناث وتعتبره انتهاكا للصحة»، جاء فيها أن منظمة الصحة العالمية أعدت خطة بالتعاون مع صندوق الأنشطة السكانية التابع للأم المتحدة ومنظمة اليونيسيف للقضاء على ظاهرة ختان الإناث. وقال هيروشي ناكاجيسما الأمين العام لمنظمة الصحة الدولية وهو يعلن بدء الحملة في مؤتمر صحفى إن نحو ١٢٠ مليون امرأة وفتاة في أنحاء مختلفة من العالم تعرضن لشكل من أشكال الختان، وإنه في كل عام ينضم إليهن مليوني امرأة وفتاة، وأضاف قائلا هذا انتهاك لسلامة الصحة البدنية والنفسية للنساء، وشكل من أشكال العنف ضدهن».

ويمثل الاهتمام الدولى، والمؤتمرات العالمية، وموافقات الحكومات على خطط عمل هذه المؤتمرات، خطوة مهمة نحو «تقوية» النساء. ولكن ذلك كله يظل غير كاف لتحقيق هذا الهدف ما لم يتم تدعيم النمو الاقتصادى في الدول الفقيرة وما لم تتبع الحكومات موافقاتها بإرادة سياسية وجهود ملموسة لتحسين أوضاع النساء، وتمكينهن من الحصول على فرص العمل والصحة والغذاء واتخاذ القرار.

# الختان على أجندة الاهتمام العالم:

نطالع بعض أوراق المنظمات والهيئات الدولية، لنتعرف على مدى الاهتمام العالمي بقضية الختان ؛ فنجد أن Bulletin of Medical Library Association تقول: لم تظهر صحة النساء على جدول الأعمال العالمي إلا بعد أن أعلنت الأم المتحدة في عام ١٩٧٥ «سنة دولية للمرأة». ونقرأ عن منظمة الصحة العالمية أن مؤتمرها المنعقد في الخرطوم في علم ١٩٧٩ قد أدان بالإجماع - البتر التناسلي للأنثى باعتباره مدمرا لصحة المرأة، وأنه لا يمكن الدفاع عنه لا بمبررات صحية ولا إنسانية.

وتحت عنوان "محاربة البتر التناسلي للأنثى ـ جدول أعمال للعقد القادم" كتب Darkenot في عام ١٩٩٦ في Quarterly Report World Health Statistics في عام ١٩٩٦ في المعتملة البتر، وأن «تذهب التقديرات إلى أن حوالي ١٢٠ مليون أنثى قد أجريت لهن عملية البتر، وأن لا مليون فتاة أخرى يتعرضن لنفس المصير في كل عام. وفي محاولة لمواجهة هذه المشكلة الضخمة عقدت منظمة الصحة العالمية اجتماعا لمجموعة عمل فنية حول الموضوع في شهر يوليو ١٩٩٥. وقد وضعت المجموعة تعريفا للبتر التناسلي بأنه (إزالة جزء أو كل العضو الأنثوى الخارجي و/أو إحداث الضرر بالأعضاء التناسلية للأنثى لأسباب ثقافية أو غير علاجية)».

ونقرأ أيضا تحت عنوان «أن يولد الإنسان أنثى» ما نصت عليه أوراق اليونيسيف في Earth Action الذي أعلنته في عام ١٩٩٤ :

من الواضح أنه ليس بميزة أن يولد الإنسان أنثى، وهناك ١٠٠ مليون امرأة فى العالم، أقل مما كان متوقعا، بسب الإجهاض العشوائي ووفيات الأطفال وإهمال البنات. وتعانى الفتيات أيضا من البتر التناسلي للأنثى والزواج المبكر والحمل المبكر الذي يؤثر على حياتهن وصحتهن.

ويوصى المجتمع العالمي بأن تتم مواجهة احتياجات البنات والنساء من خلال خطة حركة قمة الأطفال في عام ١٩٩٠، وميثاق حقوق الطفل، ومعاهدة إلغاء كل أشكال التمييز ضد النساء.

### الختان قضية ساخنة:

تم تبنى مصطلح «البتر التناسلى للأنثى» على المستوى الدولى، اعتبارا من عام ١٩٩١ ليحل محل مصطلح «الختان» القديم. وكان المبرر العقلانى لذلك هو أن كل أنواع الختان تنطوى على قطع وإزالة أعضاء جنسية من الأنثى، وليس مجرد غلالة رقيقة من الجلد الخارجي.

وينتمى الختان إلى ما يسمى «الممارسات التقليدية الضارة»، وفقا لتعريف منظمة الصحة العالمية الصادر في عام ١٩٧٩، والتي تشتمل على الزواج المبكر والمحظورات taboos التقليدية التي تسهم في تدمير صحة البنات والنساء.

ومما هو جدير بالذكر أن البتر التناسلي للإناث لا يقتصر فقط على الدول النامية. فقد كان الختان شائعا في دول غربية منها أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية في القرون الماضية. وحتى الأربعينيات والخمسينيات من القرن الحالى فإن الختان كان يجرى كنوع من «الشفاء» ضد الهستريا والسحاق وزيادة الشهوة الجنسية ؛ لدى النساء اللاتي كان الأطباء يشخصونهن على أنهن غير عاقلات.

ويعتبر الختان انتهاكا لحقوق الإنسان ولحقوق البنات بوجه خاص ؛ وذلك ما أكدته معاهدات وإعلانات كثيرة. فالمسألة هنا تتعلق «بالموافقة المبنية على المعرفة»، إذ إن ٩٩٪ من الفتيات اللاتي يتم ختانهن يحدث لهن ذلك دون أية معرفة بالعواقب الوخيمة المترتبة على ذلك. إن الإنسان البالغ بوسعه أن يختار أن يعرض نفسه أو نفسه المقوس أو ممارسات يمكن أن تمزق سلامته الجسدية. وأما الطفل من الناحية الأخرى فير قادر على اتخاذ خيار واع.

verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



# من الصمت والمحظور إلى الوعى المتزايد:

لقد ظل موضوع الختان مدفونا في طياث الصمت والمحظور، سواء على الصعيد المحلى أو الدولي لسنوات طويلة. ويمكن القول إن البداية كانت في عام ١٩٩٤، في المؤتمر الدولي للسكان والتنمية، فحينئذ، وفي هذا المحفل العالمي، تم طرح المفهوم الشامل للصحة الجنسية والإنجابية وحقوق المرأة ليصبح على قمة جدول الأعمال. وتم التركيز، منذ ذلك الحين، على أن الختان ضار بالصحة الجنسية والإنجابية وحقوق المرأة والبنت. وأصبحت القرارات تتتالى بإلغاء الختان، من كل المؤتمرات العالمية في ثيينا وكوبنها جن وبيجين. وكنتيجة لذلك فإن حكومات العديد من الدول الأفريقية التي يمارس فيها الختان قد انضمت إلى الجهد الدولي المبذول وأصبحت تبلغ وكالات الأمم المتحدة بأوضاع الختان فيها.

وفي مصر، على سبيل المثال، اتضح أن الآباء يعارضون إجراء الختان لبناتهم عندما تصلهم معلومات كافية عن العواقب الوخيمة والآلام التي تعانيها البنت.

### الختان وحقوق الإنسان وحقوق الطفل:

أصبح العالم يعتبر الختان انتهاكا للحقوق الإنسانية وللمواثيق والمعاهدات الدولية. إن ٩٩٪ تقريبا من النساء المختنات قدتم ختانهن تحت الإجبار وهن أطفال أو بنات صغيرات، دون معرفة منهن بتعقيدات هذه العملية. وفي أغلب الأحيان كن غير مدركات لنوعية الاحتفال الذي سيخضن فيه. وبالقدر نفسه فقد كن غير مدركات للألم والمعاناة التي ستلى ذلك كنتيجة حتمية ولا أن الأضرار التي سيتعرضن لها لا يمكن إصلاحها وستبقى آثارها طوال العمر. نحن هنا إذن أمام عنصر الموافقة الناتجة عن معرفة، حيث تملك المرأة البالغة/ أو الرجل، حرية اتخاذ قرار بالخضوع لطقس قد يؤثر على جسده، أما الطفلة/ أو الطفل فغير قادر على اتخاذ قرار الموافقة الواعية.

وتعتبر ممارسة الختان عملا مندرجا تحت بنود الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر في عام ١٩٨٤ والذي ينص على وجوب ألا يخضع أحد للتعذيب والقسوة والمعاملة غير الإنسانية أو المهينة. وفي الإعلانات التالية التي صدرت عن الأم المتحدة تم تسليط الأضواء بشكل مركز على الختان كأحد مظاهر الانتهاك. ويؤكد إعلان ثيينا، الصادر بعد مؤتمر الأم المتحدة لحقوق الإنسان في عام ١٩٩٣، على الحقوق الإنسانية للمرأة وللطفلة باعتبارها جزءا متكاملا لا يتجزأ من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان.

وتوجد نصوص قاطعة حول إلغاء الختان في المعاهدة التي أبرمتها الأم المتحدة في عام ١٩٧٩ حول إلغاء كل أشكال التمييز ضد المرأة، وهي أكثر الوثائق شمولا بالنسبة لحقوق المرأة، وفي معاهدة حقوق الطفل الصادرة في عام ١٩٩٠. وهناك أيضا الميثاق الأفريقي حول حقوق ورفاهية الطفل، الصادر في عام ١٩٩٠، ووافقت عليه منظمة الوحدة الأفريقية، والذي يطالب باتخاذ الإجراءات المناسبة للقضاء على الممارسات الاجتماعية والثقافية الضارة بالطفل، بما في ذلك الممارسات التمييزية على أساس الجنس.

وفي عام ١٩٩٣ صدر إعلان الأم المتحدة بالقضاء على العنف ضد المرأة، متضمنا إشارة صريحة إلى «البتر التناسلي للأنثي» كجزء من التعريف بالعنف ضد المرأة. وفي عام ١٩٩٤ صدرت عن المؤتمر الدولي للسكان والتنمية (القاهرة) خطة تحرك طالبت الحكومات باتخاذ الإجراءات الكفيلة بمنع البتر التناسلي للأنثي أينما وجد. وفي المؤتمر العالمي للمرأة، المنعقد في بيجين في عام ١٩٩٥، تصاعدت المطالبة بإلغاء البتر التناسلي للأنثى من منظور حقوق الإنسان، والصحة الجنسية والإنجابية، إلى جانب اعتباره جزءا من حركة إلغاء كل أشكال التمييز والعنف ضد الطفلة.

وقد وضع مؤتمر بيجين خطة تحرك تضمنت عدة خطوات تبدأ بمنع البتر التناسلى للأنثى أينما وجد، ووضع برامج تعليمية للتعريف بمضار مثل هذه الممارسات، وتدريب البنات على اكتساب المعرفة وتنمية احترامهن لأنفسهن، وإصدار التشريعات والقوانين التي تحمى البنات من كل أنواع العنف، بما في ذلك قتل الإناث والبتر التناسلي للإناث والإساءة الجنسية إليهن واستغلالهن جنسيا.

\* \* \*

# الهيئات والمنظمات والجماعات الدولية وغير الحكومية المناهضة للختان

لابد من القول إن كثيرا من الحكومات والمنظمات الدولية قد ترددت كثيرا في البداية في اتخاذ موقف واضح من قضية الختان، وذلك بسبب التعقيدات المتشابكة المحيطة بها؛ إلا أن ذلك تغير كلية بعد مؤتمرى السكان والتنمية في القاهرة وبيجين. فمنذ ذلك الوقت والساحة تشهد انضمام جهود منظمات دولية كبرى ووكالات تابعة لها، مثل منظمة الصحة العالمية WHO، واليونيسيف UNICEF، وصندوق الأم المتحدة للسكان AUNAID، وصندوق الأم المتحدة للمعونة UNAID، والبنك المتحدة للسكان والإستراتيجيات الدولي، وأخذت كلها تضع في قمة سلم أولوياتها تنمية السياسات والإستراتيجيات الهادفة إلى إلغاء البتر التناسلي للأنثى، من منظور الصحة الجنسية والإنجابية للمرأة، وحقوقها، وحقوق الإنسان.

وبمبادرة من منظمة غير حكومية ، هى منظمة البحوث والحركة والإعلام من أجل السلامة الجسدية للمرأة RAINBOW ، تأسست مجموعة عمل دولية IAWG تضم كل المنظمات والوكالات الدولية السالف ذكرها ، والجهات التى تقدم المنح الثنائية والمتعددة الأطراف ، والمنظمات غير الحكومية ، والخبراء المعنيين بالختان . وكان الهدف من هذه المجموعة هو المساعدة على وضع الخطوط الإرشادية ، وتبادل المعلومات والخبرات ، وتنسيق المشروعات والبحوث على أساس مستمر .

وفيما يلى تعريف سريع ببعض أهم المنظمات غير الحكومية NGO المعنية مباشرة بموضوع الختان، علما بأن هذه القائمة ليست شاملة لكل المنظمات العاملة في هذا المجال، خصوصا على الصعيدين الوطني والمحلى:

### اللجنة الأفريقية: (Inter African Committee (IAC)

وهى أكبر الهيئات العاملة على دفع الجهود نحو منع الختان. نشأت في عام ١٩٨٤ ولها مكتب إقليمي في أديس أبابا ؛ ومكتب أنشأته في جنيف خلال اضطرابات شهدتها أثيوبيا، ولجان وطنية محلية. تتوجه جهودها، وبحوثها، وندواتها، وموادها التعليمية نحو إثارة وعي المجتمع والقادة الدينيين وصناع السياسة ودوائر الإعلام والجمهور عموما، نحو إلغاء الممارسات التقليدية الضارة بالمرأة والطفل. أصبح للجنة ٤٢ لجنة فرعية في مختلف أنحاء أفريقيا. وفي عصام ١٩٩٣ اكتسبت اللجنة الصفة الاستشارية في المجلس الاقتصادي والاجتماعي التابيع للأمم المتحدة ECOSOC، وصفة المراقب في منظمة الوحدة الأفريقية OAU.

### مؤسسة صحة وتنمية النساء :

Foundation For Women's Health and Development (Forward)

وهى حركة نشطة مقرها لندن. أنشئت في عام ١٩٨٠ تحت رعاية جمعية حقوق الأقلية، وهى المقر الإنجليزى للمنظمة الدولية لحقوق الإنسان. تدور جهودها على الصعيد الدولي حول الختان، وذلك بوضعه على رأس جدول أعمال حقوق الإنسان الدولية. تقدم خدماتها للمهاجرين إلى بريطانيا، وكذلك بحوثها وحملاتها التعليمية في دول أفريقية منها غانا وچامبيا ومصر والصومال والسودان. وتولى هذه المنظمة أولوية اهتمامها إلى مساندة النساء اللاتى يتعرضن للنبذ لرفضهن إجراء الختان.

# منظمة البحوث والحركة والإعلام من أجل السلامة الجسدية للمرأة

Research, Action and Information for Bodily Integrity of Women (RAINBOW)

أنشئت في عام ١٩٩٣ كمنظمة أمريكية غير حكومية تدافع عن الصحة الجنسية والإنجابية للمرأة وحقوق المرأة على الصعيدين الوطني والدولي. وضعت في قمة

أولوياتها إلغاء الممارسات الضارة، وخصوصا الختان. أطلقت مشروعا أسمته «الحركة العالمية ضد البتر التناسلي للأنثي»، من أجل توثيق الصلات بين المنظمات الوطنية والمحلية المعنية بالموضوع، وتقديم الدعم المالي لها لمساعدتها على التحرك. تعمل في مصر والسودان وبوركينا فاسو ونيچيريا ومالي وكينا.

### الحركة الدولية للسكان: Population Action International (PAI)

مقرها واشنطون، وتتلقى دعما من جهات مانحة عديدة منها صندوق المعونة الأمريكية. وتقدم دعما لكثير من المنظمات السالف بيانها ولمشروعاتها، ولدول مثل كينيا لرسم سياستها في محاربة الختان.

### الشبكة الدولية للنساء: (WIN) Women International Network

هى شبكة أمريكية مرتبطة بجريدة Win News التى تصدر كل أسبوعين، وتدور اهتماماتها حول تنمية المرأة وحقوقها فى كل أنحاء العالم. ومنذ عام ١٩٧٥ أصدرت المنظمة سلسلة واسعة من المواد التعليمية والكتب والمطبوعات المجانية، وتركز توجهاتها إلى المؤسسات الصحية ومدارس القابلات (المولدات) حيث تتضمن مطبوعاتها فصولا عن منع الختان.

# International Women's Health Coalition : التحالف الدولي لصحة المرأة (IWHC)

هى منظمة دولية غير حكومية مقرها نيويورك، ولها صلات وتحالفات مع المدافعين عن صحة المرأة وحقوقها. هدفها تنمية صحة المرأة الجنسية والإنجابية وحقوقها، خصوصا في الدول النامية. وهي واحدة من أكبر المنظمات غير الحكومية الدولية العاملة في هذا المجال ؛ وتضع في مقدمة اهتماماتها الختان.

nverted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered versi

### International Planned Parenthood : الانتحاد الدولي لصحة الوالدية Federation

منظمة تعارض بشدة إجراء الختان، وتطالب بالقضاء عليه. أيدت المنظمة التوصية الصادرة عن منظمة الصحة العالمية بمنع العاملين بالصحة من إجراء الختان بأى شكل.

# المنظمات غير الحكومية المحلية والأهلية:

لابد من التنويه بأن كل ما تحقق من تقدم في هذا المجال على مدى الأعوام الخمسة عشر الماضية إنما يرجع إلى النشاطات غير الحكومية متمثلة في نشر المعلومات ومحاولة منع الختان، نشأت لجان وطنية وأهلية، وبجهودها تحطمت أسوار الصمت التي كانت تحيط بالختان. ونتيجة لحملات نشر الوعى والمعلومات يمكن القول إن هذا «المحظور» Taboo قد أصبح أحيرا مادة يمكن النقاش حولها ؟ والفضل في ذلك يرجع للجهد غير الحكومي المحلى.

### وفى مصر:

فى مصر توجد جمعية أهلية تحمل اسم «جمعية الوقاية من الممارسات الضارة لصحة الأم والطفل»، تشكلت فى مارس ١٩٩٣، لمواجهة المشكلة. وتقوم الجمعية بجهود مكثفة للتوعية بمضار الختان من خلال الندوات والمحاضرات والكتيبات ودورات تدريبية لفئات ذات صلة بالمشكلة من أطباء وممرضات وإخصائيين ؛ فضلا عن الدراسات الميدانية التى أثبتت إحداها أن الأمية المنتشرة بين النساء هى من أكبر العوائق التى تقف أمام التغلب على ظاهرة الختان.

# نماذج صارخة لفتت الأنظارإلي الختان

هناك عدة نماذج صارخة، فوجئ بها العالم وهي تصدم أنظاره أو تطن في آذانه، لتصيبه بما يشبه الغثيان والقيء، ولتسهم في إثارة الوعى العالمي بأهمية الالتفات إلى قضية ختان الأنثى كشكل بغيض من أشكال العنف ضدها. ومن أبرز هذه النماذج:

- نجلاء من القاهرة: وهى فتاة صغيرة فى العاشرة من عمرها، تم إجراء عملية ختان لها على يد حلاق صحة وسط الصرخات والتشنجات والدماء، وكانت هناك كاميرا شبكة التليفزيون العالمية CNN التى سجلت هذه العملية بكل تفاصيلها، وعرضتها على العالم أجمع. كان هذا فى شهر أغسطس ١٩٩٤، فى أثناء انعقاد المؤتمر الدولى للسكان، وتم عرض الفيلم فى إحدى قاعات المؤتمر.

- فوزية كاسينجا من توجو: وهى فتاة شابة فرت من بلدها الواقع فى غرب أفريقيا إلى الولايات المتحدة الأمريكية هربا من إجبار أهلها لها على إجراء عملية الختان. وفى ٢/ ١٩٩٦/٥، وبعد سلسلة من المحاكمات وقضاء فترة فى السجن، قبلت المحكمة السبب الذى ذكرته فوزية لتبرير فرارها من بلدها وقضت بجنحها اللجوء السياسى. ويصدر فى شهر مارس القادم قانون جديد يزيد من صعوبة حصول الدول التى يمارس فيها ختان الأنثى على أموال من صندوق النقد الدولى أو البنك الدولى (باعتبار واشنطون أكبر دولة مانحة للمؤسستين). الطريف أن ناشرا أمريكيا يدعى ديلاكورت دفع لفوزية مبلغ مليون دولار لشراء حقوق نشر قصتها، كما أعربت هوليود عن رغبتها فى إنتاج قصة فوزية فى فيلم سينمائى.

- واريس من المصومال: وهي واحدة من أشهر عارضات الأزياء وتعتبر رمزا

onverted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version

للجنس ومعشوقة للرجال في أنحاء العالم بفضل عينيها السوداوين الضيقتين وقدها الممشوق وابتسامتها المغرية. في ١/ ٢/ ١٩٩٧ نشرت مجلة ألمانية السر الذي كتمته ديرى واريس طيلة عشرين عاما وهو الجرح القاسي بين فخذيها والذي خلف ندبا في جسدها وفي روحها أيضا. ووصفت ديرى كيف حشرت أمها بين فكيها قطعة من الخشب لتعض عليها إلى أن يتوقف الألم بعد أن قامت امرأة عجوز بقطع الشفرين الصغيرين والبظر وفقا للعادة في بلدها الصومال. وبعد وقت قصير من إجراء عملية الختان لها فرت ديرى من الصومال لأن أسرتها كانت تعتزم تزويجها من رجل ثرى مسن، وفي لندن وجدت وظيفة كعاملة نظافة إلى أن اكتشفتها إحدى وكالات عارضات الأزياء.

\* \* \*

# ومن الختان في مصرما قتل

إننى أحترم من يخالفنى فى الرأى على أساس أن رأيى صواب يحتمل الخطأ، ورأيه خطأ يحتمل الصواب. ولذلك فإننى أستغرب موقف هؤلاء الذين يرفضون موقفى الواضح فى اعتبار الختان جريمة، رغم أنهم يرون الجريمة والجناة يرتكبونها نهارا جهارا. إذا كانوا لا يرون الدكاكين القذرة التى تجرى فيها عملية الختان، ولا الأدوات البدائية الملوثة التى تستخدم، ولا الظروف غير الآدمية التى تتم فيها، فإننى أقدم لهم عينة وفقط عينة من غاذج كثيرة نشرتها الصحف عن «قتلى» الختان، لعل فى دماء هذه الضحايا البريئة ما يساعدهم على رؤية الجرم المشهور، فيعترفون بالحق.

جريدة «الأهرام» ١٢/ ٥/ ١٩٩٥ :

مقتل طفلة وإصابة شقيقتها في أثناء ختانهما «بشفرة حلاقة» حلاق صحة يعترف بجريمته التي ورثها عن والده منذ ١٠ سنوات

«وقعت مأساة ختان في إحدى قرى المنصورة عندما قام حلاق صحة بختان طفلتين بشفرة حلاقة وحقنهما بحقنة (الفاليوم) المسكن للآلام مما أدى إلى وفاة صغراهما متأثرة بهبوط حاد في الدورة الدموية ونزيف شديد، بينما مازالت الأخرى في حالة سيئة. وبمواجهة حلاق الموت أكد أنه يمارس هذه المهنة منذ ١٠ سنوات دون أن يعترضه أحد. وقدتم القبض عليه وأمرت النيابة بحبسه».

« بدأ الكشف عن المأساة ببلاغ من والد الطفلتين ويدعى أحمد عباس أحمد الداهش (٤٥ سنة) مبلط من بلدة (ميت جيزون) التابعة لمركز المنصورة لمدير مباحث

الدقهلية بمصرع طفلته نورا (١٠ سنوات) وهبة (١٢ سنة) وكلتاهما بالمرحلة الابتدائية في أثناء ختانهما بمعرفة حلاق صحة البلدة واسمه الظريف السعيد أحمد وشهرته العربي (٤٤ سنة)، مستخدما شفرة حلاقة. وأضاف الأب في بلاغه أن لديه ٧ أطفال، وأنه اعتاد ختان بناته وفقا لما جرت عليه العادة بمعرفة حلاق الصحة، رغم أن أحد أطفاله قد توفي منذ ٣ سنوات في أثناء ختانه أيضا بمعرفة حلاق الصحة».

جريدة الجمهورية ١٩٩٦/٧/١٤:

# الختان القاتل

# «سارة» قتلها حلاق الصحة في المولد

"بسبب العادات السيئة وجهل الأب ماتت الطفلة "سارة" (١١ عاما) عقب إجراء عملية ختان على يد حلاق الصحة بأحد الموالد بالشرقية. تلقى مدير المباحث الجنائية بالجيزة بلاغا من مستشفى العجوزة بدخول الطفلة مصابة بحالة نزيف حاد، ولفظت أنفاسها الأخيرة في أثناء محاولة إسعافها. تبين أن والد الطفلة، وهو صاحب محل لتصوير المستندات بالهرم، اصطحب أسرته، ومن بينها ساره، لزيارة أحد الموالد بعزبة النقطة بمنيا القمح بالشرقية. وداخل أحد الأكشاك المتناثرة بالمولد ويديرها حلاقو الصحة، قام أحدهم بإجراء عملية الختان للطفلة وبعدها أصيبت بحالة نزيف حاد فاصطحبها والدها إلى المستشفى".

جريدة الأهرام ٨/ ٩/ ١٩٩٦ :

# البحث عن طبيب بقليوب قتل تلميذة في أثناء إجراء عملية ختان

«تبذل مباحث القليوبية جهودها للقبض على طبيب قرية «كوم أشفين» بقليوب الله فر هاربا بعد إجراء عملية ختان لفتاة بالإعدادية ، أصيبت بعدها بنزيف حاد وهبوط في الدورة الدموية أدى لوفاتها في الحال . وكان مدير المباحث قد تلقى بلاغا من عبد الحميد محمد أبو العلا (٥٦ سنة) كهربائي ، بمصرع ابنته أمينة (١٤ سنة) تلميذة بالإعدادي في أثناء إجراء عملية ختان لهاعلى يد طبيب قرية كوم أشفين . كشفت التحريات أن والد الفتاة اتفق مع الطبيب على إجراء عملية ختان لابنته

بمنزله، حيث قام الطبيب بحقنها بالمخدر وأجرى الجراحة إلا أنها أصيبت بنزيف حاد وإعياء شديد أدى لوفاتها بينما هرب الطبيب المتهم».

جريدة الأهرام ١٦/١٠/١٩٦:

إخراج جثتى طفلتين توفيتا عقب إجراء عملية ختان لهما بأرمنت الطبيب المتهم صرح بدفنهما سرا وطلب من والديهما عدم إبلاغ الشرطة

«أمرت نيابة أرمنت بقنا بضبط وإحضار طبيب الوحدة الصحية لبلدة «الضبعية» للتحقيق معه حيث تسبب في وفاة طفلتين في يوم واحد إثر قيامه بإجراء عمليتي ختان لهما داخل مسكن كل منهما، فأصيبت الطفلتان بنزيف حاد لعدم دراية الطبيب بإجراء عمليات الختان مما تسبب في وفاتهما. تبين من التحريات أن الطفلتين المتوفيتين هما أميرة محمود محمد حسن (٤ سنوات) ووردة حسن السيد (٣ سنوات)، وأن والد كل منهما اتفق مع الطبيب واسمه عزت شلبي سليمان على إجراء عمليتي ختان لهما بمنزل كل منهما مقابل ١٠ جنيهات للعملية الواحدة، إلا أنه نتيجة لعدم درايته بإجراء مثل هذه العمليات تسبب في إصابة كل منهما بنزيف حاد وهبوط في الدورة الدموية أدى لوفاتهما. وتبين أن الطبيب المتهم قام باستخراج تصريحي دفن الطفلتين سرا دون إخطار الوحدة الصحية، واتفق مع والديهما على عدم الإبلاغ أو إثارة الموضوع حرصا على مستقبله ».

جريدة الأخبار ٢٠/ ٧/ ١٩٩٧ :

# ضحية جديدة لختان البنات

«نعم نادمة. . لكن يفيد بإيه الندم ؟ هل سيعيد ابنتى إلى أحضانى . . ضاعت منى إلى الأبد . . اختفت صاحبة الضحكة الحلوة الشقية . . سلمتها بيدى إلى الطبيب «الجزار» أعطيته براءة عمرى ليذبحها أمام عينى .

أمل لم تقاومني. . وهل كان بيدها أن تفعل ؟ أنا أيضا كنت مستسلمة مثلها. أنا أيضا خضعت للطقوس الغريبة المهينة في حق الإنسانية قبل أن تكون في حق النساء. . يشهد الله أنني كنت أرفض، أو على الأقل حاولت أن أرفض، ولكن من هذا الذي يستطيع مواجهة قدره.

ليلة الحادث: ليلة الأربعاء. الأب والأم يشربان الشاى ويتحدثان. الأب يصر على إجراء عملية الختان لبناته، والأم ترفض، نقاش طويل . . جدل لا بداية له ولا نهاية . الآباء والأجداد . الدين يقول . . لا الدين لم يحرم . . عاداتنا وتقاليدنا . . هذا في صالح البنت . لا لا إنه يؤذى ويدمر مستقبل البنت والأسرة أيضا . . استمر الجدل حتى الساعات الأولى من الصباح لكن الأب حسم النقاش وأمرها أن تذهب في الصباح . . جميع جيران أم أمل نصحوها أن تذهب إلى الداية ، فهي التي قامت بختان كل بنات المنطقة . . وصبيانها أيضا . لكنها صممت أن يقوم بإجرائها أكبر طبيب في المنطقة .

ذهبت إليه واتفقوا. . لكنه اشترط أن يقبض أتعابه أولا بحجة شراء مستلزمات الجراحة. . وفعلت الأم واستقطعت ٦٠ جنيها من مصروف البيت القليل جدا. . وفي اليوم المحدد ذهبت الأم مع البنتين. . كل شيء حدث بسرعة ، سألهما الطبيب من تدخل أولا، شعرت رباب «بالكسوف» فدخلت أمل. غرس الطبيب حقنة المخدر في يدها حتى بدون أن يكشف بالسماعة الطبية عليها أو يعرف مدى حساسيتها لهذا النوع من المخدر . . وانتظر خمس دقائق أخرى ثم غرس حقنة ثانية . . حاسة الأم التي لا تكذب دفعتها لكي تسأله في شك . . مش كثيريا دكتور. . لكنها فوجئت بالطبيب ينهرها بشدة وكاد أن يطردها من الغرفة . . بل واتهمها بأفظع التهم. . كان أبسطها الجهل والتخلف . . فجأة شحب وجه أمل البرىء وبدأت علامات الموت تزحف عليه . . «البنت بتموت يا دكتور» ، هنا أصر الطبيب على خروج الأم وقال لها بعصبية إنها سليمة والأمر كله مجرد غيبوبة بسيطة ثم تبعها بجملة . . أنا دكتور بقالي ٤٠ سنة يا جاهلة . بعدها بدقائق خرج إليهم ووجهه يخلو من أي تعبير. هرعت الأم إلى الحجرة فوجدت ابنتها جثة هامدة. حملتها فورا وذهبت إلى مستشفى الحسين الجامعي. وبمجرد أن كشفوا على أمل خرج الأطباء وقالوا لها البقية في حياتك. لم تسمع الأم بقية الجملة، دارت رأسها في غيبوبة، وأفاقت لتجد نفسها فوق سرير وفي يدها محاليل، نزعتها بعنف وصممت أن ترى ابنتها . . الجميع حولها يدارى دموعه . . حتى باقى المرضى في المستشفى كانوا يبكون.

من خلال دموعها كانت تتكلم. . وتتحدث مع نفسها وتقول . . أمل كانت

onverted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version

صديقتى . . كانت ماهرة فى كل شىء وحنونة أيضا ، من يراها يظنها أكبر من سنها ، صدقونى . . تقدم لها اثنان من شباب المنطقة للزواج . . لكنى رفضت . . ذهبوا جميعا إلى القسم . . وتتحدث أم أمل بمرارة قائلة : حاول الطبيب الإنكار فى النيابة . . وعندما فشل جرب أن يغرينا بالمال لكى نتنازل عن الدعوى ضده ، ثم فشل مرة أخرى ، وحاول التهديد بكل الوسائل ، صدقونى . . لست أريد سوى حق ابنتى وألا يضيع دمها هدرا» .

非排物

ويعد. .

فقد كانت هذه مجرد أمثلة ونماذج، إنها غيض من فيض، ففي كل يوم، بل ربما في كل ساعة، تسقط زهرة يانعة وهي تتضرج في دمها، وتصعد روحها إلى بارئها تشكو إليه ظلم هؤلاء الذين يطالبون بإباحة الختان.



# الفصل الخامس الختان : الجهود المبذولة في قارات الدنيا للقضاء عليه

### مقلمة

كثيرة هى المعلومات المتوافرة عن الأوضاع القائمة لختان الإناث فى مختلف قارات العالم. وكثيرة أيضا هى المعلومات المتاحة عن الجهود المبذولة فى كل بقاع الأرض لمحاربته والقضاء عليه. وقد عكفت على مجموعة ضخمة من المعلومات، أقدم من خلالها هذه الصورة الواضحة للموقف فى كل قارات الدنيا قاطبة ؛ مبينا مصادر كل معلومة. وبالفعل فإن الصورة التى ترسمها لنا هذه المعلومات توفر لنا معرفة كاملة عن أوضاع الختان وعن الآراء حولها.

# الختان في أفريقيا

حاولت قدر الإمكان تبويب المعلومات المتوافرة عن قارة أفريقيا بحسب الدول، أما مصر فلها جزء خاص بها في نهاية القارة الأفريقية.

### السودان،

إن ردود الفعل السلبية للبتر التناسلي للأنثى تؤدى إلى إدانة الثقافات بأسرها والحكم عليها بأنها مجتمعات بربرية تلتزم بشكل أعمى بتقاليد ضارة أو سلوك «سيىء التطبيق». وعلى أية حال فيبدو أن البتر التناسلي للإناث لن يتم القضاء عليه وه

إلا إذا جرى التعامل مع من يمارسونه (ينفذونه) بأسلوب حساس. إنهم يشيرون إلى البتر التناسلي للأنثى على أنه «نمط ثقافي سيىء التطبيق»، وأنه لا يعرض استمرارية السكان بتخفيض الخصوبة أو زيادة معدلات الوفيات عن المواليد. من المهم أن نلحظ من الذي يتعرض للضرر ومن الذي يستفيد. إنه يخدم مصالح الذكور عن طريق زيادة المتعة الجنسية للرجل وكبح الشهوة الجنسية للأنثى وزيادة خضوع النساء. وهو وسيلة للقوابل (الدايات) للحصول على الدخل. أما من الناحية الأخرى فإنه يضر بصحة المرأة وسعادتها الجنسية. إنه ببساطة أحد أنواع الاستغلال التي يمارسها الذكور. إن البحث الميداني الذي تم في أعوام ١٩٧٠ و١٩٨٩ و١٩٩٢ يشير إلى أن النقاش حول هذه الممارسة يدور حول موضوعات الصحة والأعراق وعلاقات الطبقات والجنس والدين. وهناك خلافات واسعة ومصالح متضاربة، ومظاهر البتر التناسلي للأنثى، والذي يجب أن تقوده المرأة التي تتأثر به.

من مقال بعنوان: «النقاش الثقافي حول البتر التناسلي للأنثى ـ السودانيون يناقشون هذا الموضوع لأنفسهم» بقلم . Cruenbaum E في مجلة -Medical Anthropol يناقشون هذا الموضوع لأنفسهم . Ogy quarterly

وعن السودان، وتحت عنوان: «البتر التناسلي للأنثي»، نقرأ ما يلي في Atfrican وعن السودان، وتحت عنوان: «البتر التناسلي للأنثي»، نقرأ ما يلي في Population Newsletter

تم إجراء مسح سكانى وصحى على ٥٨٦٠ امرأة أعمارهن بين ١٥ ـ ٤٩ سنة. وقد أسفر عن أن ٨٩٪ قد تم إجراء البتر لهن، من بينهن ٨٢٪ تعرضن لأشد الأنواع قسوة. ويبين هذا المعدل للانتشار عن بعض الانخفاض عن معدل ٩٦٪ الذى سبق تسجيله فى عامى ١٩٧٥ ـ ١٩٧٧ . وتبين ازدياد إجراء النوع الخفيف لدى النساء صغيرات السن. وقد قام بإجراء معظم هذه العمليات ممارسون طبيون مثل القوابل المدربات. وتبين أن ٧٩٪ يؤيدون استمرار هذه العملية، غير أن النساء الحاصلات على تعليم ثانوى والمقيمات بالحضر أبدين معارضة قوية. وتقول معظم النساء إن التقاليد هى سبب موافقتهن، بينما ذكرت نصف المعارضات العواقب الطبية كسبب. إن زيادة تعليم النساء وإتاحة الفرصة أمام المناقشة الحرة أمر ضرورى للقضاء عليه.

ونجد أمامنا دراسة مفصلة عن أوضاع الختان في السودان، نعرض منها ما يلي:

"يحظى البتر التناسلى للأنثى بقبول واسع فى السودان بغض النظر عن المستوى التعليمى. وتبين نتائج المسح السكانى الصحى (١٩٨٩ - ١٩٩٩) أن غالبية كل من الرجال والنساء يوافقون على العملية. ويفضل ٧٨٪ من الرجال النوع الأقل ضررا (السنة)، بينما يفضل ٨٨٪ البتر الكامل، ويفضل ٤٪ النوع المتوسط. وتبين من دراسة أخرى أن الرجال المتزوجين بأكثر من امرأة يفضلون نوع (السنة) باعتبار أن هذه الزوجة تكون أكثر تجاوبا جنسيا ومشاركة.

إن البتر التناسلي للأنثى هو استمرار للكبت القبلي للشهوة الجنسية للأنثى . والاعتقاد لدى المجتمعات الأفريقية مفاده أن قطع البظر يحمى المرأة من شهوتها الجنسية ويبعد عنها الغواية والشك والعار . وتتراوح درجة النظرة الإسلامية بحسب الإقليم الجغرافي ؛ ويدافع بعض الأطباء عن البتر التناسلي للأنثى على أسس «علمية» . والمبدأ العام للتعاليم الإسلامية كما يقرر الشيخ محمود شلتوت من القاهرة أنه لا نوع (السنة) ولا البتر إلزامي . إن البتر التناسلي للأنثى هو طقس احتفالي، وهذا الطقس يتجه نحو الاختفاء بسبب التعليم وحملات الإلغاء . ومع أن المرأة غير المختنة تعتبر غير نظيفة ، فإن إجراءات البتر التناسلي تتداخل بالفعل مع عمليات دم الحيض وسيولة البول وينتج عنها إزعاج وقذارة وعدوى .

إن إحدى العقبات أمام إيقاف البتر التناسلي هو المصاريف التي ينبغى دفعها للأطبا والممرضات والقوابل الذين تقتضيهم مصالحهم الشخصية أن يدافعوا عن هذه العملية. وتضم الجماعات العاملة على القضاء على البتر التناسلي للأنثى: اللجنة الأفريقية (منذ عام ١٩٥٤) واللجنة الوطنية السودانية للمارسات التقليدية الضارة (منذ عام ١٩٥٥). وفي عام ١٩٩٤ تم إجراء تقويم تقديري في السودان تبين منه أن البتر التناسلي للأنثى تتم الآن مناقشته بحرية، وأن تأثير العجائز يقل، وأن هذه العملية أصبحت في نظر المتعلمين مضادة للحداثة والحضارة. وهناك اتجاه نحو النوع الأقل ضررا، ونحو «الختان المزيف» الذي يكتفي فيه بوضع البلاستر حول البظر والشفرين.

(من مقال بعنوان «كفاح النساء السودانيات لإلغاء الممارسات الضارة» - بقلم حسن أ. ، 910 Planned Parental Challanges - 1990 .

### أوغنداء

تشير المعلومات المتوافرة إلى أن هذا البلد الأفريقي يحقق إنجازا طيبا في مجال القضاء على ختان الأنثى، وهو ما يتضح مما يلى:

«يتميز مشروع Reach بتحقيق انخفاض ملموس في حالات البتر التناسلي للأنثى. فبعد سنة واحدة أظهر المشروع انخفاضا من ٤٥٨ حالة في سنة ١٩٩٤ إلى ٤٥ في سنة ١٩٩٦. ويعزى ذلك إلى وعي المجتمع بآثاره الضارة. ومن المتوقع أن يختفى الختان تقريبًا بين عامى ٢٠٠٠٠. إن برامج توعية المجتمع ينبغى أن يقوم بها ويدعمها القادة على كل المستويات».

(من موضوع تحت عنوان «البتر التناسلي يقل في أوغندا» نشرته في عام ١٩٩٧ (News From UNFPA'S).

ومن أوغندا أيضا نعرف أن المشروع نفسه السابق الحديث عنه في الفقرة السابقة قد وصل إلى مناطق متزمتة في تمسكها بالختان، بل يطرح بدائل جيدة له. فنقرأ أن استفتاء أجرى في عام ١٩٩١ أسفر عن الاعتراف بشعب سابيني سكانًا معزولين في مقاطعة كابشوروا عددهم ١١٦ ألف نسمة. وكان السابيني موضع اهتمام وطني وتقليدي طوال سنوات طويلة بسبب تمسكهم الشديد بتقاليد البتر التناسلي للأنثى كطقس المرور إلى الأنوثة ومرحلة المرأة.

ويحرص المشاركون على استكشاف واستعراض مخاطر البتر التناسلي للأنثى، مع التركيز ليس فقط على الأخطار المحدقة بالبنات اللاتي تجرى لهن العملية، ولكن أيضا على الصحة المستقبلية للأم والطفل، وخصوصا في أثناء الوضع. وتسعى مجموعة Reach جاهدة لتجنب الحساسيات المتعلقة بالموضوع. واقترح رئيس مجموعة كبار السن في كابشوروا استبدال طقس البتر بحفلة رمزية يتم فيها تقديم الهدايا وسط الغناء والرقص وجميع المظاهر الاحتفالية الأخرى، والتي تعتبر علامة على الاعتراف بالبنت كعضو كامل في المجتمع».

(من تقرير أعده. Eliah E. في Populi في عام ١٩٩٦ تحت عنوان «شعب سابيني في أوغندا يقوم برد فعل من أجل مستقبل صحى أفضل»).

### ليبيسريا ،

تقول المعلومات المتوافرة إن هناك جهدا تبذله جهات متعددة، حيث يقول تقرير لمنظمة اليونيسيف إن اللجنة الأفريقية تم تنشيطها في ليبيريا في عام ١٩٩٥، وتحت دعوة اللجنة الوطنية الليبيرية للتحرك بهدف القضاء على البتر التناسلي للأنثى في منطقة العاصمة وما حولها.

#### غاناه

فى استعراض للموقف فى هذا البلد الأفريقى نجد أن ٣٩٪ من الإناث قد أجريت لهن عملية الختان من النوعين الأول والثانى فى سن فوق ١٢ سنة . وفى استطلاع لأسباب إجرائها تبين أن ٤٥٪ بسبب ضغوط أبوية ، و٣٧٪ غير متأكدين ، و١٠٪ معتقدات ثقافية ودينية ، و٣٪ خزعبلات . وتبين أن ١٢٪ من النساء لم يستطعن الوصول إلى ذروة المتعة الجنسية .

(من موضوع منشور في مجلة أمراض وجراحة النساء في سنة ١٩٩٧ بقلم Elkins من موضوع منشور في مجلة أمراض وجراحة النساء في المناطق القروية في غانا).

وفى غانا أيضا نجد أن المرأة قد تحققت لها عدة مكاسب، من بينها تجريم الختان. وفى ذلك كتب . Okwabi A فى شهر مايو ١٩٩٥ يقول:

«تم تحقيق تقدم ملحوظ في السنوات الأخيرة نحو ترقية حقوق النساء في غانا. ففي عام ١٩٩٣ تم إقرار تعديل بقانون الاغتصاب، وتم تجريم البتر التناسلي للأنثى بواسطة البرلمان».

وكتب . Okwabi A أيضا عن غانا تحت عنوان «بدايات صحية» يقول:

«تم إنشاء المجلس الوطنى للسكان. إن تزايد الإصابة بالإيدز وكذلك الممارسات التقليدية الضارة مثل البتر التناسلى للأنثى، تؤدى إلى إحداث تأثير عكسي على الصحة الإنجابية».

وعن غانا أيضا يلاحظ أن الحركة المناهضة للختان تحظى برعاية واهتمام السيدة حرم رئيس الجمهورية. حول هذا الموضوع كتبت IAC Newsletter في عام ١٩٩٥، تحت عنوان «التشريع ضد البتر» تقول:

«تعتبر السيدة نانا كونا دو، السيدة الأولى في غانا، واحدة من المؤيدين للجنة الأفريقية فرع غانا (اللجنة الأفريقية IAC)، وكانت من المؤيدين لإصدار تشريع يحمى المرأة والطفل من الممارسات الضارة التي يندرج البتر التناسلي للأنثي تحتها. وقد نجحت في إخضاع القانون رقم ٢٩ لسنة ١٩٦٠ للتعديل بحيث يشمل عمارسة البتر التناسلي للأنثى. وكذلك المادة ٣٩ من الدستور التي تلغي كل الممارسات التقليدية الضارة، بحيث تكون متطابقة مع ميثاق حقوق الطفل. ويقضى التعديل بجعل البتر التناسلي للأنثى جريمة عقوبتها الحبس ٣ سنوات.

### أثيوبيا ،

فى تصورى أن هذا البلد الأفريقى هو المنبع الرئيسى الذى انتقل منه الختان إلى عدة دول مجاورة فى مقدمتها مصر القديمة فى أحد عصور تدهورها، وهو ما يفسر لنا سبب استمرار ممارسة الختان فى أثيوبيا. وحول هذه الممارسة تضمنت IAC لنا سبب استمرار ممارسة تخت عنوان «لماذا تتعرض الزهور الجميلة للتدمير دون كذب بالمرة»، الفقرة التالية:

«مازالت الممارسة واسعة الانتشار في أثيوبيا. وتبذل «كارلا على شجاه» ـ من لجنة المرأة ـ جهودا كبيرة لتعليم صناع القرار الآثار الضارة للبتر التناسلي للأنثى، وكذلك تضمينها المقررات والمناهج المدرسية».

لكنه يلاحظ أن جهودا طيبة تبذل من أجل ابتكار وسائل جديدة لمحاربة الختان. ويستشف ذلك من النشرة الصادرة في عام ١٩٩٦ عن UNFPA، متضمنة تقرير لجنة المشورة الفنية حول البتر التناسلي للأنثى، والتي انعقدت في أديس أبابا. ويقول هذا التقرير إن المشاركين في اللجنة المذكورة اتفقوا على ضرورة توفير مصادر دخل بديلة لمن يقومون بممارسة البتر، وعلى تعليم الوالدين.

### مسالى:

هذه هي الصورة الشاملة لأوضاع المرأة، والختان، في هذا البلد الأفريقي، كما أوضحتها وقائع المسح السكاني الصحى الذي أجرى في ١٩٩٥ ـ ١٩٩٦ :

فى عام ١٩٩٠ كان معدل الخصوبة ٢,٧، و٤٠ ٪ من النساء بين سن ١٩ - ١٩ سنة إما لديهن فعلا طفل أو حوامل. والغالبية تتزوج فى سن ١٦ سنة. ٤٠ ٪ من النساء المتزوجات و٢٧٪ من الرجال المتزوجين يعيشون حالة تعدد زواج. ٢٥٪ من البنات سن ١٥ نشيطات جنسيا. الحجم المثالي للأسرة ٢,٦ بالنسبة للنساء و٣,٨ للرجال. ٩٤٪ من النساء أجريت لهن عملية البتر التناسلي أساسا قبل بلوغهن سن ٧ سنوات.

وفى مالى أيضا ارتفع معدل الخصوبة فى عام ١٩٩٥ إلى ٧,١ وذلك وفق ما نشرته Mother Janes تحت عنوان «أرض يحكمها المطر. . القحط يعجل بتغيير الحياة التقليدية فى مالى» . وقد وردت الفقرة التالية فى المادة المنشورة :

«تزعم النساء في مالى أن الرجال لا عمل لهم سوى الصيد والكلام وانتظار النقود من النساء . ويعتبر البتر التناسلي وتعدد الزوجات من السمات الرئيسية».

وعن البتر التناسلي في مالى كتب Tangara A. Traore يقول: إن الممارسة ضاربة بجذورها بين النساء الماليات. وتتراوح درجة القسوة لتشمل أشكالا مختلفة، بين بتر الشفرين أو قطع جزء من البظر. ويتم عملها بواسطة أشخاص غير مدربين، وفي ظروف غير صحية. ومن الشائع حدوث مضاعفات والتهابات خطيرة. يستمر إبداء الآراء حول استمرارية العملية أو إلغائها.

(من مقال بعنوان «الختان-البتر التناسلي للأنثي» ١٩٩٥-١٩٩٦).

وفى مالى أيضا يوجد مشروع يحمل اسم «مشروع برادو لتوعية المراهقين» يبذل جهدا فى محاربة الختان. ويستخدم هذا المشروع نموذجا يتضمن خدمات الصحة الإنجابية للمراهقين، بهدف تقديم معلومات صحية للشباب فى منطقة باماكو، عن طريق وسيلة إعلامية جماهيرية ومدخل تسويق اجتماعى؛ حيث يندرج البتر التناسلي للأنثى تحت بند المعلومات الخاصة بالصحة الإنجابية.

#### تشاد :

تبين المعلومات المتاحة عن هذا البلد الأفريقي مدى انتشار الأفكار القديمة المتعلقة بالختان، خصوصا في بعض المناطق الحضارية:

عند جماعة سارا العرقية في منطقة سارح، وهي ثالث أكبر منطقة حضارية في تشاد يعتبر البتر التناسلي للأنثى جزءا لا يتجزأ من عملية الانتقال إلى مرحلة البلوغ، وذلك منذ أواسط القرن الثامن عشر. وتهدف الطقوس المصاحبة لها إلى تعليم شباب سارا كيف يصبحون أعضاء مسئولين في المجتمع، وتوقير أسلافهم، واحترام تقاليد الجماعة. وتتضمن التوجيهات طقوسا تعلم المرأة الصغيرة كيفية تحمل الألم والحرمان الجسدى بكل كرامة، ونبذ التصرفات الصبيانية.

٦ , ٠٨٪ من البالغات أجريت لهن عملية الختان في السنوات بين ٦ و١٢ سنة .
 ١٠ أصبن بنزيف حاد و٥٪ بالتهابات . أظهر ٥٠٪ أنهم يجرون الختان لبناتهن اتباعا للتقاليد، و١٠٪ لم يقرروا، ٣٨٪ عارضوا .

(من موضوع منشور في Social Science And Medicine في يوليو ١٩٩٦ بقلم Leonard L. تحت عنوان «ختان الأنثى في جنوبي تشاد: الأصول، المعنى، الممارسة الراهنة»).

### کینیا ،

فى هذا البلد الأفريقي أسفر المسح السكاني الصحى الذي أجرى في عام ١٩٩١ عن أن ٩٠٪ من الإناث أجريت لهن عملية بتر تتراوح شدتها بين الأنواع الثلاثة المعروفة، وكانت السن عند إجراء العملية من ١٠ إلى ١٤ سنة.

ويجتهد .Robertson C في تفسير الجذور الراسخة للختان في كينيا ، فيقول إن تلك الجذور كانت تمثل رد المرأة الكينية على إجراءات القمع في عهد الاستعمار ، وهي نفسها التي أدت إلى هذا الانخفاض الهائل في الممارسة .

(من دراسة بعنوان «البتر التناسلي للأنثى والحركة الجماعية ١٩٢٠ ـ ١٩٩٠).

وعن المساعى المبذولة للقضاء على الختان في كينيا، كتب .Kiragu J في AIDS في Kiragu J في AIDS في captions

«هناك منظمات في كينيا، منها الاتحاد الدولي للمحاميات وغيره، تبذل جهودا دائبة لتحقيق إصلاحات ملموسة تقلل من اعتماد المرأة على الرجل، وتحمى المرأة من العنف المحلى، ولتنفيذ القانون. ويعمل الاتحاد على التوعية بأن البتر التناسلي للأنثى جنحة تخضع للقانون.

### چامبیا:

الصورة المتاحة عن أوضاع الختان في هذا البلد تعطى انطباعا جيدا، برغم أن نسبة ممارسة الختان تصل إلى ٥٠- ٦٠٪، إذ إن الممارسة تدور في الأنواع الخفيفة من الختان. والمدهش أن المعلومات تقول إن المناقشات الجماعية ضد الختان بدأت في سنة ١٩٩٣، وإنه منذ ذلك الحين لم تسجل حالة ختان واحدة.

# الكاميسرون:

عن أوضاع الختان في هذا البلد الأفريقي، كتب Bille S و Effiom C في نشرة IAC عن الممارسات التقليدية في عام ١٩٩٥، ما يلي:

«فى المحافظات الشمالية والجنوبية والغربية ومنطقة العاصمة: حوالى ٤٠٪. وترتفع النسبة فى الشمال، كلهم مسلمون، ٦٣٪ مسيحيون، ٢٠٪ فقط يتم إجراؤها فى المستشفيات. وتتم مارسة هذا الطقس اتباعا للتقاليد الموروثة».

### ساحل العاج:

المعلومات المتاحة عن أوضاع الختان في هذا البلد تعطى صورة متوازنة، ونجدها في بيانات المسح السكاني والصحى الذي أجرى في عامي ١٩٩٤ ـ ١٩٩٥ ، حيث تقول النتائج إن ٤٣٪ من النساء أجريت لهن عملية البتر التناسلي للإناث.

### سيراليون:

من الواضح أن جهود محاربة الختان قد تغلغلت إلى عمق المشكلة في هذا البلد الأفريقي، وهو تجمع السحرة وممارسي الختان. وتحت عنوان «قادة المجتمعات السرية منهمكون في الحرب ضد البتر التناسلي للإناث» كتب oso Thomas O يقول:

«تحالفت الجبهة السيراليونية لرفاهية المرأة مع اللجنة الأفريقية حول الممارسات التقليدية المؤثرة على المرأة والطفل، ووضعت هدفا لها القادة Sowies وهم القادة للمجتمعات النسائية السرية لنشر التعليم حول مخاطر البتر. وهؤلاء القادة يعتقد أنهم قادرون على الاستعانة بأرواح السلف، ولديهم معرفة كاملة بكيفية استخدام الأعشاب، وهم الذين يقومون بعملية الختان. في البداية أبدى هؤلاء القادة مقاومتهم للاشتراك في برامج ينظمها أناس لا ينتمون لهم؛ لكن هذه العقبة تذللت على يد قائدهم في غرب سيراليون، وتم إطلاق برنامج تعليمي عن الأخطار الصحية للبتر؛ وتم تعليم عن الأخطار الصحية للبتر؛ وتم تعليم تعليم عدد مجتمع سرى بهذه الأخطار».

### أفريقيا الوسطى ،

المعلومات المتوافرة عن أوضاع الختان في هذا البلد الأفريقي مستقاة من المسح السكاني الصحى الذي أجرى في سنة ١٩٩٤ ـ ١٩٩٥ ، وفيها نجد أن محارسة الختان في المناطق الريفية تصل إلى ٥٧٪ ، وأن معدل الخصوبة ٥٪ ، ووفيات الأطفال ٩٦ في الألف، وتبين أيضا أن ٤ , ٣٤٪ من النساء أجريت لهن عملية الختان . وتشيع هذه العملية كثيرا بين الجماعتين العرقيتين «باندا» و «ماندجيا» (٩ , ٣٨٪ ـ ١٧٪) . وفي الإقليم الصحى ٩ ٩٪ . و٢٨٪ من النساء المختنات أجريت لهن العملية بين سن ٧ ـ الإقليم الصحى ٩ ، ٢٠٪ أبلغن عن حدوث مشاكل بعد العملية ، وبالذات النزيف الحاد ٥ , ٢٠٪ ، وآلام • ٤٪ ، والحمى ٥ , • ٢٪ . ويعتقد ٢ , • ٣٪ أن هذه الممارسة يجب أن تستمر ، في مقابل ٨ , ٥ ٥٪ يرون وجوب إيقافها . والنساء في بانجي وأيضا اللاتي تلقين تعليما ثانويا على الأقل يرين وجوب إيقافها .

وعن أسباب إجرائها قال ٩, ٦٩٪ إنها العادة التقليدية، و٥, ٢٥٪ إنهم يعتبرونها تقليدا جيدا، و٥, ١٢٪ إنه الحفاظ على العذرية. وأما الأسباب الرئيسية لنبذ البتر فهى: ٥٠٪ إنها تقليد سيئ، و٦, ١٤٪ إنها ضد الدين، و٥, ١٢٪ لمضاعفاتها الطبية.

### نيچيــريا ،

تبذل جهود طيبة في هذا البلد الأفريقي من أجل مكافحة الحتان؛ وهي جهود تتابعها اللجنة الأفريقية للممارسات التقليدية، والتي قالت في تقرير لها عن «تدريب المدربين في نيچيريا»: يظل العاملون في المجالات الطبية هم المصدر الرئيسي لأية خدمات صحية، ومنهم ممارسو العملية، وهؤلاء يجب إعلامهم بآثارها الضارة، فضلا عن أنهم يفتقدون أية خلفية دينية.

### غينيا بيساوه

تصور World Health Statistics الوضع في هذا البلد الأفريقي فيما نشرته بقلم Oslerbaan M. M.

«تصل نسبة الوفيات إلى ٩١٤ فى المائة ألف. وبالمقارنة بين أعراض الحمل لدى النساء اللاتى توفين والنساء اللاتى لم يمتن تبين أن الوفاة كانت بسبب البتر التناسلى للأنثى وخصوصا الأنواع القاسية منه. وتشيع الممارسة لدى أفراد القبائل، والتى ينتشر فيها الزواج فى سن مبكرة، كما ينتشر القوام الضئيل».

# الصيومال:

فى تصورى أن الصومال تشترك مع أثيوبيا فى كونهما المنبع الأساسى لانتشار الحتان فى بقية ربوع القارة الأفريقية. والصورة التى ترسمها المعلومات المتوافرة بشعة. . «فنجد أن نساء البدو يقمن بقطع البظر والشفرتين دون مخدر عند معظم

البنات في سن ٤ ـ ٨ سنوات، ثم يغطين الجرح بالصمغ. ويستخدمن أشواكا من شجرة السنط لإغلاق الجرح. ويقمن بشد وثاق ساقى البنت المختنة من الخصر إلى الكاحل، ولا يتم حل وثاقها إلا بعد مرور أسبوعين. وخلال سنة واحدة دخلت المستشفى ١١٨ امرأة مصابة بمضاعفات لهذه العملية».

(من تقرير نشرته مجلة World Health في نوفمبر ١٩٥٥ تحت عنوان «البدو الرحل في القرن الأفريقي » بقلم . Omar M. M و . Abu Omar M )

أما بقية صورة الوضع في الصومال فترسمها مجلة Medecine Tropicale في عام Allani R. و Hamdy M. تحت عنوان «دراسة لعادة الختان في الصومال» بقلم ، Hamdy M و .Bayoudh F و .Bayoudh S و .Ben Fredj N و نجد فيها ما يلي :

«قام الفريق الطبى المرسل إلى الصومال بإجراء مسح للنساء بين سن ٢٠-٦٠ سنة، قاصدين بالذات في مقديشيو تحديد مدى انتشار البتر التناسلي للأنثى، والجوانب الاجتماعية الثقافية والنفسية لهذه العملية والإجراءات المتبعة.

لقدتم إجراء البتر التناسلي لكل النساء. كما تعرضت ٨٠٪ منهن لأشد أنواع البتر، وكان معظمهن أصغر من ١٠ سنوات. وقد كانت المضاعفات كما يلى: ٦٠٪ التهابات، و٢٠٪ نزيف حاد، و١٠٪ مشاكل عند الوضع. وغالبا ما تستعمل القابلة سكاكين أو شفرات حلاقة ودون مخدر، وفي بعض الحالات استعملت الممرضات مقصات جراحية ومضادات حيوية ومخدر.

وتعتقد معظم النساء أنه من الواجب أن تُختن بناتهن بالطريقة نفسها. ويبين ذلك مدى شيوع البتر التناسلي حتى الآن في الصومال، وتأييد غالبية السكان له؛ برغم الخوف الذي خلفته التجربة لديهم».

### أوضاع الختان في مصر

لكى تكتمل الصورة التى أريد من خلال هذا الفصل أن أرسمها عن مدى انتشار ختان الإناث فى أفريقيا، لم يكن ممكنا أن أذكر مصر كما ذكرت غيرها من الدول أو أمر عليها مرور الكرام. ولذلك حرصت على أن أورد كل ما وجدته بين طيات

التقارير والدراسات والمقالات من آراء وتعليقات ومعلومات عن الختان في مصر. صحيح أننى سوف أتناول الموضوع بتفصيل أكثر عند الحديث عن الجوانب الدينية والقانونية وغيرها، إلا أننى فضلت أن أضع هذه الملامح مجتمعة لعلها تسهم في رسم الصورة المطلوبة.

«يتبين من إحصاء صحى أجرى في سنة ١٩٩٥ على ١٤٠٠ سيدة متزوجة بين ١٤٠٠ سنة أن ٩٧٪ منهن قد ختن. وكانت سنة ١٩٩٤ قد شهدت إنشاء وحدة عمل ضد البتر التناسلي. وقد بدأت وسائل الإعلام تنشر قصصا عن وفيات ناجمة عن البتر. ويبقى على أية حال أن التحديات قائمة وتتمثل في قضية رفعها أمام المحاكم مجموعة من أساتذة طب النساء يزعمون فيها أن حظر العملية في المستشفيات سيكون من نتيجتها إجراؤها سرا، عما يعرض صحة النساء للخطر».

(من موضوع كتبه Abdil Hadi A في يناير ١٩٩٧).

وعن وضع الختان في مصر كتب .Vause S و Khaled K في المحتان في مصر كتب .Vause S وعن وضع الختان في مصر كتب . Vause S وعن وضع الختان في عام ١٩٩٦ ، تحت عنوان «البتر التناسلي للأنثى ـ إساءة مستمرة» يقو لان :

«هذه العملية قانونية في مصر إذا أجراها طبيب. ومؤخرا أصدرت المنظمة المصرية لحقوق الإنسان تقريرا قالت فيه إنه يتم يوميا ختان ٣٦٠٠ فتاة في البلد، وهو ما يعني أن ٩٥٪ من الفتيات قد خُتن حتى سن ١٦ سنة في المناطق الريفية و٧٧٪ من البنات في القاهرة. وفي كل أنواع البتر التناسلي للأنثى يشيع حدوث المضاعفات. وهناك وصف متوافر لحالة ثلاث سيدات أجرين عملية العدل، فماتت اثنتان منهن بعد العملية. والعدل هو عملية تنطوى على إعادة صياغة الختان الأصلى بقصد تضييق الفتحة لتعطى حالة تشبه العدرية. وعادة ما تقوم بإجراء عملية العدل قابلة محلية تحت مخدر موضعى. ومعروف أن الشفاء نادر في منطقة مشوهة أصلا، كما أن حدوث الالتهابات وارد بشدة. ويبدو أن عملية العدل قديمة بنفس قدر قدم الختان».

وقد اهتمت المجلة الطبية البريطانية بعرض الوضع الراهن للختان في مصر من خلال موضوع نشرته في أغسطس ١٩٩٦، بقلم .Wiens J ، تحت عنوان «البتر التناسلي للإناث راسخ في مصر»، فقالت:

«على إثر وفاة طفلة عمرها ١١ عاما، منعت الحكومة المصرية أى طبيب فى المستشفيات التابعة للحكومة من إجراء عملية ختان. وقد تحولت السياسة الصحية المصرية من محاولة إلغاء الختان بإيقافه تحت الإشراف الحكومي، إلى إدانته. ففى أكتوبر ١٩٩٥ منع وزير الصحة تنفيذ الختان في أية مستشفى للدولة، وهو ما يتناقض تماما مع قرار أصدره سنة ١٩٩٤ يطلب من مستشفيات الدولة تخصيص يوم كل أسبوع لهذه العملية.

وقد جاءت هذه القيود إثر حادث وقع في شهر يوليو ١٩٩٦ عندما ظلت طفلة في الحادية عشرة من عمرها تنزف حتى الموت في المنصورة بعد أن قام حلاق بختانها. وقد تحول البتر التناسلي للأنثى في مصر من مجرد عادة مقبولة إلى قضية سياسية ساخنة، بعد أن قامت شبكة CNN بعرض وقائع ختان طفلة في التاسعة من عمرها في القاهرة. وقد أثار هذا الفيلم الحرج لدى المصريين وأشعل هبة من جانب الجماعات النسائية والمنظمات غير الحكومية. وتشير الإحصاءات التي أجرتها وزارة السكان السابقة في عام ١٩٩٤ إلى أن ما يقدر ب٧٠- ٩٠٪ من النساء المصريات قد ختن. إلا أن مسحا حديثا يرتفع بهذه النسبة إلى ٩٧٪ في كل من الريف والحضر. ويبدو أن هذه الممارسة راسخة في كل من التقاليد الأفريقية والمعتقدات الدينية، بالرغم من أن كثيرا من الدول الإسلامية لا تمارسها. ويبدو أن العامل الرئيسي هو بالرغم من أن كثيرا من الدول الإسلامية لا تمارسها. ويبدو أن العامل الرئيسي هو طبيب نساء في الجامعة يعلم طلبته أن الختان أكثر صحة للنساء. وهناك مجموعات مثل مجلس السكان تأمل في أن يساعد التعليم والنقاش العام على وقف هذه العملية».

وتحت عنوان «السياسة المصرية في البتر التناسلي تفشل في منع وفاة الفتيات» قالت نشرة Reporductive Freedome News في سبتمبر ١٩٩٦ :

«النوع المطبق في مصر للبتر التناسلي للأنثى هو أقسى الأنواع حيث تتم إزالة البظر والشفرين. وتؤدى هذه العملية إلى تخفيض معدل الحساسية الجنسية لدى المرأة وتسبب لها الآلام والمشاكل النفسية وخطر التعرض للنزيف الحاد والالتهاب. وتقول

التقديرات إن ٨٠٪ من الفتيات المصريات يتم ختانهن. وفي عام ١٩٩٤ قررت وزارة الصحة المصرية السماح فقط للأطباء في المستشفيات الحكومية بإجراء البتر التناسلي. وقد تم إقرار هذه السياسة في إطار جهد يهدف لإضفاء الأمان على عملية يبدو أنها حتمية. على أية حال فإنه تم العدول عن هذه السياسة في أكتوبر ١٩٩٥ بعد أن قام المدافعون عن حقوق المرأة وصحتها بتوجيه النقد إليها على اعتبار أنها موافقة من جانب الحكومة على البتر التناسلي. وتوفيت في ١٦ يوليو ١٩٩٦ فتاة من دلتا مصر في الحادية عشرة من عمرها نتيجة للبتر التناسلي. على إثر ذلك قام وزير الصحة بفرض حظر على كل الأطباء ينعهم من القيام بعملية البتر. وبعد شهرين، وفي ٢٤ بفرض حظر على كل الأطباء عنعهم من القيام بعملية البتر. وبعد شهرين، وفي ٢٤ أغسطس توفيت فتاة في الرابعة عشرة من عمرها من جراء النزيف. إن هذه الوفيات مؤخرا تمثل تحديا لفعالية المحاولات المصرية الجديدة لمنع البتر. فالأطباء والقوابل في مصر يجرون آلاف العمليات كل عام. هؤلاء من الناحية النظرية معرضون لعقوبات جنائية لإجرائهم عملية جراحية دون رخصة ؛ لكن القوانين نادرا ما تنفذ. وفوق ذلك، وبرغم هذه الترتيبات الموجودة، فليست هناك في القانون المصرى أية مادة تجرم البتر التناسلي للأثثي».

كذلك أبدت مجلة Sex Weekly Plus في عام ١٩٩٦ اهتماما بأوضاع البتر التناسلي للإناث في مصر، حيث كتبت:

«تقول التقديرات إن ٧٠- ٨٠٪ من الفتيات في مصر تجرى لهن عملية البتر، قبل بلوغهن مرحلة البلوغ الجنسى. ويعتقد كثير من المصريين أن هذه العملية من تعاليم الإسلام. ومع افتراض صحة ذلك فإنها تبقى موضوعا للنقاش بين المثقفين المسلمين. وهناك بعض المسيحيين المصريين يجرون هذه العملية لبناتهم. والقانون يمنع أى فرد ليس لديه تدريب طبى من إجراء عملية البتر. وأى طبيب أو عامل صحى يتسبب في إحداث ضرر دائم لفتاة يمكن أن يواجه من ٣- ١٠ سنوات من الأشغال الشاقة. وعلى أية حال فإن القانون دائما ما يتم تجاهله، خصوصا في المناطق الريفية حيث يقوم الحلاقون والقوابل بإجراء هذه العملية».

كذلك اهتمت نشرة Inter African Committee News Letter بأوضاع الختان في مصر، فقالت في عام ١٩٩٥ تحت عنوان «قرار متضارب عن البتر التناسلي للأنثي»:

«فى شهر أكتوبر ١٩٩٤، قال وزير الصحة المصرى - فى أثناء انعقاد المؤتمر وعرض فيلم يصور إجراء عملية بتر على شاشة الـCNN - إن البتر التناسلى للأنثى يجب أن يحظر وأن يعاقب من يقومون بإجرائه . وعقد اجتماعا مع الأطباء والقادة الدينيين والخبراء القانونيين وممثلين عن المنظمات غير الحكومية ، وأصدرت المجموعة بيانا أدانت فيه البتر على أسس دينية وطبية . وعلى أية حال فإن الوزير خصص عدة مستشفيات يمكن فيها في يوم واحد من الأسبوع إجراء عملية البتر إذا فشل المجلس الطبى في إقناع الوالدين بالإقلاع عن إجرائها . وقد قامت اللجنة الأفريقية للممارسات التقليدية التي تؤثر على صحة الأم والطفل بإنشاء مجموعة عمل لوضع الاستراتيجيات الكفيلة بالقضاء على البتر التناسلي للأنثى في مصر دون أية إجراءات وسطة لإضفاء الصفة الطبية على هذه العملية » .

وقد عبرت CEDPA Network عن اهتمامها بالجهود التي تبذل في مصر لمحاربة الحتان، بما نشرته في يناير ١٩٩٧ تحت عنوان «الملكية الجماعية تحفز البنات على التعلم»، وقالت فيه:

«فى صعيد مصر أنشأت منطمة إيفا نجيلية قبطية لجنة محلية للخدمات الاجتماعية قامت بجولة فى كل البيوت، الهدف منها الحث على زيادة تعليم البنات ومقاومة الممارسات التقليدية الضارة مثل البتر التناسلي للأنثى والزواج المبكر. وتتوجه جهود منع البتر إلى أمهات البنات في سن ٧- ١٠ سنوات. وفي خمس من هذه اللجان أدت هذه الجهود إلى التوقف الطوعى عن البتر خلال السنوات العشر الماضية».

وتحت عنوان «البتر التناسلي في مصر: نظرة تاريخية»، كتب. Tobia N. وتحت عنوان «البتر التناسلي في مصر: نظرة تاريخية»، كتب Kirberger E. و dolph K.

«توجد في مصر، ومنذ الثلاثينيات على الأقل، حركة مناهضة للبتر التناسلي للإناث. واليوم فإن هناك نساء لم يختن. ومع ذلك فإنهن يختن بناتهن، الأمر الذي يشير إلى أن العملية في تزايد. وخلال الخمسينيات شنت إحدى المجلات النسائية حملة ضد العملية فقام وزير الصحة العمومية بمنع إجرائها في المستشفيات العام في سنة ١٩٥٩. وفي عام ١٩٧٩ عقدت جمعية تنظيم الأسرة في القاهرة مؤتمرا قوميا حول البتر التناسلي وتوصلت فيه إلى إجماع بأنه ضار ولا يتطلبه أي دين. وفي عام

١٩٨٥ بدأت جمعية تنظيم الأسرة مشروعا للقضاء على البتر، وبث الحرارة فى المجتمع المصرى، لمنع الممارسات الضارة ضد المرأة والطفل، ومازال مستمرا حتى الآن. ونجحت منظمة إيفانجيلية قبطية فى القضاء على البتر فى قرية من قرى صعيد مصر المحافظ. وشهد عام ١٩٩٤ إنشاء مجموعة العمل بشأن البتر والتى تضم مجموعة كبيرة من الأفراد والمنظمات فى عضويتها. وتجتمع هذه المجموعة شهريا وترعى جهودا بحثية وأيضا مجموعات تعبئة محلية».

(Information Network For Bodily Integrity of Women :الصدر)

وبقلم الكتاب الثلاثة المذكورين في الفقرة السابقة، وفي الشبكة نفسها المشار إليها أعلاه، يتبدى الاهتمام نفسه بأوضاع الختان في مصر، فيما نشروه تحت عنوان «الصراع السياسي والقانوني حول البتر التناسلي للإناث في مصر قبل وبعد المؤتمر الدولي للسكان». وقالوا فيه:

"من المسلم به أن البتر التناسلي للأنثي أصبح موضوعا سياسيا ساخنا في مصر منذ انعقاد المؤتمر الدولي للسكان والتنمية في سنة ١٩٩٤ . فقبل هذا المؤتمر لم يكن للبتر مكان على جدول الأعمال الإسلامي، رغم أن العملية كانت موضع اهتمام عدة منظمات غير حكومية . وقد تراوحت المواقف نحو البتر بين آراء كثيرة تدور حول أوضاع المرأة ومحاولات السيطرة عليها وعلى رغباتها الجنسية . وقد أدى الفيلم الذي أذاعته شبكة CNN ويصور عملية بتر إلى إجبار الحكومة على إدانة العملية وقطع عهد للمجتمع الدولي بأنها ستعمل على القضاء عليها . ولكن مؤسسة الأزهر الإسلامية شنت حملة مضادة لإلغائها بعد المؤتمر ؛ في محاولة لإخماد أية محاولة للتحرك نحو تحرر المرأة ولإحراج الحكومة . وتضمنت الحملة تصوير عملية البتر على أنها جزء من الهوية الثقافية لمصر يجب الحفاظ عليها لمقاومة الهيمنة والتحكم الغربيّن . وكانت عملية البتر قضية آمنة للجماعات الإسلامية للتقدم نظرا لعلمهم بأن الحكومة لن تنجح في استخدام التشريع للقضاء عليها . واستجاب وزير الصحة للضغوط بأن تنجح في استخدام البتر يجب أن تتم على يد الأطباء . أما فضيلة المفتى ، وهو المفسر الرسمي للإسلام ، فقد أحال الأمر ببساطة إلى الأطباء . ولم يكن بوسع المحاربين من أجل تغيير أوضاع النساء إضفاء أية حساسية أخرى إلى القضية سوى اللجوء إلى الرسمي للإسلام ، فقد أحال الأمر ببساطة إلى الأطباء . ولم يكن بوسع المحاربين من أجل تغيير أوضاع النساء إضفاء أية حساسية أخرى إلى القضية سوى اللجوء إلى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التشريع في محاولة لتغيير المواقف. فتم رفع قضايا أمام المحاكم كوسيلة لزيادة الوعي حول الطريقة التي استخدم بها البتر أداة سياسية. وتحمل هذه القضايا في ثناياها احتمال الخسارة والفشل. وقد رفعت قضايا على وزير الصحة لانتهاكه ميثاق أخلاقيات الطب والقرار الوزاري الصادر في سنة ١٩٥٤، القاضي بجنع البتر في المستشفيات العامة. ورفعت أيضا قضية ضد الأزهر على أساس أنه خرج عن المستشفيات العامة. ورفعت أيضا قضية من الإسلام، في حين أن المفتى وحده هو صاحب السلطة في إصدار الفتاوي».

# الختان في أوروبا

ليس غريبا أن نتحدث عن ختان الإناث في أوروبا، بعد أن أصبح ظاهرة موجودة وملموسة في الحياة اليومية في معظم الدول الأوروبية، وخصوصا تلك التي تستقبل المهاجرين إليها من الدول التي يمارس فيها الختان أصلا. وسويا نستعرض أوضاع الختان في بعض دول القارة الأوروبية.

#### بريطانيا ،

«فى خلال العقود الأخيرة هاجرت إلى بريطانيا جماعات عرقية تمارس البتر. والجماعات الرئيسية هى من أريتريا، وأثيوبيا، والصومال، واليمن. والبتر التناسلي للأنثى غير قانونى فى بريطانيا من عام ١٩٨٥؛ لكنه يمارس بطريقة غير قانونية. ويتم إرسال الأطفال إلى الخارج لإجراء العملية. وهو نوع من الإساءة للأطفال تترتب عليه مشاكل خاصة. وعلى افتراض أن حجم السكان فى بريطانيا من الجماعات العرقية ـ الذين يمارسون البتر ـ سيبقى دون تغيير، فإن التأقلم والتثقيف ربما يؤدى بالممارسة إلى الاندثار خلال عدة أجيال. وفى هذه الأثناء فإن هناك الكثير عمله، هناك مؤامرة صمت فى الدوائر الطبية، وهناك أيضا تجاهل واسع المدى. لقد آن الأوان لأن توضع المشكلة موضع النقاش الواسع»

(من مقال بعنوان «البتر التناسلي للأنثى في بريطانيا» بقلم .Debelle G و .Debelle G و .British Medical Journal في A.

وفى بريطانيا أيضا يحظى الموضوع باهتمام كبير من أجل إيجاد حل له. وقد كتب Walder R. في المجلة الطبية نفسها السابق ذكرها في سنة ١٩٩٥، يقول:

«أصبح البتر التناسلي للأنثى أمرا غير قانوني في بريطانيا منذ عشرة أعوام تقريبا (منذ عام ١٩٨٥). وتقول التقديرات إن هناك ٢٠٠، ١٠ فتاة وامرأة صغيرة مازلن معرضات للخطر. ويميل أهل الطب والقانون في بريطانيا بشكل تقليدي إلى تجاهل أو تحاشي هذه القضية الحساسة. وقد ساعدت البيروقراطية البريطانية على بقاء هذه الممارسة من خلال عجز مؤسسات مثل الخدمات الاجتماعية، ووكالات مساعدة الأطفال، وجماعات مساعدة المهاجرين، وجماعات النساء، ووكالات حقوق الإنسان، والمدرسين، وخدمات الهجرة والأطباء، من خلال عجز كل هؤلاء عن العمل سويا لحل المشكلة. ويجب تشكيل لجنة تضم جميع الوكالات. وتقوم وكالات عديدة بنشر معلومات عن مدى وطبيعة الممارسة، لكن هذه المعلومات لا تصل إلا إلى مجموعة ضعيفة من الأفراد».

وعن الأوضاع فى بريطانيا أيضا كتب . Maccaffry M. وعن الأوضاع فى بريطانيا أيضا كتب . Therapy قى Therapy ، تحت عنوان «البتر التناسلي للأنثى ـ العواقب على الصحة الإنجابية والجنسية» يقول:

«فى مستشفى ورثويك بارك فى بريطانيا تسببت النساء المختنات المهاجرات من دول مثل الصومال والسودان فى إثارة تحديات هائلة أمام الأطقم الطبية. فأنشأت المستشفى عيادة للنساء الأفريقيات عادتها ٥٠ امرأة. وقد عرض على النساء إجراء عمليات محو للبتر، وذلك قبل أن يحملن، لكن النساء المختنات رفضن. وبرغم أن المترددات على العيادة يقررن أنهن لا يعتزمن بتر أطفالهن الإناث، فإنهن يتعرضن لخطر الوقوع تحت الضغوط من قبل العائلة عندما يقمن بزيارة بلادهن».

#### فربسا ،

حول الأوضاع السائدة في فرنسا، نجد معلومات جيدة نشرتها المجلة الطبية البريطانية في عام ١٩٩٥ بقلم. Gallard C. تحت عنوان «البتر التناسلي في فرنسا»، قال فيها:

«في البداية قامت الجمعية الفرنسية لتنظيم الأسرة في عام ١٩٧٧ بالاحتجاج لدى منظمة الصحة العالمية على استمرار صمتها عن «البتر التناسلي للأنثي» للفتيات في

أفريقيا والشرق الأقصى. ومع أن الجهد أساسا كان منصبا على الاهتمامات النسوية وحقوق المرأة، ثم على خبرة الجمعية في موضوع البتر، فإن نتيجة الممارسة أصبحت حقيقية وظاهرة للعيان في مراكز رعاية الأم والطفل وعيادات تنظيم الأسرة، مع وصول زوجات المهاجرين الأفارقة وعائلاتهن عبر السنين القليلة الماضية. وتقول التقديرات إن حوالي ٠٠٠، مهاجر أفريقي يعيشون في منطقة باريس، وكان رد الفعل الأولى إزاء سعة الانتشار هو عدم التدخل في ممارسات الثقافات الأخرى. وقد مر وقت طويل قبل رفع الوعي بين أهل الطب والقضاء والرأى العام بأن المشكلة بدأ النظر إليها على أنها شيء تتحتم مواجهته في فرنسا. وكان حتما أيضا أن تودى هذه العملية بحياة فتاتين في سنة ١٩٨٢ لكي تبزغ القضية إلى العلن وتواجه السلطات بحيث تتخذ موقفا ضد ممارستها في فرنسا. وبدأ تعليم الأطباء والنساء الذين يحضرن إلى عيادات تنظيم الأسرة كل شيء عن البتر التناسلي في محاولة لمنع استمرارية ممارستها».

### السويد:

وعن أوضاع الختان في السويد كتب .Y Tindberg في السويد حوالي ١٦٠٠ عنوان «ختان الأنثى يلقى معارضة»، يقول إنه توجد في السويد حوالي ١٦٠٠٠ امرأة أصولهن من دول يمارس فيها البتر. من بين هؤلاء ١٦٠٪ من الصومال أو أثيوبيا و ١١٠٠ منهن في سن الإنجاب. و ١٥٠٠ فتاة تحت سن ١٨ سنة وهن معرضات للبتر إذا لم يكن قد تم إجراؤه لهن بالفعل. وقد صدقت السويد على اتفاقية الأم المتحدة لحقوق الطفل، ومنذ عام ١٩٨٢ هناك قانون سار يمنع البتر، ويقيم عدد كبير من اللاجئين في فوردبرو، في مقاطعة هاننجو، جنوبي أستوكهولم منذ عام ١٩٩٢. وتقيم هناك ٣٥ عائلة من جنوب أفريقيا، وثلثهم من الصومال. وقد واجهت وكالة الرعاية الصيحة للأم والطفل عدة مشاكل تتعلق بالبتر. فالعائلات تطالب بإجراء الحتان القاسي على النساء بعد الولادة، وطلبت بعض العائلات إجراء ختان لبناتهن المولودات حديثاً. وقد نظمت الوكالة جلسات لمدة شهر تنعقد في الأمسيات وتدعى البتر التناسلي للإناث».

# الختان في قارة آسيا

#### الهنسد:

ترسم المعلومات صورة غير طيبة لمعاناة المرأة الهندية، فتقول الكاتبة . Sarin A. R تحت عنوان «التمييز الجنسي - مضاعفاته على صحة المرأة الهندية»:

«تعانى النساء من قلة الفرص المتاحة أمامهن للحصول على الخدمات الصحية في أنحاء كثيرة من البلاد، ومن الإجهاض غير الآمن وما يتعلق به من وفيات الأمهات، والانتشار الواسع للبتر التناسلي، والنسبة العالية لوفيات الأطفال الإناث».

(من مجلة Journal of Obse & Gyn Family Welfare)

وحول الموضوع نفسه كتب. Mully S تحت عنوان «حان أوان اتخاذ موقف» في Indian Medical Tribune يقول:

إن إعلان استنكار العنف ضد النوع (الجنس) قد أدى إلى تخفيض مفتعل في عدد الإناث في العالم لما بين ٦٠ ـ ١٠٠ مليون. وكذلك تفضيل الابن الذكر وقتل النساء (غالبا في نيران المطبخ). ومن المحتمل ألا ينفذ قانون منع الانتقاء الجنسي قبل أواخر 1997.

### باكستان:

المعلومات المتوافرة عن الوضع في باكستان نجدها منشورة في Health Promotion المعلومات المتوافرة عن الوضع في باكستان نجدها منشورة في المجتمعات في عام ١٩٩٦ بقلم Ali S. يقول فيها ؛ تحت عنوان «الإيدز والمجتمعات الإسلامية»:

«عقدت الجمعية الباكستانية لمنع الإيدز اجتماعا على شبكة الإنترنت لاستكشاف علاقة المفاهيم الدينية والسياسية الإسلامية بالإيدز والعناية الصحية وحقوق

الإنسان. وقد لوحظ أن تفسير الآيات القرآنية غالبا ما يساء استخدامه لإنكار مساواة النساء. وأن أساليب الزواج تزيد من تعرضهن للظلم من حيث النوع (الجنس). وقد تحت توصية الرجال والنساء بأن يدرسوا القرآن ليحاربوا التعاليم غير الدقيقة بما في ذلك المبررات التي تساق لممارسات مثل البتر التناسلي للإناث».

## الختان في قارة أمريكا الشمالية

### الولايات المتحدة الأمريكية :

تتوافر معلومات كثيرة عن أوضاع الختان في الولايات المتحدة الأمريكية وعن الجهود المبذولة لمكافحته، وخصوصا من الناحية التشريعية والقانونية. وتقول هذه المعلومات:

«فى الولايات المتحدة الأمريكية توجد ، ، ، ، ، ، ، ، ۱ فتاة إما يتعرضن لخطر إجراء العملية أو تم اجراؤها لهن بالفعل. ويعيش نصفهن تقريبا فى المناطق الحضرية وسط مجموعات كبيرة من المهاجرين فى نيويورك وواشنطون ولوس أنجلوس وهيوستون ونيوآرك ونيوجيرسى ودالاس وبوسطون. وهناك ٤١ ولاية بدأت تنظر فى إصدار قوانين ضد هذه العملية».

(من مقال بقلم .N Macready N تحت عنوان «تجريم البتر التناسلي للأنثى في المولايات المتحدة الأمريكية» - في المجلة الطبية البريطانية ١٩٩٦)

وحول الموقف في الولايات المتحدة قال . Bashir L. M. في عام ١٩٩٧ في الولايات المتحدة قال . معادلة قسوته بتسامح الثقافة» :

«لقد جعل المهاجرون من الدول الأفريقية والآسيوية التي يمارس فيها البتر من هذه العملية قضية صحية عامة في الولايات المتحدة الأمريكية. ففي عام ١٩٩٦، ووفقا لتقديرات مراكز رقابة الأمراض ومنعها، توجد أكثر من ٢٠٠٠، وقد أدانت وفتاة في الولايات المتحدة الأمريكية معرضات لخطر إجراء البتر. وقد أدانت

الجمعيات الطبية الأمريكية هذه العملية. وفضلا عن ذلك فإن القانون يخول إدارة الخدمات الصحية والإنسانية سلطة تعليم المجتمعات المشتملة على جماعات عرقية تمارس العملية الأضرار الجسدية والنفسية المترتبة عليها. والمفروض أن يثير تجريم البتر التناسلي للأنثى جوا من التعصب ضد هذه العملية، لكن الشواهد الواردة من دول أخرى تقول إن هناك حاجة لإجراءات إضافية».

وحول قصة الفتاة التوجولية التي طلبت منحها حق اللجوء إلى الولايات المتحدة الأمريكية، نشرت Reproductive Freedome News القصة على النحو التالى ؟ تحت عنوان «الولايات المتحدة تمنح حق اللجوء للنساء الهاربات من البتر التناسلي»:

«فرت Fawzia Kasinga إلى الولايات المتحدة الأمريكية من توجو سنة في ١٩٩٤، وهي في السابعة عشرة من عمرها بعد أن أجبرتها إحدى عماتها على الزواج من رجل عمره ٤٥ عاما وله ثلاث زوجات. وقدتم احتجازها من ديسمبر ١٩٩٤ حتى أبريل ١٩٩٦، في انتظار صدور قرار من مجلس طلبات الهجرة حول طلبها اللجوء السياسي. وقدتم منحها هذا الحق بأغلبية ١١ صوتا ضد صوت واحد في قرار صدرفي يوم ١٣ يونيو على أساس أن فوزية تخاف أن تجبر على إجراء عملية البتر التناسلي إذا أعيدت إلى توجو. وهذه هي المرة الأولى التي يحكم فيها المجلس بأن البتر التناسلي يمكن أن يكون سببا لمنح حق اللجوء».

«وقد صورت صحيفة New York Times الموقف في بلادها في مقالة كتبتها Crosette B. تحت عنوان «إجراء المهاجرين للبتر التناسلي للإناث يصبح مصدرا للقلق في الولايات المتحدة»، قالت فيه:

"يتم اقتراف هذه العملية في الولايات المتحدة الأمريكية، حتى بين الآباء المتعلمين جيدا، والذين يؤمنون بأن البنات يجب أن تجرى لهن العملية حتى يصبحن مقبولات اجتماعيا وصالحات للزواج. وتسود هذه العملية في المجتمعات التي يوجد فيها تمركز من المهاجرين العرقيين من بعض دول أفريقيا والشرق الأوسط. وقد اقترح عضوا الكونجرس ريد من ولاية نيفادا، وشرويدر إصدار قوانين تجعل البتر التناسلي للأنثى جريمة. ومثل هذه القوانين ستكون شبيهة بما هو موجود في بريطانيا وفرنسا. وقد أصدرت ولايتا مينيسوتا ونورث داكوتا قوانين تمنع هذه

العملية. وتم اقتراح قوانين مماثلة في نيوجيرسي ونيويورك. ويستخدم البتر التناسلي للإناث أيضا كأساس لطلب اللجوء، وقدتم منح اللجوء في حالات في أوريجون وفيرجينيا، لكنه رفض في ميريلاند. وهناك فتاة عمرها ١٨ سنة تطلب إبطال أمر ترحيل أصدره قاض من بنسلفانيا على أساسا أن طلبها للجوء غير مقبول. وتقوم جماعة المساواة بشن حملات حول حقوق المرأة وحماية المرأة من الخوف من عملية البتر، وتقول الحجة إنه يبدو أن القضاة لا يقبلون خوف المرأة من عملية البتر كسبب جوهري للهجرة، وتقول حجة القضاة إن هذه العملية لا تفرضها الحكومات في إطار سياسي ولهذا فإنهم يرون أن المرأة لديها الخيار في رفض هذه العادة.

وقد أصدر الكونجرس الأمريكي أخيرا قانونا يجعل البتر جنحة عقوبتها تصل إلى خمس سنوات في السجن. ويخول القانون محاكمة أي شخص يقوم بالختان أو يزيل أي جزء من الأعضاء التناسلية الأنثوية لأي شخص آخر لم يصل إلى سن الثامنة عشرة، ويمكن أيضا محاكمة الآباء الذين يرتبون لهذه العملية ».



# الفصل السادس التشريع كجزء من الحملة ضد الختان

دار نقاش كثير حول إصدار التشريعات والقوانين كوسيلة للقضاء على الختان، وثارت معارضة كبيرة ضد ذلك، وكان السبب هو القضايا المعقدة التي تحيط بالختان. ومن المؤكد أنه لو أقدمت عدة دول على إصدار مثل هذه التشريعات، فإن دولا أخرى كثيرة ستتردد في إصدارها؛ خصوصا إذا ما كانت غالبية شعوبها تمارس هذا الطقس. وترجع بعض المصادر هذا الوضع إلى أسباب عديدة:

ا ـ هناك مشاكل عرقية مترسخة مرتبطة بالاضطهاد، عندما كان محارسو الختان يتعرضون للعقاب القاسى تحت القوانين والتشريعات التى وضعها حكومة الاستعمار، وكانت بمقتضاها «تحتقر» الثقافات «الهمجية» الوطنية. وعندما كانت كينيا تناضل للحصول على استقلالها ـ تحت قيادة جومو كينياتا ـ فإن الختان أصبح رمزا وطنيا للحرية (وإن كانت كينيا قد منعت الختان عام ١٩٩٠).

٢ ـ الختان ضارب بجدوره في الدول التي تمارسه فيها الأغلبية. وهناك مخاوف
 من أن تؤدى التشريعات إلى جعل الختان عملية تجرى في الخفاء وتزداد المخاطر التي
 تتعرض لها البنت، ومن ثم يؤدى التشريع إلى تعقيد الأمور أكثر.

٣- إن القادة السياسيين مترددون في إقرار التشريعات بسبب كون الختان ضاربا بجذوره وهم يدركون أن معاقبة أولئك الذين يجرون العملية لن يؤدى إلى القضاء عليها. بل إنهم يخشون من أن يؤدى ذلك إلى عكس المقصود منه فيتعزز موقف الختان. هذا إلى جانب قلة الاعتمادات المتوافرة، والتي يمكن تخصيصها للتوعية بخطورة الختان.

أما في خارج إفريقيا، فنجد أن بعض الدول الغربية قد أصدرت تشريعات معينة لمنع ممارسة البترالتناسلي للأنثى، من منظور حقوق الإنسان والصحة، وذلك كإجراء لمواجهة الأعداد المتزايدة من المهاجرين إلى هذه الدول الذين يمارسون الحتان. ففي كندا على سبيل المثال التي تستقبل سنويا أكثر من ٢٠ ألف لاجئ سياسي من المضطهدين في بلادهم وضعت منذ ثلاث سنوات قواعد جديدة لـ «اللجوء الاجتماعي» للنساء اللاتي يتعرضن للاضطهاد وأعمال العنف من أزواجهن في بلادهن، وقد قبلت طبقا لتلك القواعد فتيات من دول إفريقية طلبن اللجوء إلى كندا خوفا من عملية الختان التي تفرض على جميع الإناث في مجتمعاتهن، وطبقا للقانون الكندي تعتبر عملية الختان جريمة يمنع أي طبيب من إجراثها وإلا تعرض للعقاب، كما يحاكم ولى الأمر المسئول عن الفتاة التي ترتكب هذه الجريمة في حقها.

والولايات المتحدة الأمريكية أيضا سوف تشهد في العام القادم صدور تشريع جديد يحرم الدول التي تمارس البتر التناسلي من الحصول على قروض ومنح من البنك الدولي وصندوق النقد الدولي، وتشريع آخر بمنح حق اللجوء إليها لمن تهرب من إجراء عملية الختان لها في بلدها.

والملفت للنظر أن عملية الختان تظل ضاربة بجدورها لدى المهاجرين الذين يلجئون للدول الغربية، برغم منحهم حق اللجوء واكتسابهم للعادات القائمة في دول المهجر. فنجد أن الأبوين يبحثان عن شخص بين المهاجرين الذين سبقوهم إلى هذا البلد الغربي يكون لديه الاستعداد لإجراء عملية الختان للأطفال، وغالبا ما يجدونه فعلا. وفي أحيان كثيرة فإن الأبوين يعيدان بناتهما إلى القرى التي جئن منها كي يتم ختانهن هناك.

هذه النقطة الأخيرة نجد أبلغ تعبير عنها في البرقية التي نقلتها وكالة أنباء الشرق الأوسط من العاصمة السنغالية في يوم ٢ / ١٠ / ١٩٩٧، وقالت فيها إن أنباء صحفية أفادت أن إحدى المحاكم الفرنسية أصدرت حكما بالسجن ١٥ شهرا على مواطن سنغالي مقيم في فرنسا منذ ٢٥ عاما لقيامه بختان ابنته البالغة من العمر ١٠ سنوات. وقالت صحيفة «لو سولاي» إن حكم المحكمة الذي صدر أمس الأول جاء نتيجة للقضية التي رفعتها إدارة مساعدة الطفل التابعة للخدمات الصحية في

فرنسا بعد أن أكد المدرسون أن الطفلة غيرت سلوكها بعد إجراء العملية ، حيث أصبحت تميل إلى الانزواء والوحدة . وأضافت الصحيفة أن المحامى العام طالب بتوقيع أقصى العقوبة على الأب ، والتي تصل إلى سنتين في حالة ختان البنات ، لعلمه التام بالقانون الفرنسي الذي يحظر ختان البنات ، وتحايله على هذا القانون بإرسال ابنته إلى السنغال لإجراء عملية الختان . وأشارت الصحيفة إلى أن المحكمة قررت فرض رقابة شديدة على اثنتين من بنات المواطن السنغالي الصغيرات ومنعهما من مغادرة الأراضي الفرنسية للحيلولة دون قيام الأب بإجراء جراحة محاثلة لهما .

### مصروالتشريعات

تظل التشريعات التى تستخدم كوسيلة للقضاء على الختان، موضوعا يثير نقاشا متواصلا في عديد من الدول. وهناك دول مثل بوركينا فاسو والسودان أصدرت تشريعات معينة لمنع الختان. هذا بينما توجد حكومات أخرى مترددة في إصدار مثل هذه التشريعات. والواقع أن الإعلام والتعليم مطلوب منهما لعب دور حيوى في هذا المجال.

والمشكلة التي تواجه معظم الدول المحتاجة لذلك أن الموارد المالية التي يمكن رصدها لهذا الغرض قليلة.

والآن. . ماذا عن حالة مصر والتشريعات المضادة للختان؟ هذا ما نتحدث عنه عبر الصفحات التالية .

\* \* \*

# ختان الأنثى في ضوء قواعد المسئولية الجنائية والمدنية في القانون المصري

هذا هو عنوان البحث الذي أعده المستشار صلاح عويس ـ نائب رئيس محكمة النقض ـ وألقاه في المؤتمر العلمي للممارسات الضارة بصحة المرأة والطفل، في القاهرة، في شهر ديسمبر عام ١٩٨٧ .

ونظرا لأهمية هذا البحث القيم فقدتم طبعه، وإعادة طبعه مرات عديدة، بواسطة جمعية تنظيم الأسرة بالقاهرة (مشروع صحة المرأة والطفل التوعية بمضار ختان الإناث) وقد أصدرته الجمعية في صورة كتيب صغير كتبت مقدمته السيدة عزيزة حسين، رئيسة اللجنة الأهلية للتوعية بمضار عادة ختان الإناث، وفيما يلى نص البحث:

«الحق في سلامة الجسم، حق أساسي وفطرى، قد حرصت الشرائع السماوية المتعاقبة على حماية هذا الحق، صيانة للإنسان، وهو أكرم مخلوقات الله. كما تضمنت القوانين الوضعية في كل الأزمان والبلدان الحماية الكافية لهذا الحق، وانتهجت كافة الشرائع سياسة جنائية متشابهة في جملتها وتقوم على أساس واحد هو اعتبار أن المساس بالجسم البشرى يعتبر جريمة أيا كانت صورة ذلك، سواء كان عمدا أو كان نتيجة إهمال وعدم تبصر. وتقرر عقوبة توقع على مرتكب الفعل تختلف باختلاف ما إذا كان فعلا عمدا أم خطأ، وباختلاف الأثر الذي يتركه ذلك الفعل على الجسم المجنى عليه. وقد نظم قانون العقوبات المصرى سلسلة من القواعد التي تحقق تلك الحماية، وذلك بتجريم كافة الأفعال التي تعتبر مساسا بالجسم البشرى، لا فرق في ذلك بين الذكر والأنثى أو الصغير والكبير، بدءا بأفعال المساس البسيط الذي لا يترك أثرا كالضرب البسيط، وانتهاء بإزهاق الروح وهو القتل المسلم على وقائع لا متناهية في الزمان والمكان. وتأتي بعد ذلك مهمة القاضى مجردة تنطبق على وقائع لا متناهية في الزمان والمكان. وتأتي بعد ذلك مهمة القاضى

الذى يتولى التطبيق، فعليه أن يحدد الوقائع التى يثبت يقينا ارتكابها، ثم يعرضها على النصوص القانونية الواردة فى قانون العقوبات ليحدد النص الواجب التطبيق، والذى تتوافر فى تلك الوقائع شروط وضوابط تطبيقه، فإذا ما انتهى من ذلك تقررت المسئولية الجنائية لمرتكب تلك الوقائع ويتعين على القاضى تقدير العقوبة المناسبة لذلك.

إلا أن القاضى يقع عليه واجب آخر مثل تقرير توافر المستولية. وهو التأكد من عدم توافر ظرف يحول دون قيامها، ويسمى بسبب الإباحة أو يحول دون توقيع العقاب وهو ما يسمى بمانع العقاب مثل الجنون أو صغر السن أو السكر البين، وذلك لأن توافر سبب الإباحة معناه أن الفعل مباح بالنسبة للشخص الذى توافر هذا السبب فى حقه. ويتوافر ذلك فى حالات كالدفاع الشرعى أو استعمال الحق، فمن يدفع أذى عن نفسه بأذى مقابل فهو فى حالة دفاع شرعى عن النفس، ومن شأن ذلك أن يصبح الفعل الصادر منه مباحا فلا تتحقق به المسئولية الجنائية أو المدنية. كذلك من يستعمل حقا مقررا بنص فى القانون بمعناه العام فهو يأتى فعلا مباحا حتى ولو ترتب على ذلك المساس بجسم آخر.

والعلة فى تغير صفة الفعل من التجريم إلى الإباحة لقيام سبب الإباحة أن قيام هذا السبب من شأنه انتفاء علة التجريم. فعلة التجريم هى حماية الحق فى سلامة الجسم. أما فى حالة الدفاع الشرعى أو استعمال الحق فإن هذه العلة تكون منتفية ، لأن من يدافع عن نفسه بالاعتداء على جسم المعتدى عليه أولى بالحماية من المعتدى نفسه، ومن يستعمل حقه فى المساس بجسم المجنى عليه يستعمل رخصة أباحها له القانون.

والجريمة العمدية، طبقا لقانون العقوبات المصرى، تقوم على ثلاثة أركان، الركن المادى؛ ويتمثل فى السلوك المادى الظاهر الذى يصدر من الجانى. والركن المعنوى؛ ويتمثل فى القصد الجنائى، أى إرادة ارتكاب الفعل وإحداث نتيجته. والركن الشرعى؛ وهو وجود نص فى القانون يجرم هذا السلوك ويضع عقوبة له. فإذا ثبت توافر هذه الأركان ولم يتوافر سبب إباحة أو مانع عقاب تحققت مسئولية مرتكب الفعل الجنائية والمدنية فيقوم حق الدولة فى توقيع العقاب عليه بناء على طلب النيابة العامة، وحق المجنى عليه فى طلب التعويض عن الأضرار التى تحققت له.

وبتطبيق ما سلف بيانه على عملية «ختان الأنثى» نجد أنه من المتفق عليه أن هذه العملية تتم فى صور أربع، الأولى يتم فيها استئصال الشفرين الصغيرين جزئيا وجزء صغير من البظر وهو طرفه الأمامى، والثانى وفيها تستأصل الشفرين الصغيرين الصغيرين بالكامل وكل بالكامل وجزء من البظر، والثالثة وفيها يستأصل الشفرين الصغيرين البيطر، والرابعة تسمى الطهارة الفرعونية وفيها يستأصل الشفرين الصغيرين والشفرين الكبيرين وكل البظر، وتخاط الناحية اليمنى للناحية اليسرى. والشائع فى مصر هو الختان من الصور الثلاث الأولى. ومؤدى ذلك أن تلك العملية تقوم على المساس بجسم الأنثى عن طريق الجرح، ويترتب عليها حرمان الأنثى من جزء فطرى من الجهاز التناسلي الذي خلقه الله لحكمة وغاية أحاط بها علمه، ويقع فعل الجرح عن إرادة وقصد من مرتكبه، يشاركه في ذلك الولى أو الوصى على الصغير، سواء كان أبا أم أما أم جدا أم وصيا آخر.

ومقتضى هذا التكييف القانونى لذلك الفعل، فإنها تعد جريمة جرح عمدى، يعاقب عليها بنص المادة ٢٤١ أو ٢٤٢ من قانون العقوبات حسب مدة العلاج. ويثور التساؤل.. هل يختلف الأمر إذا كان من قام بهذه العملية طبيب ؟؟

للإجابة على ذلك يتعين أن نلقى الضوء على مدى قانونية عمل الطبيب. فالطبيب هو كل شخص صدر له ترخيص من النقابة المختصة، وفقا للضوابط المقررة في هذا الشأن، وذلك لمارسة مهنة الطب.

والطبيب عندما يمارس مهنة الطب يتطلب عمله الكشف عن عورات المريض والمساس بجسمه سواء عند الكشف عليه أو عند إجراء الجراحة أو في أبسط الصور عند حقنه بدواء معين. ورغم أن تلك الأفعال هي مساس بسلامة الجسم إلا أن الضرورة، بجانب رضاء المريض، هي أساس إعطاء هذا الحق للطبيب. ولذلك فهو عندما يأتي هذه الأفعال إنما يستعمل حقا مقررا في القانون. ومن ثم فيعتبر ذلك سببا لإباحة عمله. غير أن من الأصول المقررة أن الحقوق غائية يهدف بها صاحبها تحقيق غاية مشروعة، ولذلك فإن من يستعمل حقا لغير تحقيق الغاية المقررة له فإنه يخرج عن نطاق سبب الإباحة. فلو أن طبيبا أجرى كشفا طبيا على ثدى أنثى للكشف عن المرض وتحديد العلاج، فهو أمر مباح واستعمال للحق، ولكن لو أن ذات الطبيب

أمسك بثدى أنثى في الطريق العام، كان مرتكبًا لجريمة هتك عرض. . والخلاف واضح بين الحالين .

إذن فالطبيب عندما يستعمل حقه فى التطبيب فهو مقيد بضوابط معينة بأن يكون ذلك بقصد العلاج من مرض، أو الكشف عن مرض، أو إزالة الألم أو التخفيف من حدته. ففى حدود هذه الدائرة يكون مساسه بجسم الإنسان استعمالا لحق مقرر ومن ثم فهو مباح. أما إذا خرج عن حدود هذه الدائرة حتى ولو رضى المريض فإن عمله يخرج عن نطاق الإباحة، ذلك لأن الدائرة المشار إليها هى التى تحدد ما إذا كان ما يقوم به الطبيب علاجًا مباحًا أم غير ذلك. وفي هذا المعنى تقول محكمة النقض أنه إذا أجرى شخص لآخر علاجا غير مصرح بإجرائه، وترتب عليه المساس بسلامته فإن جريمة إحداث الجرح عمدًا تتوافر شروطها طبقا لنص المادة ٢٤٢ من قانون العقوبات.

فإذا كان المتفق عليه أن عملية ختان الأنثى وفقا لإحدى الصور السالف بيانها تجرى على الأنثى في السن من ٤ إلى ١٠ سنوات تقريبا، وكان إجماع علماء الطب على أن الجهاز التناسلي للأنثى في شكله الطبيعي لا يعتبر مرضا ولا يعتبر سببا مباشرا لإحساسها بآلام جسدية معينة، ولا لإصابتها بمرض معين، ولا يعد سببا مباشرا لإحساسها بآلام جسدية معينة، ولا يشكل وجوده بصورته الطبيعية مصدرا لآلام مبرحة أو آلام بسيطة، فإن مؤدى ذلك أن المساس بهذا الجهاز الفطرى على أي صورة من الصور المشار إليها لا يعتبر علاجا لمرض أو كشفًا عن داء أو تخفيفًا لألم أو إزالة لألم قائم، فإن هذا الفعل يعتبر خارجا عن نطاق دائرة التطبيب التي يقوم عليها حق الطبيب في علاج المرضى، ويعتبر الطبيب لذلك مرتكبا لجريمة جرح عمدية يعاقب عليها بالمادة ١٤١ أو ٢٤٢ من قانون العقوبات حسب مدة العلاج، وتتحقق بذلك المسئولية الجنائية والمدنية للطبيب الذي يعتبر فاعلا أصليا لأنه هو الذي ارتكب الفعل المادي للجريمة، وتتحقق كذلك مسئولية الولى أو الوصى باعتباره شريكا للطبيب.

ولكن هناك تساؤل آخر في غاية الأهمية والخطورة وهو ألا يمكن اعتبار الشريعة الإسلامية والعرف سببا لإباحة هذا العمل ؟؟ ثم ألا يمكن اعتبار هذه العملية من عمليات التجميل ؟؟

من المقرر أن الشريعة الإسلامية والعرف يعتبران من مصادر الإباحة، ولكن

بالرجوع إلى الشريعة الإسلامية فإن اليقين أن ختان الذكر أمر تقرره الشريعة الإسلامية وتفرضه فرضا لازما، واستنادا إلى أدلة قاطعة من السنة والشريعة، أما بالنسبة لختان الأنثى فلم يرد في شأنه نص يفيد الوجوب على سبيل الفرض، ولم تتفق كلمة علماء المسلمين حتى الآن على مدى فرضيته، ويدور الثابت منها حول المنع أو الإباحة . . ومن ثم فلا يعتبر ذلك دليلا على إباحة هذا الفعل لأن الإباحة باعتبار أنها تهدر صفة التجريم وتبيح الفعل يتعين أن يكون مصدرها ثابتًا يقينا، ولا يحوطه شك من حيث الثبوت أو من حيث التفسير. فضلا عن ذلك فإن ختان الأنثى يختلف عن ختان الذكر لأنه من الناحية العضوية فإن الجزء الذي تتم إزالته-بالنسبة للذكر ـ لا يعتبر جزءا من عضو الذكورة وإنما هو جلد زائد، كما أن علماء الطب في أغلبهم يؤكدون ضرورة هذا الختان من الناحية الطبية. والعرف يمكن أن يكون مصدراً للإباحة، غير أنه يشترط لذلك أن يكون عاما وملزما ومستمرا، بمعنى أن يتصف السلوك الناشئ من العرف بصفة العمومية، وأن يقوم الاعتقاد لدى الجميع بضرورة الالتزام به وتأثيم من يخرج عليه، وذلك بصفة مستمرة. إلا أن عادة ختان الأنثى، كما ثبت من أبحاث علماء الاجتماع، ليست لها صفة العموم بين أفراد الشعب المصرى، ولا يوجد اعتقاد عام لديهم بضرورة لإتيانها. ومن ثم يتخلف عنها أركان العرف، وتصبح مجرد عادة اعتادها البعض دون الكل، وهي بذلك لا تصلح سببا لإباحة هذا الفعل.

ومن المعروف أن عمليات التجميل، التي أصبحت ضمن الجراحات الطبية، يقصد بها إصلاح عضو أو تقويمه أو إزالة زائد فيه. أو بمعنى آخر محاولة إعطاء عضو من أعضاء الجسم أو جزء منه الشكل الطبيعي الفطرى، وهذه هي الغاية من عمليات التجميل. فهل يتفق ذلك مع عملية الختان، وهي في كل صورها تعتبر تغييرا للشكل الطبيعي للعضو التناسلي للأنثى حسب فطرته التي خلقه الله عليها؟. بالطبع لا، ومن ثم فلا تكون هذه العملية بمثابة تجميل، بل هي في حقيقتها انتهاك الحسد الأنثى وتشويه لعضو فطرى به.

ولقد سألنى أحد الأطباء ألا يعتبر رضا الولى سببا يبيح للطبيب إجراء هذه العملية؟ فقلت له إن ولاية الولى ـ سواء أكان أبا أم أما أم جدا أم وصيا على الصغير تتحدد فى أموال له ؛ فهو يتصرف فيها طبقا لضوابط معينة ، أما بالنسبة لنفس الصغير أو الصغيرة فإن ولايته هى حقه فى التأديب والتعليم ، وحق التأديب ومصدره

الشريعة الإسلامية ينحصر في توجيه سلوك الصغير أو الصغيرة إلى السلوك القويم وتعليمهما العادات الحسنة، وحقه أيضا الترهيب بالضرب غير المبرح. فهل من المنطق والعقل أن يعتبر حرمان الصغيرة من جزء من عضو فطرى خلقه الله بجسدها من باب التهذيب والتأديب؟!. قد يقال إنه تهذيب نفسى لأن هذا الاستئصال من شأنه أن يقلل من رغبة الأثنى في العلاقة الجنسية، والرد على ذلك أنه ثبت علميا وطبقا لما أجمع عليه علماء النفس أن الشذوذ الجنسي يبدأ من العقل والنفس وليس من الجسد. فلو أنه انصرف إلى تهذيب نفس وعقل الصغيرة لكان ذلك عني حدود قدرته البشرية عاملا هاما في ابتعادها عن ذلك الشذوذ. وقد ثبت من الأبحاث العلمية أن أكثر النساء اللائي يمتهن الدعارة مختنات. وحق التعليم بالنسبة للولي ينحصر في زيادة القدرة العلمية للصغيرة أو الصغير، ولا يمكن عقلا إدراج تلك العملية السيئة تحت نطاق هذا الحق.

نستخلص إذن من كل ذلك أن عملية ختان الأنثى التى يجريها الطبيب هى جريمة جرح عمدية يعاقب عليها طبقا للمادة ٢٤١ أو ٢٤٢ من قانون العقوبات حسب مدة العلاج.

ويعتبر الولى شريكا بالاتفاق والتحريض والمساعدة، وتتحقق المسئولية الجنائية والمدنية بحقه، بجانب مسئولية الطبيب.

أما إذا قام بهذه العملية غير طبيب، سواء أكانت داية أم حكيمة أم تمورجيًا أو غير ذلك، فقد توافرت بذلك جريمتان، جرح عمدى، وممارسة مهنة الطب بدون ترخيص. ويعاقب بأشد العقوبتين في هذه الحالة. ولا يعفى الطبيب من العقاب إلا في حالة الضرورة بشروطها القانونية كأن يكون هناك تشوه خلقي في جهاز الصغيرة التناسلي، فيجرى جراحة لإعادته إلى شكله الفطرى.

وبقيت لنا كلمة أخيرة، وهي أن يترك للأنثى حق إجراء هذه العملية بعد بلوغها سن الرشد احتراما لآدميتها وتقديرا لها، خاصة وأنه لم يثبت رأى علمي يعتد به، يشير إلى أن هناك خسارة أو مانع طبي دون إجراء هذه العملية بعد بلوغ الأنثى».

# ختان الإناث جريمة معاقب عليها بالسجن

هذه مقالة أعتبرها بحثا قانونيا متكاملا ـ رغم إيجازها ـ حول الجوانب القانونية لقضية ختان الأنثى، كتبها الأستاذ أحمد شنن، المحامى بالنقض ونقيب المحامى بالقاهرة سابقا، ونشرتها صحيفة الأخبار في شهر أغسطس في عام ١٩٩٦ تحت العنوان الذي يتصدر هذه الصفحة.

# وفيما يلى نص المقالة:

«نعم إنك تستطيع إذا ما وجدت أن هذه الفعلة الشنعاء قد ارتكبها أب وأم مع حلاق الصحة أو مع طبيب. . فهؤلاء جميعا شركاء في جريمة يعاقب عليها قانون العقوبات، ذلك أن الختان هو جرح يصيب الإنسان، فضلا عن أنه يهدد بهتك آدميته . فالأمر إذن في غير حاجة إلى قرار يصدر من وزير الصحة أو أن تعقد الندوات لبيان ضرر الختان، أو أن توجه الأسئلة إلى مفتى الديار وشيخ الأزهر لكى يدلى برأى الدين فيه، بل إن الواجب أن ننشر الوعى بين المواطنين حاصة في القرى بحريًا وقبليًا بأن هذه الفعلة تعرضهم للسجن .

فالمعروف قانونا وفقها أن جريمة الجرح هي كل قطع في الجسم أو تمزيق في الأنسجة نتيجة الاعتداء، ويجب أن تكون في شكل تمزيق لأنسجة الجسم، والمقصود بالتمزيق تحطيم الوحدة الصلبة التي تجمع بين جزئيات هذه الأنسجة. ذلك أن الأنسجة مجموعة من الخلايا المتلاصقة ترتبط فيما بينها طبقا للقوانين الطبيعية، ولا يعدو الجرح أن يكون تفكيكا في أي صورة كانت لهذا الالتصاق والترابط. ويعد الجرح متحققا بقطع الجلد سواء أكان القطع سطحيا مقتصرا على مادة الجلد أم كان عميقا لأنه نال أيضا من الأنسجة الداخلية المكسوة بالجلد، وتتساوى مساحة القطع سواء كانت ضئيلة كوخزة الإبرة أم متسعة كقطع مستطيل عن طريق سكين مثلا أيا قدر استطالته. (نقض ٢٥ / ٣/ ٧٣).

وليس بشرط أن ينبثق الدم من الجرح خارج الجسم، فقد يقتصر التمزيق على أوعية الدم دون أن ينال الجلد فينسكب الدم في الداخل، وتستوى وسيلة التمزيق، فقد تستعمل آلة حادة، وقد يقتصر الجاني على استعمال أعضاء جسمه، كجرح عن طريق العض أو إنشاب الأظافر أو مجرد الجذب!! (نقض ٨/ ٢/٥٥).

والاعتداء على الجسم وسلامته جريمة يعاقب عليها قانون العقوبات، وهي تتدرج حسب جسامة فعل الاعتداء.

وتنص المادة • ٢٤ عقوبات على أن كل من أحدث بغيره جرحا نشأ عنه قطع أو انفصال عضو أو فقد منفعته أو نشأ عنه أى عاهة مستديمة يستحيل برؤها يعاقب بالسجن من ثلاث سنين إلى عشر سنين

وختان الأنثى هو قطع لعضو تناسلى يفقد منفعته التى خلقها الخالق فى جسم الأنثى لكى يحس بما حلله الخالق، فإذا كان من يجرى عملية الختان يقصد إجراءها فإنه يكون قد توافر فى فعلته سبق الإصرار والترصد فتكون عقوبته الأشغال الشاقة من ثلاث سنين إلى عشر سنين، فإذا كان هذا الفعل الشائن قد ارتكبه الجانى باتفاق مع الأب أو الأم أو الأخ أو غيرهم، فإن هؤلاء يعتبرون شركاء فى الجريمة، والشريك توقع عليه ذات العقوبة التى قررها القانون للفاعل الأصلى.

أما إذا أدى إجراء الفعل الشائن إلى وفاة الأنثى، فإن نص المادة ٢٣٦ من قانون العقوبات تقرر له عقوبة الأشغال الشاقة أو السجن من ثلاث سنوات إلى سبع سنوات.

ويحق لكل من يعلم أن أحد حلاقى الصحة أو إحدى الدايات أو أحد الأطباء أو غيرهم قد أجرى عملية الختان، أن يبلغ الجهة المختصة وهى الشرطة لكى تحرر له محضرا بذلك تمهيدا لتوقيع العقوبة عليه، ولا يكفى تنازل المجنى عليها عن الشكوى، ذلك أن الشق الجنائي لا يخص الأفراد وإنما هو يخص المجتمع الذى تمثله النيابة العامة. وجريمة الجرح ليست من الجرائم التى اشترط القانون فيها حصول شكوى. ففى الغالب ألا تشكو الأنثى أو أهلها لأن الفعل قد تم بموافقتهم، وبالتالى فإن من حق النيابة العامة أن تقدم الذى أقدم على هذا الفعل الشائن إلى المحاكمة الجنائية ليلقى جزاءه ويكون عبرة لغيره إذا ما قُدّم لها بلاغ من أى شخص، أو إذا ما قُدّم لها بلاغ من أى شخص، أو إذا ما غي إلى علم رجال الشرطة وقوع مثل هذا الفعل المؤلم.

ولا يقال إن الأمريستوى فى ختان الذكور، ذلك أن الطبيب أو الجراح عندما يجرى هذه العملية، إنما يجريها على أمل شفاء المريض من مرض أجمع عليه الأطباء يؤدى إلى التلوث، كما أنه لا يؤدى إلى فقد عضو أو موت إحساسه أو موت المريض. فالطبيب البشرى له حق فى علاج مرضاه وإجراء العمليات الجراحية استنادا إلى القانون رقم ١٩٥٥ لسنة ١٩٥٤ بشأن مزاولة مهنة الطب. وطبيب الأسنان له الحق فى علاج مرضاه وإجراء الجراحة اللازمة استنادا إلى القانون رقم ٧٣٥ لسنة ١٩٥٤ فى علاج مرضاه وإجراء الجراحة الأسنان. أما إذا ما خرج الطبيب عن نطاق ما أباحه القانون له، فإنه يكون مرتكبا لجريمة عمدية متى أراد بعمله غاية أخرى غير العلاج.

واعتقادى أن الأمريجب أن يكون فى علم المواطنين الذين \_ غالبا \_ لا يعرفون حكم القانون الصحيح. وبالتالى فإن الصيحة التى أطلقها رائد طب أمراض النساء الدكتور محمد فياض عندما وصف ختان الأنثى بأنه «وصمة عار» يجب أن نؤازرها ونقف بجانبها بحكم القانون حتى يقلع هؤلاء الذين يقدمون على هذا الفعل عن الاستمرار فى غيهم وفى إلحاق الأذى بأجساد الإناث».

\* \* \*

## ختان البنات ليس سوى جريمة

هذه هي الخلاصة التي خرجت بها دراسة قانونية قيمة أعدتها المحامية أميرة بهي الدين، وقدمتها إلى ورشة عمل حول الموضوع كانت قد عقدتها اللجنة القومية للمنظمات غير الحكومية. وكان عنوان الدراسة «ختان الإناث بين التحريم القانوني وهيمنة العادات الاجتماعية».

فى هذا السياق تقول الدراسة: «بصرف النظر عمن يقوم بهذا الإجراء أو كيفية إحداثه فإنه جريمة يعاقب عليها القانون فى حد ذاتها، سواء تمت على يد متخصصين أو على يد غير متخصصين. بل فى الحالة الأخيرة تزيد المسئولية الجناثية لتضم أفعالا أخرى يعاقب عليها القانون، منها هتك عرض فتاة بالقوة».

إنها تقول أيضا: « إنه يمكن اعتبار ختان البنات أحد الأفعال المعاقب عليها بالمادة • ٢٤ عقوبات، والتي تنص على أن العقاب بالسجن من ٣ إلى ٥ سنوات جزاء كل من أحدث بغيره جرحا أو ضربا نشأ عنه قطع أو انفصال عضو فقد منفعته أو نشأ عنه كف البصر أو فقد العينين أو نشأت عنه عاهة مستديمة يستحيل برؤها».

كما تقول أيضا: « إن هذه العادة تقع تحت طائلة تلك المادة». وتقول إنه في ظل غياب نص خاص فالاستئصال الذي يتم في أجزاء جسد الفتاة هو في حقيقته إحداث عاهة مستديمة لها يستحيل برؤها لأنه استئصال وقطع لعضو يترتب عليه فقدان المنفعة بهذا العضو.. وهو فعل عمدي يصاحبه عادة سبق إصرار بالمعنى القانوني، مما يترتب عليه تشديد العقاب».

وتقول: «إن هناك استحالة عملية أن تدرك الفتاة البكر في مجتمع يسوده الجهل الجنسي والتعتيم المتعمد حول طبيعة العلاقة الجنسية والخرافات وغيره مما يشوه وعي الفتاة، يستحيل أن تتصور، وعلى نحو واقعى، الآثار المستقبلية المترتبة على هذا

onverted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الاستئصال. واستحالة التصور هذه تجعل إرادتها ـ حتى لو عبرت عن رضائها الكامل بحدوث هذه العملية ـ معيبة من الناحية القانونية ولا يعول عليها بأى شكل كان».

والخلاصة ـ كما تراها الباحثة ـ «أن ختان البنات جرم ومعاقب عليه، والتجريم يمتد إلى محدث الفعل ـ طبيب أو غيره ـ وإلى ولى الأمر نفسه، وكل من يساعده في إحداث هذا الفعل من أفراد الأسرة».

\* \* \*

# قضيسة ختسان الإنساث أمسسام المحاكسسم المصريسة

دخلت قضية ختان الإناث إلى ساحات المحاكم.

ومع أن موقفى الرافض للختان واضح، ومع أننى أؤيد تماما وزير الصحة الحالى - الأستاذ الدكتور إسماعيل سلام - فى موقفه الحاسم من الختان، فإننى أسرد هنا خلاصة لقضية الختان فى المحاكم، من أجل استكمال جميع جوانب صورة الختان فى مصر ليكون كتابى هذا شاملا، وليس تأييدا لموقفى الذى يدين هذه العملية بل ويجرمها.

#### فيلم ال : CNN

يمكن القول إن انفجار قضية الختان كان عند إذاعة الفيلم الذى صورته فى القاهرة شبكة CNN التليفزيونية الأمريكية، وأذاعته على العالم كله، مشتملا على عملية ختان. ويزعم والد الفتاة الصغيرة، بطلة الفيلم، أنه وقع ضحية خداع من جانب الشبكة التليفزيونية الأمريكية ومندوبتها المصرية، غير أن العكس صحيح. والخلاصة هى أن هذا الفيلم جاء وصمة عار فى جبين مصر والمصريين.

ويصور الفيلم، على مدى ١٠ دقائق، تفاصيل إجراء عملية ختان لفتاة صغيرة، اسمها نجلاء، على يد حلاق صحة، وسط صراخ هستيرى ودماء متدفقة، فيما شبهه الكثيرون بأنه عملية اغتصاب أو اغتيال تصيب بالغثيان كل من يشاهدها.

وكانت الضربة أكثر إيلاما لأن إذاعة هذا الفيلم تمت في أثناء انعقاد المؤتمر الدولي للسكان التابع للأم المتحدة، والذي احتشدت فيه آلاف الشخصيات من كل أنحاء العالم لتناقش جدول أعمال، كانت قضية البتر التناسلي للمرأة - أو الختان - واحدة من بنوده.

وكان العمود الذي كتبه الأستاذ أنيس منصور (مواقف) في جريدة الأهرام يوم ١٦/ ٩/ ١٩٩٤ ، معبرا تماما عن حالة الغضب التي اجتاحت الجميع، فقال:

«الذين شهدوا ختان الطفلة المصرية (نجلاء) قد فزعوا من هول العملية الجراحية التي أجراها حلاق الصحة . . قليلون في مصر رأوها وكثيرون من المصريين في العواصم المختلفة .

أنا رأيت المشهد على شاشة الـ (سى. إن. إن) مرتين فى يوم واحد. وقد تلقيت خطابات وبرقيات احتجاج آخرها ما بعث به مستشارنا التجارى فى أستوكهلم حسين الراعى الذى كان ضمن عدد من الضيوف وكان عليه أن يفسر ويبرر هذا العمل الوحشى.

المنظر في مكان من ريف مصر اجتمع عدد من الناس في غرفة وأتوا بفتاة صغيرة وعروها وفتحوا ساقيها بمنتهى العنف والبنت تصرخ وتلعن ولكن حلاق الصحة تقدم وأجرى عملية بشعة، كل هذا والكاميرا معه ووراءه، وأم الفتاة تزغرد وأبوها سعيد. . وآخرون وقفوا يتفرجون على البنت الصغيرة التي تحول لونها من أبيض إلى أسمر إلى أصفر، وببلاهة واضحة أتوا لها بكوب من عصير الليمون (لكي يروق دمها). . وقفزت إلى جوارها طفلة أخرى قد سبقتها إلى عملية الختان في العام الماضي.

وكانت مذيعة التليفزيون بصوتها الخشن الجاف قد نبهتنا إلى أننا سوف نرى شيئا بشعا (منتشرا) في مصر . .

وجاء التقرير التليفزيوني في أثناء انعقاد مؤتمر السكان في مصر، للتعريف عصر. . وشيء من مثل ذلك يحدث في كل المناسبات المهمة فيعرضون صورا للزحام والمرور أو حياة الناس في المقابر. . أو قصة (مفبركة) عن الاضطهاد الديني أو السياسي أو العنصري !!.

وسوف يحدث ذلك كثيرا لأن الدولة لا تستطيع أن تسيطر ولا أن تتابع كل أجنبى معه كاميرا وأين يذهب بها . . وكم يدفع لوالدة هذه الطفلة لكى يتمكن من تصوير هذا الشيء الشنيع .

وأنا أتوقع أن يحدثنا أحد الرسميين ويقول لنا: الختان على يدى الحلاق وبالمقص أو السكين غير المعقم ما زال منتشرا. وهل هناك نية لتحريم ذلك، واشتراط أن يتم الختان عن طريق الطبيب. . أو يصدر قرار بمنع الختان منعا باتا. .

مفروض أن يقول لنا أحد أية حاجة من قلبه أو من وراء قلبه. . يقول إنه كره هذه العادة أو لايزال يفضلها -التي انقرضت في الدنيا كلها - أما العادة التي لم تنقرض ولن تنقرض في مصر فهي أن أحدا لن يقول لأحد أية حاجة».

وكان طبيعيا أن تتوالى ردود الفعل الغاضبة ضد ختان الأنثى، وانبرى المعسكران الرئيسيان يطلقان حججهما، فمعسكر يعتبرها عادة سيئة وضارة اجتماعيا وصحيا ونفسيا ومخالفة للدين، والآخر يدافع عنها باعتبارها سنة إسلامية هدفها النظافة والعفة.

#### قرارالوزيره

هنا بادر وزير الصحة بإصدار قراره رقم ٣/١٠٧٥٤ بتاريخ ١٩٩٤/١٠/١ بمنع إجراء عمليات الختان بغير الأطباء، وفي غير الأماكن المجهزة لذلك بالمستشفيات العامة والمركزية، وتنفيذ قانون مزاولة المهن الطبية، وأن يقوم كل مستشفى تعليمي أو عام أو مركزي بتحديد يومين أسبوعيا لإجراء عملية ختان الذكور ويوما آخر لاستقبال الأسر الراغبة في ختان الإناث.

قد دفع هذا القرار البعض إلى إقامة دعوى ضد وزير الصحة أمام محكمة القضاء الإدارى بمجلس الدولة في نهاية شهر نوفمبر ١٩٩٤ وطلبوا وقف تنفيذ وإلغاء قرار وزير الصحة.

وكان طبيعيا أيضا أن يرتقى المعسكران خشبة المسرح. فمعسكر يرى أن القر نفسه اعتراف بعملية الختان وهى امتهان لدور الطبيب الذى يتوجب عليه أن يحمى الناس ويصون حياتهم لا أن يضرهم ويزيل جزءا من أجسامهم وهم ليسوا مرضى. والمعسكر الثانى يرى فى قرار الوزير تمهيداً لإلغاء الختان وتعديًا على الشريعة والعرف السائد. وقيل إن القرار المطعون فيه قد جاء مخالفا لصحيح القانون بإباحته لفعل يعاقب عليه القانون، إذ إن ختان الإناث هو في حقيقته فعل محظور يندرج تحت نص المادة ٢٤٠ من قانون العقوبات وما بعدها.

### قرار المنع ،

فى ٨/ ٧/ ١٩٩٦ أصدر وزير الصحة الحالى قراره رقم ٢٦١ لسنة ٩٦ بمنع ختان الإناث نهائيا فى جميع وحدات وزارة الصحة سواء فى المستشفيات العامة أو المركزية، وحظر إجراء هذه العملية على جميع العاملين فى القطاع الطبى من أطباء وهيئات تمريض وكذلك الأطباء بالقطاع الخاص فى عياداتهم.

وعلى الفور، انطلق الجميع إلى المحكمة. وأصبحت هناك ثلاث دعاوى أمام القضاء: أولاها الدعوى رقم ١٦٦٨ ٤٩ التي لم يكن الحكم قد صدر فيها عندما أصدر الوزير قرار المنع. والثانية أقامها أستاذ لأمراض النساء والولادة بكلية طب جامعة عين شمس. والدعوى الثالثة أقامها مجموعة من المدعين وعلى رأسهم أحد أعضاء المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. وقد قررت محكمة القضاء الإدارى إحالة الدعاوى الثلاثة إلى هيئة مفوضى الدولة لتحضيرها ولتصدر حكمها.

فى ٢٤/ ٦/ ١٩٩٧ أصدرت محكمة القضاء الإدارى حكمها بإلغاء قرار وزير الصحة وما يترتب عليه من آثار.

# غضب شعبي عارم :

واجتاحت دواثر المعنيين بهذا الموضوع في كل قطاعات الشعب المصرى غضبة عارمة. وإذا كان لى أن أقدم نموذجا لهذه الغضبة فإننى أورد فيما يلى نص بيان مجموعة العمل المعنية بختان الإناث، والذي أصدرته يوم ٧/ ٧/ ١٩٩٧ :

«جاء قرار محكمة القضاء الإدارى يوم ٢٤ يونيو ١٩٩٧ بإلغاء قرار وزير الصحة والسكان الخاص بمنع إجراء عملية ختان الإناث بمثابة صدمة - ليس فقد للنشطين في مجال مكافحة عادة ختان الإناث - بل لكل من تهمه مصر . . مصر بذاتها . . نسائها ورجالها وأطفالها .

قد كان قرار وزير الصحة والسكان ٢٦١ لسنة ١٩٩٦ بمنع إجراء عملية ختان الإناث بمثابة خطوة على الطريق الصحيح للتعامل مع المرأة وصحتها على أنها إنسان كامل الأهلية تتحكم في نزعاتها الجنسية بعقلها وليس بجسدها، وأن بتر جزء من جسدها مهما صغر هو إضرار بصحتها وانتهاك صارخ لجسدها وإهدار لحقوقها وآدميتها.

نحن المهتمون والمهتمات بمقاومة عادة ختان الإناث قد عايشنا عن قرب من خلال عملنا المعاناة الصامتة التى تلتهم صحة النساء المصريات الجسدية والنفسية، واستمعنا إلى صرخاتهن التى توضح مدى إحساس الغالبية منهن بالظلم والإهانة التى يمارسها ضدهن المجتمع، واضطرارهن لتحمل هذا «اليوم الأسود»، بل محارسة نفس الظلم على بناتهن لأن هذه هى تقاليد المجتمع.

نحن نعرف أن التقاليد لا يمكن تغييرها بين ليلة وضحاها، فالتغيير عملية طويلة، سلاحها الفعال توفير المعرفة الحقيقية حتى يمكن لجميع النساء والرجال أن ينبذوا هذه العادة، كما أننا نعلم أيضا أن العادات والموروثات لا تتغير بقوانين وتشريعات، ولكن التشريعات قد تساهم في الإسراع بعملية التغيير أو تعوقها.

إن قضية الختان هي قضية حضارية بالدرجة الأولى، ففي هذه الحقبة التاريخية التي بدأ فيها العالم شرقه وغربه في إعادة الاعتبار لدور المرأة ومكانتها وحقوقها، فإن مصر صاحبة الحضارة الرائدة، مصر التي منعت إجراء عمليات الختان في مستشفيات وزارة الصحة منذ الخمسينيات من هذا القرن، لا يمكن أن تعود تحت أي دعاو إلى إقرار ممارسة هذه العادة البغيضة. إن المحاولات العديدة من قبل ذوى المصالح لإسباغ الصفة الدينية على هذه العادة أمر غير مقبول، حيث إن هذه العادة – كما هو معروف لكل المهتمين – ظهرت في أفريقيا قبل ظهور الأديان ومورست ضمن طقوس عبادة الطبيعة، ودخلت إلى مصر في العهد البطليموسي، وارتبطت خطأ «بعفة الفتاة»، وهي القيمة التي يحرص عليها كل أفراد المجتمع المصرى، ولا يمكن القبول بأن الدين الإسلامي أو المسيحي يدعو إلى إنزال الأذى والإهانة بالبشر كما تفعل عادة الختان التي أثبتت كل الأبحاث الطبية والاجتماعية أضرارها، وهو ما أعلنته منظمة الصحة وحقوق المرأة والأطفال.

إنا نناشد كل أطباء مصر المشاركة بعلمهم وجهدهم في إيضاح الحقائق العلمية عن المضار الصحية والنفسية لهذه العادة البغيضة، ونهيب بالأطباء أن تكون مرجعيتهم في قضية الختان القسم المهنى والعلم والمعرفة والضمير الإنساني، وليس المصلحة أو المعتقدات الخاصة لكل منهم.

كما نناشد باحثى وباحثات مصر فى مجالات العلوم الإنسانية أن يسهموا ببحوثهم فى كشف النقاب عن حقيقة عملية الختان وتبديد ما يحيطها من أوهام، واقتراح أفضل الوسائل لمخاطبة الناس وإقناعهم بالإقلاع عن الختان.

إننا ندعو الجميع آباء وأمهات، مسئولين ونشطاء في مجال التنمية وحقوق المرأة، ألا يتوقفوا عند قرار المحكمة الأخير، بل أن يستمروا في عملهم من أجل حماية بناتنا، والحفاظ على حقوقهن في الصحة النفسية والجسدية والسلامة البدنية، وعدم تعرضهن للانتهاك تحت أي مسمى. إننا جميعا مطالبون بأن نرفع صوتنا لنعلن أننا لن نكون جزءا ممن تقودهم الأعراف البالية لانتهاك حقوق بناتهن ولإهدار آدميتهن وكرامتهن قربانا على مذابح العادات والتقاليد، بل إن لنا في تراثنا الحضارى الممتد ما يساعدنا على أن نكون قدوة لشعوب العالم مثلما كنا دائما».

(عن مجموعة العمل المعنية بختان الإناث - المنسقة «ماري باسيلي أسعد»)

### وزيرالصحة يستأنف:

لكن وزير الصحة استأنف حكم المحكمة الإدارية أمام مجلس الدولة. وقالت صحيفة السياسة الكويتية بتاريخ ٤/ ١٩٩٧/١١ إن هيئة قضايا الدولة أعدت تقريرا في القضية يوصى بإلغاء حكم المحكمة الإدارية. وأضافت أن التقرير - بعد تفنيد جميع المزاعم المتعلقة بالختان - يذهب إلى حد اعتبار هذه العملية «هتكا لعرض النساء، وتسبب في جروح متعمدة، وهي جرائم تصل عقوبتها إلى السجن ثلاث سنوات».

### ويصدرالحكم:

وفي ٢٨/ ١٢/ ١٩٩٧ قضت المحكمة الإدارية العليا بإلغاء حكم محكمة القضاء

onverted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الإدارى الصادر بوقف تنفيذ قرار وزير الصحة بمنع إجراء عمليات ختان الإناث فى المستشفيات العامة والخاصة وعيادات الأطباء. وقصرها على الحالات المرضية التى تثبت بناء على تقرير من طبيب مختص. وقالت المحكمة إن الختان لا يعتبر حقا شخصيا مقررا طبقا لأحكام الشريعة الإسلامية، إذ لم يرد به نص فى القرآن أو حكم قاطع فى الثبوت أو الدلالة فى السنة، كما أن عملية الختان تخضع لأحكام قانون العقوبات التى تحظر المساس بجسم الإنسان إلا لضرورة طبية ويعاقب من يخرج عن ذلك، وبالتالى فإنه لا حاجة لإصدار قانون بهذه القواعد العامة المقررة. وقالت المحكمة إن قرار الحظر إجراء تنظيمي أصدرته جهة الإدارة في حدود ما لها من صلاحيات المحافظة على صحة فئة معينة من المواطنين ووقايتهم مما قد يتعرضون له من مخاطر، فضلا عن كونه تنظيما لمارسة الأطباء بصفة عامة لعملهم.

林 珠 林

## الدول تصدر تشريعات بوقف الختان

يحظى هذا الموضوع باهتمام وسائل الإعلام العالمية ، التي تحرص على متابعة تطوراته ، كما يتضح من هذا العرض السريع :

تحت عنوان «إيقاف البتر التناسلي للأنثى - أحدث المعلومات» نشرت مجلة -Free عنوان «إيقاف البتر التناسلي للأنثى - أحدث المعلومات» نشرت مجلة -Gamble A عدد سبتمبر - أكتوبر ١٩٩٥، مقالا بقلم .

«هناك إجماع واسع الانتشار بين كثير من الأفراد والدول والمنظمات على أن البتر التناسلي للأنثى هو إساءة لحقوق الإنسان.

وقد قامت كل من فرنسا، وبريطانيا، والسويد، وسويسرا، بإصدار تشريعات تمنع الأطباء من إجراء البتر التناسلي للأنثي.

وقد أعلنت ١٨ دولة أفريقية معارضتها الرسمية ضد البتر التناسلي للأنثى. وكان البتر أحد موضوعات النقاش في الجمعية العامة للصحة العالمية في سنة ١٩٩٣، والمؤتمر العالمي لحقوق الإنسان ١٩٩٣، والمؤتمر الدولي للسكان والتنمية في القاهرة ١٩٩٤.

وتقول مجلة Nursing في عدد مايو ١٩٩٦ ، تحت عنوان «ترك جسد الأنثى سليما » بقلم أحمد س. : « إن القانون النيوزيلندى يمنع إجراء عملية البتر التناسلي للأنثى . وطلب الكاتب من المهاجرين إلى نيوزيلندا تعلم المضاعفات الصحية المترتبة عليها وكذلك الأمور القانونية المتعلقة بها» .

وتحت عنوان ختان الإناث، كتبت مجلة Pleis P. M. بقلم بال «إن هذه العملية الهمجية يجب ألا تكون قانونية في أى بلد متحضر، إن للطفلة حقا فطريا لا نزاع فيه في الجسد الذي ولدت به. إن استئصال نسيج جنسى صحى هو انتهاك لحقوق الشخص في جسد سليم».

وتحت عنوان «تجريم البتر التناسلي للأنثى في الولايات المتحدة الأمريكية» كتب Maccready N. في المجلة الطبية البريطانية يقول: «إنه اعتبارا من ٢٧ مارس سيتم، وفقا للتشريع الجديد، تجريم البتر التناسلي في الولايات المتحدة الأمريكية. وسيطلب من السلطات الاتحادية الإبلاغ عن أي مهاجرين جدد من البلاد التي يمارس فيها البتر، بحيث يواجه الآباء الذين يرتبون هذه العملية لبناتهم، والذين يقومون بإجرائها، أحكاما بالسجن تصل إلى ٥ سنوات.

وسيطلب من ممثل الولايات المتحدة في البنك الدولي وغيره من المؤسسات المالية الدولية معارضة تقديم أية مساعدة للدول التي لم تنشئ حتى الآن برامج تعليمية لإنهاء ممارسة البتر».

وتحت عنوان «البتر التناسلي للإناث» كتب Bashir L. M. بإن الكونجوب المعدد 199۷ من Journal of Women's Health يقول: «إن الكونجرس الأمريكي أصدر قانونا يجعل البتر جنحة عقوبتها تصل إلى السجن خمس سنوات. وينص القانون على محاكمة أي شخص يقوم بالختان العادي أو الشديد أو يزيل أي جزء من الأعضاء التناسلية الأنثوية لأي شخص آخر لم يصل إلى سن ١٨ سنة، ويمكن أيضا محاكمة الآباء الذين يرتبون هذه العملية».

وفى بريطانيا، كتب .A. Black J. A. فى عدد فبراير ١٩٩٦ من المجلة البريطانية الطبية، تحت عنوان «البتر التناسلي للأنثى»، يقول: «هناك سؤال فى بريطانيا عن ماهية التشريع الذى يحمى الأطفال من هذه الممارسة. ويورد تقرير .T Webb T حالة واحدة عن القانون الذى يحمى الطفلة من البتر التناسلي، فى حين يؤكد خبير البتر Darkens أن قانون الأطفال الصادر فى عام ١٩٨٩ يمنع ممارسة البتر. وهناك أيضا استخدام المنع الوارد فى قانون ختان الأنثى الصادر فى عام ١٩٨٥ ضد أولئك الذين يقومون بتنفيذ العملية».

عن فرنسا، كتب .Gallard C في عام ١٩٩٥ في المجلة الطبية البريطانية يقول: «إن المهاجرين إلى فرنسا يتم تلقينهم في القنصليات الفرنسية قبل الهجرة، التشريع الأسرى في فرنسا، ومنع البتر وتجريمه. ويكون العقاب متراوحا بين ٣ شهور فما فوق في السجن مع الغرامة. وقد عرضت عدة حالات على المحاكم منذ عام ١٩٨٢ وصدرت أحكام عديدة ضد كل من الآباء والأمهات».



# الفصل السابع الختـــان والديــن

#### مقدمية

يمثل الدين واحدا من الركائز الأساسية التي يستند إليها المدافعون عن ختان الأنثى. وهذا الفصل أخصصه لاستكشاف كل الحقائق والأسانيد المتعلقة بالدين ؟ في الرسالات السماوية الكبرى: اليهودية، والمسيحية، والإسلام.

الختان عند اليهود له قيمة رمزية، إذ إنه عبارة عن عهد مبرم بين الله وإسرائيل يزكيه الدم، وكان أنبياء إسرائيل يسمونه طهارة القلب. مع ملاحظة أن المقصود بالختان عند اليهود ختان الذكور.

وفي المسيحية كان الختان متبعا في أول عهود المسيحية ثم نبذه الرسل. وبقدوم المسيحية استبدل الختان عند المسيحيين «بالتعميد» أي تغطيس الطفل في الماء. ولم تأخذ به الكنيسة، فلم يبق إلا في الحبشة، وفي بعض أنحاء مصر.

وفي الإسلام ينقسم العلماء إلى فريقين، أحدهما يرى أن الختان واجب في حق الرجال والنساء، والآخريري أنه واجب للذكر فقط دون النساء.

حول ذلك كله، خصصت هذا الفصل من الكتاب.

## الختان وحكم الشرع الإسلامي

ختان الذكور ليس عليه خلاف، ومن ثم فلا حاجة لبيان حكم الشرع فيه.

ما يهمنا الآن هو تبيان حكم الإسلام في ختان الأنثى، خصوصا وقد انبرت الكثير من الأقلام للكتابة فيه، والكثيرون يحاولون جاهدين إثبات صحة مشروعية الختان، حتى إن المبالغة وصلت ببعضهم إلى وصفه بأنه من السنة، وبالبعض الآخر إلى القول بأن مقتضى الفقه «لزوم الختان للذكر والأنثى».

من أين يؤخذ حكم الشريعة الإسلامية؟ ، يؤخذ من مصادرها الأصلية المتفق عليها ، وهي القرآن الكريم ، والسنة النبوية الصحيحة ، والإجماع بشروطه المقررة في علم أصول الفقه ، والقياس المستوفى لشروط الصحة .

وكحقيقة واضحة نقول إن القرآن الكريم قد خلا من أى نص يتضمن إشارة من قريب أو من بعيد إلى ختان الإناث. وليس هناك إجماع على حكم شرعى فيه، ولا قياس يمكن أن يقبل في شأنه.

أما السنة النبوية فإنها مصدر ظن المشروعية ، لما ورد في مدوناتها من مرويات منسوبة إلى الرسول على الحق أنه ليس في هذه المرويات دليل واحد صحيح السند يجوز أن يستفاد منه حكم شرعى في مسألة بالغة الخطورة على الحياة الإنسانية كهذه المسألة .

ولا حجة عند أهل العلم في الأحاديث التي لم يصح نقلها، إذ الحجة فيما صح سنده دون سواه.

والروايات التى فيها ذكر ختان الإناث أشهرها حديث امرأة كانت تسمى: أم عطية، وكانت تقوم بختان الإناث فى المدينة المنورة، زعموا أن النبى عين قال لها: «يا أم عطية: أشمى ولا تنهكى، فإنه أسرى للوجه وأحظى عند الزوج». وهذا الحديث رواه الحاكم والبيهقى وأبو داود بألفاظ متقاربة. وكلهم رووه بأسانيد ضعيفة، كما بين ذلك الحافظ زين الدين العراقى فى تعليقه على إحياء علوم الدين للغزالى (١ / ١٤٨).

وقد عقب أبو داود ـ والنص المروى عنده مختلف لفظه عن النص السابق ـ على هذا الحديث بقوله: «روى عن عبيد الله بن عمرو عن عبد الملك بمعناه وإسناده، وليس هو بالقوى، وقد روى مرسلا . . وهذا الحديث ضعيف» (سنن أبى داود مع شرحها عون المعبود ١٢ / ١٢٥ ـ ١٢٦).

وقد جمع بعض المعاصرين طرق هذا الحديث، وكلها طرق ضعيفة لا تقوم بها حجة، حتى قال أخونا العلامة الدكتور محمد الصباغ في رسالته عن ختان الإناث: «فانظر رعاك الله إلى هذين الإمامين الجليلين أبى داود والعراقي وكيف حكما عليه بالضعف ولا يلتفت إلى من صححه من المتأخرين».

فحديث أم عطية ـ إذن ـ بكل طرقه لا خير فيه ولا حجة تستفاد منه . ولو فرضنا صحته جدلا، فإن التوجيه فيه لا يتضمن أمرا بختان البنات ، وإنما يتضمن تحديد كيفية هذا الختان إن وقع ، وأنها (إشمام) وصفه العلماء بأنه كإشمام الطيب ، يعنى أخذ جزء يسير لا يكاد يحس من الجزء الظاهر من موضع الختان وهو الجلدة التى تسمى «القلفة» وهو كما قال الإمام الماوردى « . . قطع هذه الجلدة المستعلية دون استئصالها» . وهو كما قال الإمام النووى : «قطع أدنى جزء منها» ، فالمسألة مسألة طبية دقيقة تحتاج إلى جراح متخصص يستطيع تحديد هذا الجزء المستعلى الذى هو «أدنى جزء منها» . ولا يمكن أن تتم ـ لو صح جوازها ـ على أيدى الأطباء العاديين ، فضلا عن غير المتخصصين في الجراحة من أمثال القابلات والدايات وحلاقي الصحة . . إلخ ، كما هو الواقع في بلادنا وغيرها من البلاد التي تجرى فيها هذه العملية الشنيعة للفتيات .

والحديث الثانى الذى يوازى فى الشهرة حديث أم عطية، هو ما يروى أن النبى عليه على الله على الله على الله على الله على الله على الحافظ العراقى فى تعليقه على إحياء علوم الدين على ضعفه أيضا، ولذلك ولغيره قال العلامة الشيخ سيد سابق فى فقه السنة: «أحاديث الأمر بختان المرأة ضعيفة لم يصح منها شىء». (١/ ٣٣).

وقد نص الحافظ بن حجر في كتابه (تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير) على ضعف هذا الحديث. ونقل قول الإمام البيهقي فيه: إنه ضعيف منقطع. وقول ابن عبد البر في (التمهيد في الموطأ من المعاني والأسانيد): إنه يدور على رواية راو لا يحتج به (عون المعبود في شرح سنن أبي داود لشمس الحق العظيم أبادي، ٤ / ١٢٤.

وكلام الحافظ أبي عمر بن عبد البر في كتابه المذكور نصه: «واحتج من جعل

الختان سنة بحديث أبى المليح هذا، وهو يدور على حجاج بن أرطأة، وليس ممن يحتج بما انفرد به، والذى أجمع عليه المسلمون: الختان في الرجال». (التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ٢١/ ٥٩).

وعلى ذلك فليس فى هذا النص حجة ، لأنه نص ضعيف مداره على راو لا يحتج بروايته ، فكيف يؤخذ منهم حكم شرعى بأن أمرا معينا من السنة أو من المكرمات وأقل أحوالها أن تكون مستحبة ، والاستحباب حكم شرعى لا يثبت إلا بدليل صحيح .

ولا يرد على ذلك بأن لهذا الحديث شاهدا أو شواهد من حديث أم عطية السابق ذكره، فإن جميع الشواهد التي أوردها بعض من ذهب إلى صحته معلولة بعلل فادحة فيها، مانعة من الاحتجاج بها.

وعلى الفرض الجدلى أن الحديث صحيح - وهو ليس كذلك - فإنه ليس فيه التسوية بين ختان الذكور وختان الإناث في الحكم، بل فيه التصريح بأن ختان الإناث ليس بسنة، وإنما هو في مرتبة دونها. وكأن الإسلام حين جاء وبعض العرب يختنون الإناث أراد تهذيب هذه العادة بوصف الكيفية البالغة منتهى الدقة، الرقيقة غاية الرقة بلفظ (أشمى ولا تنهكى) الذى في الرواية الضعيفة الأولى. أراد تبيين أنه ليس من أحكام الدين ولكنه من أعراف الناس بذكر أنه (سنة للرجال) - وهي بمعنى العادة لا بلعنى الأصولى للكلمة - في الرواية الضعيفة الثانية.

ولا تحتمل الروايتان على الفرض الجدلى بصحتهما تأويلا سائغا فوق هذا، ولو أراد النبى عين السوية بين الرجال والنساء لقال «إن الختان سنة للرجال والنساء..» أو لقال «الختان سنة» وسكت، فإنه عندئذ يكون تشريعا عاما ما لم يقم دليل على خصوصيته ببعض دون بعض، أما وقد فرق بينهما في اللفظ لو صحت الرواية فإن الحكم يكون مختلفا، وكونه سنة بالمعنى الأعم لهذه الكلمة يكون في حق الرجال فحسب، وهذا هو ما فهمه الإمام ابن عبد البر القرطبي حين عرض بالذين يقولون إنه سنة، لاعتمادهم تلك الرواية الضعيفة، وبين أن الإجماع منعقد على ختان الرجال.

ولمشل همذا الفهم قال الإمام ابن المنذر «ليس في الختان خير يرجع إليه ولا

سنة تتبع». (نقله عنه: شمس الحق العظيم أبادى في شرحه لسنن أبي داود ١٤ / ٢٢).

وقال الإمام الشوكاني: «ومع كون الحديث لا يصلح للاحتجاج به، فهو لا حجة فيه على المطلوب» (نيل الأوطار، ١/ ١٢٩).

وفى بعض ما نشر مؤخرا فى مصر حول هذا الموضوع ذكرت امرأة سموها (أم حبيبة) وذكر لها فى هذا الشأن مع النبى عَلَيْكِم . وهذا الحديث لا يوجد فى كتب السنة، وليس هناك ذكر فيها لامرأة بهذا الاسم كانت تقوم بهذا العمل، فكلامهم هذا لا حجة فيه، بل لا أصل له.

وهكذا يتبين أن السنة صحيحة لا حجة فيها على مشروعية ختان الأنثى ، وأن ما يحتج به من أحاديث الختان كلها ضعيفة لا يستفاد منها حكم شرعى ، وأن الأمر لا يعدو أن يكون عادة من العادات ترك الإسلام للزمن ، ولتقدم العلوم الطبية ، أمر تهذيبها أو إبطالها . هذه النتيجة هى الخلاصة التي خرج بها الدكتور محمد سليم العوا في دراسته القيمة التي نشرها في جريدتي «الأهرام» و«الشعب» في شهر نوفمبر 1998 ، وهي الدراسة التي اعتمدت عليها كلية في هذا الفصل .

ويكفينا هنا أن نطالع الصفحة ٣٣ من الجزء الأول من كتاب «فقه السنة» للشيخ سيد سابق، ونقرأ قوله الواضح:

«أحاديث الأمر بختان المرأة ضعيفة، لم يصح منها شيء».

ويهمنى أيضا أن أنقل النصوص التي أوردتها مجلة روزاليوسف القاهرية في عددها الصادر بتاريخ ١٥/ ١٢/ ١٩٩٧، تحت عنوان «التشويه الجنسي للبنات»، حيث قالت:

«لكننا نستعين هنا بالتفصيل برأى الشيخ عبد الغفار منصور، مستشار الفقه بالأزهر: «كيف نتصور ونحن في عصر المدنية والحضارة أن تقسو قلوب الوالدين أو أحدهما فيرتكب هذه الجريمة». وفي «مغنى المحتاج» يقال: «ويجب القصاص من فقء العين وقطع الجفن وحرق أنف وشفة ولسان، ولأن لم يكن لها مفاصل لأن لها نهايات مضبوطة، وتعفى الأم فقط من القصاص لأن البنت جزء منها، ولكنها لا تعفى من الدية بل تجب عليها كبديل القصاص».

وينقل الشيخ عبد الغفار عن الشيخ محمد عرفة عضو هيئة كبار العلماء في عام ١٩٥٢ قوله: « وخفاض المرأة موضوع يبحث فيه العالم الشرعي لبيان حكمه في الشرع، ويبحث فيه العالم بوظائف الأعضاء ليبين وظيفة هذا العضو الذي يقع عليه الخفاض. وعلم وظائف الأعضاء يرى أن هذا العضو حيوى وحساس ويعين على عملية التخصيب». ويقول: «ويرى علماء الاجتماع أن ختان الإناث سبب أساسي في انتشار الإدمان والمخدرات لأن الزوج يرى شهوته أقرب من شهوة زوجته . . وإذا منع ختان المرأة في مصر كما منع في معظم البلاد الإسلامية فلا بأس».

ثم يبقى أن نتوقف، بالتدبر والتفكر، أمام الكلمة المستنيرة التى أوردها الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى في الفترى التي أصدرها في عام ١٩٩٤، عندما كان فضيلته يشغل منصب مفتى الجمهورية:

#### نص فتوى مفتى الجمهورية في الختان

قال فضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوي، مفتى الجمهورية:

إن الختان بالنسبة للذكور سنة واجبة لوجود النصوص الصحيحة التي تدل على ذلك، أما بالنسبة للإناث فلا يوجد نص شرعي صحيح يحتج به على ختانهن.

جاء ذلك فى رسالة بعث بها فضيلة المفتى إلى الدكتور على عبد الفتاح وزير الصحة، يرد بها على رسالة تلقاها من الدكتور محمود إبراهيم القط مدير عام الثقافة والإعلام الصحى بالوزارة، كان يسأل فيها عن الحكم الشرعى بالنسبة لختان الإناث. وقد نشرت هذه الفتوى فى صحيفة الأخبار يوم ٢٨ / ١٠ / ١٩٩٤؛ وهذا نص ما جاء فيها:

ا - اتفق الفقهاء على أن الختان بالنسبة للذكور من شعائر الإسلام. ومن الأحاديث النبوية الشريفة التي اعتمد عليها الفقهاء في ذلك، ما رواه الحاكم والبيهقي عن السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن النبي عين الحسن والحسين في اليوم السابع من ولادتهما.

٢ ـ وأما الختان ـ أو الخفاض ـ بالنسبة للإناث، فلم يرد بشأنه حديث يحتج به،

وإنما وردت آثار حكم المحققون من العلماء عليها بالضعف. ومنها حديث «الختان سنة للرجال مكرمة للنساء»، وحديث «لا تنهكى فإن ذلك أحسن للمرأة وأحب إلى البعل» (ومعنى لا تنهكى: لا تبالغى في استقصاء الختان)، وفي رواية «أشمى ولا تنهكى» (أى اقطعى شيئا يسيرا)، ومنها حديث «ألق عنك شعر الكفر واختتن»، وحديث «من أسلم فليختن».

وقد ذكر هذه الأحاديث جميعها الإمام الشوكاني في كتابه (نيل الأوطار) جزء (١) صفحات ١٣٧ ـ ١٤٠، وحكم عليها بالضعف بعد الكلام المفصل عن أسانيدها - وذكر قول الإمام ابن المنذر «ليس في الختان خبر يرجع إليه ولا سنة تتبع».

وقال صاحب كتاب (عون المعبود) شرح سنن أبى داود جـ ١٤ ص ١٨٣ وما بعدها، بعد أن ذكر ما جاء فى الختان، «وحديث ختان المرأة روى من أوجه كثيرة، وكلها ضعيفة معلولة، مخدوشة لا يصح الاحتجاج بها كما عرفت». ثم قال: «وقال ابن عبد البر فى التمهيد: والذى أجمع عليه المسلمون أن الختان للرجال».

٣- وجاء في كتاب (الفتاوى) ص ٣٠٢ لفضيلة الشيخ شلتوت، تحت عنوان «ختان الأنثى» قوله: «وقد خرجنا من استعراض المرويات في مسألة الختان على أنه ليس فيه ما يصح أن يكون دليلا على (السنة الفقهية)، فضلا عن (الوجود الفقهي)».

٤ ـ وقال فضيلة الشيخ سيد سابق في كتابه «فقه السنة» ج ١ ص ٣٣: «أحاديث الأمر بختان المرأة ضعيفة لم يصح منها شيء».

٥ ـ وكتب فضيلة المرحوم الشيخ محمد عرفة، عضو جماعة كبار العلماء، بحثا عن «الختان» بمجلة الأزهر، المجلد ٢٤ سنة ١٩٥٢ ص ١٢٤٢، جاء فيه: «وخفاض المرأة موضوع يبحث فيه العالم الشرعى لبيان حكمه في الشرع، ويبحث فيه العالم بوظائف الأعضاء ليبين وظيفة هذا العضو الذي يقع عليه الخفاض، ويبحث فيه العالم الاجتماعي ليبين آثار الخفاض الاجتماعية أهي آثار حسنة أم آثار سيئة.

وعلم وظائف الأعضاء يرى أن هذا العضو حساس، وأنه معين على إتمام عملية التخصيب، وأن قطعه وإنهاكه يبعد الشهوة.

وبعض علماء الاجتماع يرى أن الخفاض سبب في انتشار المخدرات في البلاد التي

تزاوله ومنها مصر، ولأن الزوج يجد شهوته أقرب من شهوتها، فيستعين ببعض العقاقير التي شاع خطأ أنها تبطئ موفاة الماء من الرجل».

٦ ـ والذى نراه بعد أن استعرضنا آراء بعض العلماء القدامى والمحدثين فى مسألة «الختان» أنها سنة أو واجبة بالنسبة للذكور، لوجود النصوص الصحيحة التى تحض على ذلك.

أما بالنسبة للنساء، فلا يوجد نص شرعى صحيح يحتج به على ختانهن. والذى أراه أنه عادة انتشرت في مصر من جيل إلى آخر، وتوشك أن تنقرض وتزول بين جميع الطبقات، ولا سيما طبقات المثقفين.

ومن الأدلة على أنها عادة ولا يوجد نص شرعى يدعو إليها، أننا نجد معظم الدول الإسلامية ـ الزاخرة بالفقهاء ـ قد تركت ختان النساء .

وما دام الأمر كذلك، فإنى أرى أن الكلمة الفاصلة في مسألة ختان الإناث مردها إلى الأطباء، فإن قالوا في إجرائها ضرر تركناها، لأنهم أهل الذكر في ذلك. وإن قالوا غير ذلك فعلى وزارة الصحة أن تتخذ الإجراءات القانونية لإجراء هذه العملية بالنسبة للإناث بطريقة يتوافر فيها الستر والعفاف والكرامة الإنسانية التي تصون للفتاة أنوثتها السوية.

#### وبالله التوفيق

#### حاشية.

أسعدنى الحظ بلقاء فضيلة الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى في مناسبات كثيرة، واستمعت إليه مرات عديدة، فوجدته رجلا عالما فاضلا يقدر للعلماء والمتخصصين دورهم، ويترك لهم تقرير الحكم النهائي الذي يرونه بعلمهم وتخصصهم، ما دام الدين قد قال كلمته.

ومع أن فضيلته لا يحتاج إلى تأكيد على منهجه العلمى السليم في إصدار فتاواه، فإننى أستشهد في هذا الصدد بما كتبه الدكتور أحمد شوقى الفنجرى في جريدة الأهرام يوم ١١ / ١٠ / ١٩٩٤، عندما قال:

nverted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered versio

«اتصلت بفضيلة المفتى الدكتور محمد سيد طنطاوى، وكان لى معه لقاء وحديث فى دار الإفتاء. وعندما دخلت مكتبه وجدت أمامه مجموعة من المراجع والأبحاث، فأشار إليها قائلا: هذه كلها حول قضية الختان؛ فقد أثارت هذه المسألة انتباهى ولابد من إصدار رأى حاسم فيها. وكم أسعدنى أن أجد عالما فى الدين يتفاعل مع قضايا عصره ومشاكل وطنه لحظة إثارتها، فهذه هى روح العالم المسلم المعاصر التى نفتقدها. واستغربت لكثرة هذه المراجع فقال لى فضيلته إنه لا يقتصر فى أبحاثه على المراجع الدينية وحدها، ولكنه يتدارس أيضا رأى العلم والطب، وأن بين هذه المراجع أبحاث طبية عن الختان. وأكد أنه يتمسك بقاعدة هامة فى جميع فتاويه وهى المراجع أبحاث طبية عن الختان. وأكد أنه يتمسك بقاعدة هامة فى جميع فتاويه وهى المراجع الرأى العلمي في كل مجال في المقام الأول من اعتباره، وإذا أجمع العلماء المتخصصون في أية قضية على رأى ما، فإن هذا هو الحكم الفاصل عنده، لأن المتعدة الشرعية تقول «لا ضرر ولا ضرار»، أي أن ما يضر الأمة الإسلامية فإن الدين المسمح به».

\* \* \*

# الختان اتباع لألاعيب الشيطان

قبل أن أطوى الصفحة الدينية في حديثي عن الختان، يهمني أن أسهم باجتهاد متواضع، أستند فيه إلى آيات الله المحكمات في القرآن الكريم، فأقول: «إن ختان الأنثى هو اتباع لألاعيب الشيطان».

تعالوا نقرأ الآية رقم ١١٩ من سورة النساء، لنجد أن الشيطان، بعد أن عصى ربه، يقول عمن سيتبعونه: ﴿ولأَصْلَنهم ولأَمنينهم ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله﴾.

أى أن الشيطان سيأمر أتباعه بأن يقطعوا آذان الحيوان، وبذلك يغيرون ما خلقه الله.

هيا بنا نأخذ هذا الحكم الصريح والنص الواضح، ننقله إلى موضوع ختان الإناث فسنجد أن الله قد خلق المرأة فأبدع تصوير جسدها، وجعل لكل جزء فيه مهمة ووظيفة، ومنها أجزاء حساسة مثل عضوها التناسلي الذي أبدع تصميمه وجعل فيه جزءا ذا مهمة بالغة الحساسية مسئولة عن بلوغ الأنثى مرحلة الإشباع والارتواء.

السؤال الآن: إذا كان من يقطع أذن الحيوان متبعا للشيطان، مغيرا لخلق الله، أفلا أفليس من يزيل هذا الجزء الحساس من الأنثى بالختان مغيرا لخلق الله؟ وبالتالى: أفلا يكون من أتباع الشيطان؟

ولماذا التساؤل وقد كفانا الله مئونة البحث، فقال جل شأنه، في بقية الآية الكريمة التي نتحدث عنها: ﴿ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا ﴾.

\* \* \*

# الختان من منظور التاريخ والدين المسيحي

ما دمنا نتحدث عن الختان والدين، فقد رأيت أن أسجل هنا كلمة علمية هادئة، حول تاريخ الختان من منظور مسيحى، وذلك من واقع مقالة جادة نشرتها جريدة «وطنى» يوم ٢١ / ١ / ١٩٩٦؛ وبعدها أنتقل إلى بيان موقف الدين المسيحى من الختان. وأبدأ بالمقالة التي قال فيها كاتبها الدكتور «ميخائيل مكسى إسكندر» إنه إزاء الحملة الإعلامية المكثفة التي دارت حول الختان، وإزاء استفسار الأستاذ أنيس منصور في عموده اليومى بجريدة الأهرام، فقد رأى بحث هذا الموضوع في ضوء الكتاب المقدس لتوضيح الصورة.

## وفيما يلي نص مقالته:

«بالرجوع إلى الكتاب نجد أنه يضم بعهديه (٦٥) إشارة كتابية إلى ختان الذكور Circumcision ويسمى في التوراة العبرية Mulah وفي العهد الجديد (في اليونانية) Peritome وكلها تعنى: «قطع شيء مستدير» (قلفة الذكر أو غلفته).

وأول إشارة إلى «الختان» جاءت في سفر التكوين، عندما وعد الله أبانا إبراهيم «الخليل» بأنه يأتيه بنسل من صلبه، وقطع الرب معه عهدا، ووعده بالبركة له ولنسله واعتبر الرب «ختان» الذكور علامة ظاهرة في لحم الجسد كدليل لهذا العهد. فقد أمره الرب قائلا: «يختن منكم كل ذكر (ولم يشر إلى الأنثى) فتختنون في لحم غرلتكم: ابن ثمانية أيام ـ كل ذكر - في أجيالكم . . وأما ذلك الذكر الأغلف الذي لا يختن، تقطع تلك النفس من شعبها، إنه قد نكث عهدى» (تك ١٧ : ١ - ١٤).

وعلى ضوء ذلك «العهد» ختن الخليل ابنه إسحاق بنفسه (تك: ٢١: ٤، أ عه: ٧) ولم يختن أى أنثى في أسرته، إذ لم يشر الكتاب إلى ذلك الأمر إطلاقا.

وقد تم تقنين الأمر الإلهى لإبراهيم الخليل في نصوص شريعة موسى (لاويين ١٢ ، خروج ١٢ : ٤٨ ، يوحنا ٧ : ٢٧ ـ ٣٣) ليطبق على كل ذكر يهودى . والراجح أن بني إسرائيل قد عرفوا الأهمية «الدينية» للختان في مصر . إذ يسجل موسى النبي كاتب التوراة أن جميع الذكور الذين خرجوا (من المحافظة المصرية الشرقية) إلى صحراء سيناء معه كانوا مختونين (يش ٤ : ٥) ثم أهملت هذه العادة خلال مكوث بني إسرائيل في سيناء أربعين سنة . ثم نفذها يشوع ـ خليفة موسى ـ بعد ذلك . وقد رسخت هذه العادة (ختان الذكور) في التقليد اليهودي ، فقد تمسك ذلك . وقد رسخت هذه العادة (ختان الذكور) عن التقليد اليهودي ، فقد تمسك حاولوا منع اليهود من ختان ذكورهم (مكابين أول ١ : ٤٨ ـ ٢٢) .

وجدير بالذكر، أن قدماء المصريين كانوا يختنون أطفالهم الذكور فقط، كما هو واضح في مومياتهم المحفوظة بالمتحف المصرى وعلى آثارهم، وكان الهدف من هذه العملية «دينيا» بحتا وهو متعلق بالنظافة الجسدية «الطهارة» وكان يقوم بهذه العملية زالت عملية الختان تسمى «طهارة» في مصر المعاصرة). وكان يقوم بهذه العملية الجراحية «الكهنة» فقط، وكانوا لا يسمحون لغير المختونين (غير أطهار الجسد في نظرهم) بالدخول إلى معابدهم، أو محارسة الطقوس الدينية المصرية القديمة، كما قال المؤرخ «هيرودوت».

ونفس الفكرة نقلها اليهود عن المصريين القدماء، إذ كانوا ينظرون إلى الشعوب الوثنية المجاورة «غير المختونة» باحتقار، واعتبروهم غير أطهار (قض ١٤ : ٣، أصم ١٤ : ٦، إش ١ : ٥٠، أع ١١ : ٢ - ٣) ولم يكن مسموحا إطلاقا بزواج رجل «أغلف» (غير مختون) من فتاة يهودية (تك ٣٤ : ١٥). وكانوا يشترطون أن يختن ـ أولا ـ قبل الزواج . وكانت هذه العملية الجراحية البسيطة تتم في الأسرة اليهودية ـ في حفل عائلي ـ كما هي العادة في مصر الآن بقطع قلفة (غلفة) الطفل الذكر، في اليوم الثامن ليلاده، باستخدام موسى حادة، أو أية أداة قطع أخرى صالحة (خروج ٤ : ٢٥) يشوع ٥ : ٢).

وكان يقوم بهذه العملية أب الطفل (تك ١٧: ٢٣) أو تتم عند الضرورة ـ بمعرفة الأم (خروج ٤: ٢٥)، ثم أصبحت من اختصاص رجل إسرائيلي، مؤهل للقيام بها صحيا، ويدعى بالعبرية «مؤهل ـ MOHEL». وفي فترات لاحقة، جرت العادة في الأسرة على إطلاق اسم المولود الجديد يوم ختانه (لوقا ١: ٥٩).

وقد أشار السيد المسيح إلى أن «الختان» تقليد يهودى قديم، وكان واجب التنفيذ لدى بنى إسرائيل فى القرن الأول ولابد أن يتم فى اليوم الثامن بالذات، حتى ولو كان هذا اليوم يوم «سبت» (يو ٧: ٢٢ ـ ٢٣) ولم يعترض له المجد على عملية ختان الذكر ذاتها لأنها بالطبع ذات فائدة صحية للرجل.

وفي رأى بعض علماء الكتاب المقدس أن ختان الذكر اليهودى في اليوم الثامن لمولده إنما هو أمر رمزى ـ في الفكر اليهودى ـ إذ يشير العدد (٧) إلى اكتمال المرحلة الأولى من عمر الفرد، وأن اليوم «الثامن» يرمز إلى بداية مرحلة جديدة، يدخل فيها المولود «المختون» في عهد حقيقي مع الرب، ليسير معه بطهارة وقداسة . بينما يوضح الطب الحديث أن التجلط (عدم سيولة) الدم البشرى إنما يحدث ابتداء من اليوم الثامن بالذات، وبذلك يسهل التئام الجروح في اليوم الثامن، وليس قبله، ولو بيوم واحد. ومن هنا تظهر الحكمة الإلهية العالية، التي أمرت بإجراء هذه العملية في اليوم الثامن للميلاد وليس قبله ولو بيوم واحد.

ويبدو أن عملية الختان للذكور قد تسربت من مصر القديمة إلى أجزاء كثيرة من قارة أفريقيا والعالم الجديد، فقد وجدت منتشرة في أثيوبيا، منذ عهد بعيد. كما عرفها زنوج الكونغو، ووصلت أيضا إلى قبائل الهنود الحمر في المكسيك، وسكان جزر فيجي، مما يدعم النظرية الشائعة التي تنادى بوصول قدماء المصريين إلى أمريكا في قوارب من البردى (وقد أثبت الرحالة النرويجي «هيردال» صحة ذلك بقارب بردى عبر به الأطلنطي). ويرى علماء الأنثروبولوچيا (علم الإنسان) أن تلك الشعوب البدائية قد مارست الختان لأسباب دينية. وليست صحية لأنها كانت تعتقد أن التضحية للآلهة (الوثنية) بجزء صغير من جسم الإنسان (القلفة) هو بمثابة تكريس الجسد كله للآلهة المعبودة.

#### الختان في السيحية:

حلت المعمودية Baptisma محل عملية الختان، وفي العهد الجديد، وإن لم تقف المسيحية في وجه إتمامها للذكور، (وقد رأى القديس بولس أن يتم إجراؤها لتلميذه تيموثاوس) حيث لم يرد في قوانين الكنيسة ما يؤكد عدم إجرائها، وإنما تتم للذكور لأسباب صحية بحتة. وبدأ الأوروبيون ممارستها - لهذا السبب - بكثرة في الوقت الحاضر.

وبعبارة أخرى، لم تعد عملية ختان الذكور ذات أهمية دينية كبيرة، كما كان عليه الوضع في الشريعة الموسوية (اكو ٧: ٢١ ـ ٢٢) بناء على ما سجله لنا سفر أعمال الرسل. إذ نقرأ أن بعض اليهود (الفريسيين) الذين تحولوا إلى المسيحية ـ في عهدها الأول ـ تمسكوا ببعض العادات اليهودية كالختان والطعام الحلال والحرام، ونادوا بضرورة ختان الأمميين (غير اليهود) الداخلين حديثا للمسيحية، قبل تعميدهم وقبولهم في الإيمان الجديد.

وقد تناقش الرسولان «بولس وبرنابا» طويلا حول هذا الفكر اليهودى المتعصب للتوراة. وقررا عرض هذا الأمر، في اجتماع عام «للرسل» بأورشليم. وسافروا إلى هناك، ودارت مناقشات ديمقراطية مستفيضة، حول بعض العادات اليهودية في هذا المجمع الرسولي الأول بالقدس (نحو عام ٥٣م).

وعرض القديس بطرس الرسول وجهة نظره في "أن الله لا يميز بين المؤمنين الجدد - من اليهود ومن الأم غير المختونة - بعلامات ظاهرة في الجسد". ورأى القديس يعقوب الرسول (أسقف أورشليم) أنه لا ينبغي أن يثقل على الداخلين للإيمان (من غير اليهود) بفرض عادة الختان عليهم، وهو ما وافق عليه الحاضرون بالإجماع. وتم نشر قرارات المجمع على الشعب المسيحي في الكنيسة الأولى (أع ١٠:١٠٩). ويوضح القديس بولس الرسول في رسائله أن سر "العماد" قد حل محل عادة ختان الذكور، إذ نراه يقول لشعب كنيسة كولوسى: "به (أى بالمسيح) ختنتم ختانا غير مصنوع بيد، بخلع جسم (خطايا) البشرية بختان المسيح، مدفونين معه في المعمودية. وإذ كنتم أمواتا في الخطايا (الموروثة) وغلف جسدكم (عدم طهارته) أحياكم معه. . إلخ» (كو ٢: ١١ - ١٣).

للأنثى. وكنموذج ناطق على هذا الموقف فقد قدم أ.د. عز الدين عثمان - أمين عام الجمعية المصرية لأمراض النساء والولادة - بتاريخ ٩/ ١٩٩٦/ مذكرة في موضوع ختان الإناث، وذلك لعرضها على مجلس إدارة الجمعية؛ وانتهى الأمر باعتمادها موقفًا رسميا للجمعية من قضية ختان الأنثى. يتبلور هذا الموقف فيما يلى:

# هناك ثلاث درجات من ختان الأنثى:

الدرجة الأولى: قطع غطاء البظر وجزء من الشفرين الصغيرين.

الدرجة الثانية : قطع البظر والشفرين الصغيرين.

الدرجة الثالثة: قطع البظر والشفرين الصغيرين والشفرين الكبيرين ووصلهما مع ترك فتحة لمرور البول والطمث.

وللأسف فإن الدرجة الأولى والثانية مازالت تمارس في مصر على أكثر من نحو ٩٥٪ من البنات.

## والمؤيدون لهذه العملية يظنون أنها:

ا \_ تقلل الرغبة الجنسية عند البنات فتمنعهن من الانحراف أو محارسة الجنس قبل الزواج، والرد على ذلك \_ كما تقول الجمعية المصرية لأمراض النساء والولادة \_ أنه : أ ـ ماذا بعد الزواج؟ ستظل هذه الظاهرة موجودة لتؤدى إلى ظواهر اجتماعية خطيرة بين الأزواج، مثل محارسة الجنس عن طريق العنف أو تعاطى المخدرات بالإضافة إلى آلام الحوض المزمنة.

ب\_حسن التربية المنزلية والأسرية للبنات تأتى في المقام الأول لحسن سلوكهن وليس بتر عضو أساسى خلق للاستمتاع بالحياة الزوجية مستقبلاً ولضمان استقرارها.

جـ قطع البظر لا يقلل الرغبة الجنسية التي مركزها المخ الذي يتأثر بحواس أخرى مثل الشم واللمس وغيرها، وأن إزالة البظر يتسبب فقط في عدم الاستمتاع بالجنس وصعوبة الارتواء.

# الختان يثير الجدل بين الأقباط أيضا

تحت هذا العنوان استعرضت جريدة «الوطن العربي» في شهر يناير ١٩٩٧ آراء عدد من العلماء والأطباء الأقباط حول قضية الختان. وقالت الجريدة إن الأسر القبطية تقوم بعمل الختان لأطفالها الصغار بحكم العادات والتقاليد، بينما يؤكد معظم علماء الدين المسيحي أنه لا توجد نصوص في الإنجيل حول هذه العملية، وقد أوردت الجريدة في صدر موضوعها العناوين التالية:

لا يوجد في الإنجيل ما يدعو لختان الأنثى

الأسر القبطية تجرى عمليات الختان سرا

الأنبا غريغوروس: الختان مرفوض دينيا

الأثبا أندراوس: غير وارد في الكتاب المقدس

حبيب قزمان: الختان مذبحة للبنات

موريس أسعد: الكنائس تتصدى لهذه الظاهرة

قيادات الدين المسيحي تؤيد قرار وزير الصحة بمنع الختان

وفيما يلى عرض موجز لبعض ما جاء في هذه الجريدة من آراء:

\*\* تقول إيفيت ن. ط. : أجرت أسرتى لى عملية الختان بحكم العادة. وهذه العادة منتشرة في مصر بحكم أنها عرف، ولا فرق بين مسلم ومسيحى في هذه المسألة، والختان يتم سرا.

\*\* تقول س. ب. «مهندسة»: أعتقد أن عملية الختان هي عملية وحشية، وإنما تم

ختانى وأنا صغيرة، وأصر زوجى على ختان طفلتى الصغيرة. وهي تتم بحكم العادة والتعود عليها فقط.

\*\* ماريا فكرى: عادة الختان للإناث كانت عادة شعبية، وبالتالى انتشرت بين العديد من العائلات المسيحية، وعلى مدار أجيال عديدة. وهذه العادة كانت تتم لأنه لم يكن يوجد وعى لدى هذه العائلات المسيحية.

\*\*الدكتور عاطف السيد: طبعا لا أحدينكر ظاهرة الختان بين المسلمين والمسيحيين، وذلك بحكم العادة، بصرف النظر عن تعاليم الأديان، فإجراء هذه العملية تتم باعتبارها عادة مصرية.

\*\* الأنبا غريغوروس (أسقف عام الدراسات العليا اللاهوتية والثقافية القبطية والبحث العلمى): الختان ـ كما أمر الله وحده وكما يتضح من جميع نصوص أسفار الكتاب المقدس ـ هو للذكور فقط. فالشريعة المسيحية لا تجيز ختان الإناث، وكل مصادرنا الكنسية مجمعة على ذلك. إن ختان البنات خطأ وخطيئة، وهو ممنوع دينيا وإنسانيا وصحيا. وهو يمثل بالنسبة للمرأة جريمة تشبه من بعض الوجوه جريمة خصاء الذكور من الرجال.

\*\* الأنبا أندراوس سلامة (مطران الأقباط الكاثوليك للمنطقة الجنوبية للإبراشية البطريركية والمعاون البطريركي): في العهد القديم كان الختان علامة للانتماء لجماعة، كان ذلك عند بعض الشعوب القديمة بالارتباط مع النضوج والدخول في عالم البالغين أو بمناسبة الزواج. ختان القلب: كان يظن اليهود أنه يكفى أن يكون الإنسان مختونا حتى يتمتع بمواعيد العهد، ولكن إرميا النبي ذكر أن هذه العادة - أي الختان في الجسد المتبعة من شعوب كثيرة - ليس لها أية قيمة روحية (إرميا ٩: ٢٤). أما ختان الإناث فغير وارد في الكتاب المقدس.

\*\* الأب جرجس ناثان (راعى كنيسة العذراء الأميرية): الكتاب المقدس ذكر ختان الذكور فقط. وربنا أمر شعب إسرائيل في العهد القديم أنهم يختنون كل ذكر فاتح رحم، أي البكر بالذات، وكانت الشريعة تأمر بختان الذكور. وختان الإناث كناحية صحية طبعا مرفوضة، لأنه يكون لها أثر سلبي.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

\*\* الأب مرقس عزيز خليل (كاهن كنيسة السيدة العذراء المعلقة): المسيحية لا توافق على ختان البنات، والكتاب المقدس لم يذكر نهائيا ختان البنات. وفي العهد القديم ذكر الكتاب المقدس ختان الذكور كعلامة أن هؤلاء ناس من شعب الله.

\*\* الأب منيس عبد النور (راعى كنيسة قصر الدوبارة): لا توجد نصوص في الكتاب المقدس تؤكد عملية الختان للأنثى.

# الختان من منظور اليهودية

حول هذا الموضوع كتب. Buff D.D في عدد يناير ١٩٩٥ من -New England Jor في عدد يناير ١٩٩٥ من -nal of Medecine

«هناك فكرة عامة بأن هذه العملية معروفة بين مختلف الجماعات العرقية والمجموعات الثقافية، بما في ذلك المسلمين والمسيحيين واليهود وأتباع الديانات الإفريقية المحلية. والمرجع في ذلك هو وثيقة تحتوى على إقرار يقول إن ختان الأنثى شائع في أثيوبيا بين المسلمين والمسيحيين ويمارسه اليهود الأثيو بيين (الفلاشا). ومن الصعب تحديد المصدر الوثيق في مدى دقة هذه المعلومات، وعلى الرغم من أن الحتان مطلوب لكل الذكور اليهود، اتباعا لتعاليم الرب إلى إبراهيم في التوراة، إلا أنه بالتأكيد بالنسبة للإناث ليس طقسا يهوديا. والواقع أن أي شكل من أشكال الختان للإناث يعتبر بترا جسديا ومحنوعا طبقا للقانون اليهودي. والصحيح بالفعل أن الفلاشا يمارسونه، ويعود السبب في ذلك إلى كون الفلاشا عبارة عن مجتمع يهودي مغلق منعزل لآلاف السنين، وبذا لم يكن لهم أي اتصال لا بالنصوص اليهودية المحددة ولا بالمصادر الحاخامية العليمة. كذلك فإن كثيرا من الطقوس الدينية التي يمارسونها ليس لها أساس صحيح في القانون اليهودي المقبول».

وفي عام ١٩٩٥ أيضا، وفي المجلة البريطانية الطبية نفسها، كتب .E Webb تحت عنوان «البتر التناسلي للأنثى - المعرفة الثقافية هي مفتاح الفهم»، يقول: "إن هذه العملية تجرى عند المسلمين واليهود (الفلاشا) وأتباع الديانات المحلية . ومن المحتمل أن تكون قد بدأت بين شعوب كوشيتي الجنوبية، ثم تفرق الأحفاد والمجموعات المتأثرة بهم عبر الساحل الأفريقي، حيث قام الإسلام».

# الختان والدين على الصفحات المطبوعة وعلى صفحات الدوريات المتخصصة في دول العالم المختلفة

نتابع معرفة ما كتب عن علاقة البتر التناسلي بالدين، فنقرأ تحت عنوان «حقوق الإنسان والقيم الدينية» ما كتبه Roylance في عام ١٩٩٦، حيث قال: «تنطق صفحة الحقائق بممارسات تقليدية ضارة متعددة مثل البتر التناسلي للأنثى، وتفضيل الولد. وتلك تشير إلى الدور الحاكم للدين في استمرارية الممارسات الضارة. ولابد من أن نحث الناس على محاربة كل أشكال التمييز والتفرقة».

ونقرأ أيضا في نفس المجلة البريطانية الطبية في عام ١٩٩٥، ما كتبه ١٩٥٠ و . Meniru M. D. إذ قالوا: "إن الحل الدائم لن يأتي إلا من خلال مبادرة عالمية قابلة للتنفيذ. إن البتر التناسلي ليس قاصرا على المسلمين، إن الدين لم يتول رعاية هذه العملية فيما عدا طائفة Skoptozy في روسيا. إن التقاليد تدعم هذه العملية، وكثير من المناطق الإسلامية لا توجد فيها هذه العادة. وحيث إن الدين هو المكون الرئيسي في الخلطة المعقدة التي تشتمل على الدين والثقافة والقومية الموجودة في الدول الإسلامية التي ما زالت هذه العملية تمارس فيها، فإن القضاء عليها يمكن أن يكون أسهل كثيرا مما يعتقد، إذا أقر علماء وقادة الإسلام أن العملية غير ضرورية، فإن التأييد الذي تحظى به سوف يختفي سريعا. والتعليم على وجه الخصوص للمرأة سوف يساعد كثيرا».

وكتبت ناهد طوبيا في عام ١٩٩٥ في المجلة البريطانية الطبية نفسها تقول: «هناك فرق بين ختان الذكر فإن أغلب أنواع ختان فرق بين ختان الذكر والأنثى، فعلى العكس من ختان الذكر فإن أغلب أنواع ختان

الإناث توصف تشريحيا ووظيفيا بأنها بتر. وهناك إجماع عالمي على أن الختان العادى للطفل الذكر هو إجراء طبى مقبول من أجل العناية الوقائية. ويظل الأمر ممارسة دينية لدى البعض الآخر، بموافقة طبية وبدونها.

ويوصى بأن تكون الثامنة عشرة هى سن الموافقة على ختان الإناث، حيث يسمح للنساء المهاجرات من أفريقيا بالحق فى اتخاذ خيارها. وختان الذكور ضرورة مطلقة فى الإسلام واليهودية، هذا فى الوقت الذى لا يرد فيه ذكر ختان الأنثى فى أى نص دينى. ويشهد علماء الثقافات الأفريقية بأن الطقوس التقليدية والقبلية فى أفريقيا تتفوق على الدين».

وتحت عنوان «رؤية إسلامية للبتر التناسلي للأنثى» كتب. Winkel E في مجلة Women and Health في عام ١٩٩٥ ، يقول:

"يعجز المراقبون الغربيون عن فهم الدافع وراء رغبة النساء في ممارسة البتر التناسلي، بالقدر نفسه الذي يحتارون فيه إزاء المعارضة الكلامية غير الدقيقة التي يبديها كثير من المسلمين في مؤتمر القاهرة. إن خطوط المعركة يقف على أحد جانبيها أهل الطب ومنظمات التنمية وأنصار المرأة، وعلى الجانب الآخر يقف المحافظون والمتطرفون الإسلاميون الذين إذا استمعت إليهم تجدهم بالفعل ممن ابتلعهم طوفان نوح. وكثير من المسلمين لا يختلفون مع كلا الجانبين، إن الحاجة هنا هي إلى موقف تجاه هذا الاستقطاب. والبديل هنا هو الحوار الإسلامي القانوني، الذي يمكن أن يوصف بأنه ساحة مناقشة يتم فيها حل القضايا ذات الأهمية الاجتماعية. هذا التغير الإيجابي يمكن أن يأتي من المداخل باستخدام الحوار الإسلامي، وهو ممكن لأ إطار الحوار الإسلامي الكلامي يمكن أن يتسع ليحتضن تشكيلة واسعة من المحاور الاجتماعية والطبية . إن تغييرا اجتماعيا عميقا وتحسينا في الصحة العامة يمكن أن المرأة جسديا ونفسيا. ويإدخال التغييرات على الأنماط التقليدية القائمة، فإن بوسع المسلمين أن يحدثوا تغيرات هائلة في المجتمعات. إن المجتمعات الإسلامية يمكن أن تصبح مستقلة وتستغني عن اعتمادها على الوكالات الغربية وبلادها لكي تحل لها المسلمين أن يحدثوا تغيرات هائلة في المجتمعات. إن المجتمعات الإسلامية يمكن أن تصبح مستقلة وتستغني عن اعتمادها على الوكالات الغربية وبلادها لكي تحل لها المسلمين أن يحدثوا تغيرات هائلة في المجتمعات . إن المجتمعات الإسلامية يمكن أن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version

مشاكلها التي تواجهها، بما في ذلك العواقب الدرامية للبتر التناسلي للأنثى الشائع مارسته. وبدلا من ذلك نحن في حاجة إلى تطبيق ممارساتنا التقليدية ودعم الحوار القانوني الإسلامي».

\* \* \*

كلمة أخيرة في علاقة الختان بالدين...

هذا هو رأى الدين، برسالاته السماوية الكبرى، اليهودية والمسيحية والإسلام، في ختان الإناث. إنه أمر مرفوض وليس هناك نص واحد ثابت يقضى بوجوبه.

وهكذا نجد أن هذه العملية ترفضها جميع الأديان وتتبرأ منها. .

# الفصل الثامن الختـان والموروث الثقافي

اتفقت جميع الآراء على أن الختان قضية معقدة، انطلاقا من حقيقة أنه ممارسة تقليدية موروثة، متأصلة برسوخ في المفاهيم الثقافية، ومتصفة بأنها من القيم الأبوية المستمدة من شيخ القبيلة، وتختفي وراء ستائر الصمت والمحظورات المحرمة. في هذا الإطار نجد أن المرأة ليست مرغمة على إجراء الختان، لكنها قد انتظمت نفسيا للقبول به من خلال المفهوم الثقافي المتوارث.

إننا فى سعينا لكشف حقيقة الختان وتعريته من أجل القضاء عليه، مطلوب منا ويإلحاح \_أن نفهم مضامينه الاجتماعية - الثقافية (Sociocultural) لكى نتعرف على الأسباب التى تدفع المرأة إلى إجراء الختان لنفسها والسماح لابنتها بأن تخضع لعملية البتر التناسلي.

فى المجتمعات الأفريقية القائمة على مفاهيم الأبوة وشيخ القبيلة، وعلى وجه الخصوص فى المجتمعات التى تكون الموارد والسلطة فيها تحت سيطرة الرجل، نجد أن المرأة تستمد قيمتها من دورها العائلي كزوجة وأم. ولهذا فإن الزواج من عروس مهرها مرتفع يصبح ضرورة اقتصادية للعائلة. وهكذا فإن الختان يصبح وسيلة لتدعيم التلاحم العرقي والاجتماعي، فضلا عن أنه يضفى هوية اجتماعية ثقافية (Sociocultural)وشرفا على العروس الصغيرة وأسرتها. علاوة على ذلك فإن الختان ينظر إليه على أنه تأكيد للعذرية والعفة، وهو ما يمكن مقارنته بحزام العفة

الذي كان استعماله منتشرا في أوروبا في العصور الوسطى، وبذلك يحتفظ للرجل بسيطرته وتبعية المرأة وخضوعها له.

فى هذه المجتمعات يعتبر الختان بمثابة تصريح بالمرور، تعبر منه البنت من الطفولة إلى الأنوثة. وبذلك فإن هذا الطقس يضمن للبنت وعائلتها القبول والاحترام من جانب المجتمع.

وعندما ازداد الوعى وبدأ تحطيم أسوار الصمت المحدقة بهذا الطقس، تبين أن النساء، وخصوصا العجائز منهن، هن أكثر الجماعات حرصا على استمرار هذا الطقس. ومن خلال دراسة دانماركية ميدانية بينهن أمكن تلخيص حجج النساء المدافعات عن بقاء هذا الطقس فيما يلى:

- أن الختان هو طقس العبور إلى البلوغ.
- \* الختان يجعل الأنثى «امرأة حقيقية»، نظيفة، عفيفة، ويحفظ عذريتها.
  - الرجل لا يتزوج إلا المرأة المختنة .
- الختان يزيد من فرص البنت في الزواج، والمهر العالى يضمن للعائلة وضعا
   اقتصاديا طيبا.
  - \* المرأة التي لم تختن تعتبر عاهرة ومنبوذة.

أما الأفكار السائدة لدى الرجال والنساء حول «فوائد» الختان فيما يتعلق بالصحة والإنجاب والجنس، فهي، وفقا للدراسة الدانماركية نفسها:

- أن ممارسة الختان تعتبر تطهيرا يؤدى إلى تحسين الأحوال الصحية والنظافة للبنت والمرأة.
- \* يستحب للمرأة أن تختن ليحول ذلك دون أن تصبح ساخنة، ومبللة، وثائرة جنسيا.
- \* الأعضاء التناسلية للأنثى تفتقد إلى الجمالية، وهي قبيحة المنظر، ويمكن أن تنمو حتى تصبح مثل أعضاء الرجل.

- أن الأعضاء التناسلية للمرأة تقلل من السعادة الجنسية للرجل، واحتكاك البظر يمكن أن يؤذى القضيب.
  - \* أن ملامسة البظر تؤذى رأس الطفل المولود مما قد يؤدى إلى موته.
    - \* الختان يضمن الخصوبة وينمى صحة الأم وطفلها.

ومعظم هذه الأسباب لايمكن قبولها طبيا أو إثبات صحتها.

#### مفارقة صعبة :

ينتمى الختان إلى مظاهر انعدام المساواة العائدة للنوع (الجنس)، والكامنة برسوخ في الهياكل السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية في المجتمعات التي يمارس فيها. وبهذا يمثل الختان نموذجا صارخا للمفارقة الحادة بين «المطالب المحلية» والحاجة إلى الحصول على «هوية ثقافية» من ناحية، وبين الادعاءات «الحديثة» و«المتحضرة» لحقوق الأفراد والحريات من ناحية أخرى. ويصدق هذا على وجه الخصوص على النساء اللاثى يعشن في مجتمعات تسود فيها المفاهيم الأبوية والمعتقدات الراسخة بتفوق الذكر ودونية الأنثى. ومسكينة المرأة في الجنوب، فهي عندما تطالب بإلغاء هذه الممارسة التقليدية المرتبطة بالنواحي الجنسية والإنجابية فإنها سوف تواجه مشكلة أخرى هي «الولاء الثقافي»، أي أنها ستقع فريسة اختيار صعب بين ثقافتها من ناحية وبين صحتها الجنسية والإنجابية وحقوقها من ناحية أخرى.

#### النساء من أسباب المشكلة:

هذه هي الجذور الموروثة منذ القدم، والتي شكلت الأرضية الثقافية للختان. ومن الواضح أن الأم المتحدة قد اتخذت موقفا واضحا يدين هذا الموروث، وتعتبره واحدا من أسباب استمرارية محارسته حتى الآن. ففي أوائل شهر أغسطس ١٩٩٦ أعلنت منظمة الصحة العالمية بدء حملة عالمية لإنهاء الختان، وقال «هيروشي ناكاجيما» منظمة المنظمة في مؤتمر صحفي: إن نحو ١٩٥٠ مليون امرأة وفتاة في أنحاء مختلفة من العالم تعرضن لشكل من أشكال الختان، وينضم إليهن كل عام مليوني امرأة وفتاة.

ما يهمنا التركيز عليه هنا، ونحن نتحدث عن الموروث الثقافي للختان، ما قالته في المؤتمر الصحفي نفسه «نفيس صادق» المدير التنفيذي لصندوق الأم المتحدة للسكان:

«إن نساء وفتيات كثيرات يقبلن التعرض للختان خشية أن يبقين من غير زواج. ويبدو أن النساء أنفسهن يتحملن جانبا كبيرا من المشكلة».

#### ماذا يقول العالم في هذا الصدد:

عندما نتصفح المجلات والدوريات العالمية المتخصصة ، نجد أقلاما عالمية كثيرة قد تناولت الجوانب الثقافية في موضوع البتر التناسلي للأنثى . ونبدأ جولتنا بما كتبه Makie E. في American Sociological Review ، عندما قال تحت عنوان «إنهاء تقييد الأرجل والبتر التناسلي للأنثى» :

«هناك وجه تشابه بين ما يفعله الصينيون في تقييد أرجل النساء وبين البتر التناسلي للأنثى، فكلاهما يعتبر من عوامل إثارة سعادة الرجل في أثناء العملية الجنسية، وكلاهما يتعلق بعبودية المرأة. ويمكن تحقيق تغير سريع عن طريق حملة تعليم، وباستخدام الرأى العام الدولي المعارض، وبتشكيل جمعيات تضم الآباء الذين يعلنون عدم تعريض بناتهم لهذه العملية، وعدم السماح لأولادهم بالزواج من نساء مبتورات».

وفي عام ١٩٩٥ كتب . New York Times في جريدة Rosenthal A. M. عنوان : «الحلم الممكن . . إنهاء البتر التناسلي للأنثي» يقول :

«فى معظم الدول الأفريقية التى تشيع فيها ممارسة البتر (٣٠ دولة أفريقية) فإن ٥٠ - ٩٠ ٪ من البنات والمراهقات تجرى لهن هذه العملية، بهدف ضمان عذرية الفتاة ومنع المرأة من ممارسة اللذة الجنسية. وبرغم أن البتر هو شكل من أشكال سيطرة الرجل على المرأة، فإن المرأة في الواقع تجرى هذه الجراحة تحت طائلة عقوبة كل من الذكر والأنثى الأعضاء في المجتمع. المطلوب هو اعتمادات مالية لتعليم النساء وتدريب القائمين على إجرائها وتحسين الرعاية الطبية».

وفي عام ١٩٩٦، كتبت مجلة Sex Weekly تحت عنوان: «البتر التناسلي للأنثى حول العالم» تقول: «يقدر عدد الإناث اللاتي أجريت لهن عملية البتر التناسلي بحوالي ١٢٠ مليون، معظمهن كن في سن ٤- ١٠ سنين عندما أجريت لهن. ويعتبر البتر حقا للمرور في أجزاء من أفريقيا والشرق الأوسط وجنوب شرقي آسيا. ويتم إجراؤه للإناث لجعلهن أكثر قابلية للزواج».

وتحت عنوان «صحة النساء والأطفال»، كتب Ras-Work B. يقول: «لكى تستحوذ النساء على فرصتهن المحتملة في القيادة، فإن عليهن أن يحررن أنفسهن من قيم الخضوع المحفورة داخلهن، وأن يقضين على كل أشكال الإساءة والأفكار العقيمة. لقد تعلمت المرأة من خلال عمليات تطبيع اجتماعية عديدة أن تضحى براحتها ورفاهيتها من أجل زوجها وأطفالها، وأن تتطابق مع نظم القيم المستقرة. إن البتر التناسلي هو تضحية استمرت المرأة في تقديمها، في الوقت الذي تبقى فيه المجتمعات التي تعيش فيها صامتة، غير متعاطفة، ولا مبالية».

وفى عام ١٩٩٥، وتحت عنوان «أخطار أن تكونى أنشى»، فى Family Planning ، فى العالم، يقول: News

"إن النساء يتعرضن للخطر لمجرد كونهن نساء، ليس فقط بسبب المشاكل المتعلقة برعاية صحة المرأة، ولكن أيضا بسبب الطريقة التي يعاملهن بها المجتمع كأشخاص عاجزات أو ممنوعات من اتخاذ قرارات تتعلق بحياتهن. إنهن لا تتاح لهن إلا فرص محدودة للحصول على الخدمات الصحية في كثير من أنحاء العالم. ويتم إجراء عدد كبير من عمليات الإجهاض غير الآمن، الأمر الذي ينتج عنه نصف مليون حالة وفاة سنويا، فضلا عن الانتشار الواسع للبتر التناسلي للأنثى، والإحصاءات المزعجة فيما يتعلق بوفيات الإناث ».

وفي عام ١٩٩٦ كتب . Macklin R تحت عنوان «تقرير الإحصاءات الصحية العالمية» في World Health Statistics Quarterly ، يقول :

"إن القوانين والسياسات والممارسات ينبغى تغييرها إذا كانت النتائج والعواقب ضارة وليست مساعدة. إن المبادئ الأخلاقية لا يمكن أن تملى حلولا للمشاكل التي تنبع من نقص حقيقي في الموارد، إنها تقدم حلولا للمشاكل التي يمكن منعها. إن

هذه المبادئ الأخلاقية العالمية تضم مبدأ المنفعة، وهو الذي يجبر الناس على محاولة إنتاج ما هو طيب أكثر وليس ما هو ضار. وعلى هذا فإن الخدمات الصحية يتوجب عليها عمل تقويم صحيح لمنفعة المخاطرة، وذلك باستخدام البيانات المناسبة، ووضع المضمون الثقافي في الاعتبار. إن الاعتراف بأن الحقوق الإنجابية توجد داخل الإطار الكبير لحقوق الإنسان، سوف يترتب عليه احترام المبدأ الأخلاقي العالمي (احترام الأشخاص) الذي يتضمن الحرية الفردية في التحرر. وليست هناك أية أسباب دينية أو ثقافية يمكن أن تبرر عملية مثل البتر التناسلي للإناث، التي تنتهك هذه المبادئ الأخلاقية الجسدية».

ويبقى فى ختام الحديث عن المنظور الثقافى للختان أن نقرأ ما ورد فى عام ١٩٥٥ فى المبدو فى عام ١٩٥٥ أن البدو فى المبدو Archives of Sexual Behaviour، تحت عنوان «البتر التناسلى للإناث بين البدو الرحل فى إسرائيل ». فنقرأ «أن الأسباب التى تُقدَّم عادة لإجراء هذه الجراحة الجنسية هى الضغوط من أجل الحفاظ على التقاليد والاعتقاد بأن الطعام الذى تطهوه امرأة غير مختنة لا يكون طيب المذاق ولا نظيفا».

ومع أن النساء اللاتى تم فحصهن قررن شعورهن بالألم فى أثناء الجماع فى الشهور الأولى للزواج، فإنهن أعربن عن موافقتهن على عملية البتر واعتزامهن مواصلة التقاليد. ويوصى، من أجل حماية صحة الأم الصغيرة والحفاظ على التقاليد الموروثة، بتدريب العاملين فى مجالات الصحة والدين على إجراء أشكال رمزية من الختان فى ظروف صحية جيدة».

## كلمتي الأخيرة في الموروث الثقافي للختان :

أقول، وأكرر، أن ختان الأنثى لا علاقة له بالدين ولا بالصحة ولا بغيرهما، وإنما هو عادة متوارثة عبر الأجيال من التأثير الثقافي المتواصل. إن هذه العادة \_ كما أكدت الدراسات والبحوث، هي تعبير، وعمارسة مبكرة للتحكم والسيطرة على النساء، باعتبارهن كاثنات جنسية وأصل الشرور، ويشكلن خطرا على السلام الداخلي وقيم المجتمع. فهن مطالبات دوما بتقديم الدليل على حسن السير والسلوك، ولو من أجسادهن الحية، وهن مدانات دائما إلى أن تثبت براءتهن. ومن ثم تلقن الفتاة درسا مبكرا في أن السيطرة على المرأة أمر واجب لصالح المجتمع.

ويهمنى هنا أن أشير إلى الرأى الذى يقول فيه البعض إن الختان هو نوع من العنف تمارسه النساء على النساء، وأن الأمهات هن الفاعلات الأساسيات فى هذا الشأن. ومرة أخرى أعود إلى البحوث والدراسات فأعرب عن تأييدى لما انتهت إليه من أن الأب يلعب دورا جوهريا فى ختان بناته، وأن كثيرا من الآباء يعتقدون أن الأم سوف تقوم بهذه المسئولية الموكلة إليها من قبل المجتمع بأسره. . يراقبها فى القيام بها ويحاسبها أشد الحساب إذا لم تقم بها . إن الكثير من هذه المعاناة أصبح «معتادا» و «مباركا» من المجتمع ككل . . وهو أن تعرض الأم ابنتها للختان على يد طبيب أو داية ، لدرجة أن النساء أنفسهن أصبحن يعتقدن أن المعاناة جزء أصيل من حياتهن وأنه لا يوجد نموذج لحياة دون معاناة ، ومن ثم فإن هذه المعاناة هى «الطبيعي» و «الأصول» والنسق الوحيد المقبول .

وهناك كثير من الأطباء الأوروبيين يؤكدون أن الختان هو السبب الرئيسى فى شيوع طابع «الحزن» و «الأسى» بين النساء المصريات فى حركاتهن وأحاديثهن وأغانيهن ونظرتهن للحياة، لأنهن حرمن حرمانا أبديا من الاستمتاع بالجنس الكامل والطبيعى. وهو رأى يرفضه الكثيرون وأنا منهم وأشترك مع الأستاذياسر أيوب (جريدة الدستور ١٩٩٦) فى أن فيه مبالغة، لأن هناك تفاصيل أخرى فى حياة كل فتاة أو امرة مصرية إلى جوار الختان تسبب الإحساس بالحزن والقهر والامتهان أيضا.

خلاصة رأيى أن القرار الفعلى في نهاية الأمر يوجد في يد النساء في المصير الحتمى للختان. عندما ينبع الطلب في التغيير من النساء أنفسهن، وعندما يصبح بوسعهن أن يرفضن السماح لبناتهن بالخضوع لعملية الختان، فعندئذ سيكون هناك أمل في القضاء على هذه العادة القميئة.



# الفصل التاسع الختسان ورأى المصريين فيه

هذا الفصل أخصصه لبيان رأى قطاعات متعددة من أبناء الشعب المصرى فيما يتعلق بختان الإناث ؛ بل أيضا لقطاع من هذا الشعب ما زال يرفع صوته مؤيدا الختان ومطالبا بالإبقاء عليه. ومادة هذا الفصل مستقاة من استطلاعين للرأى، وفي رأيي أن استطلاعات الرأى تعتبر واحدا من المعايير العلمية لقياس رأى الجماهير في قضايا تمس حياتهم.

وقد تكون نتائج استطلاعات الرأى مضادة لرأينا، لكنه لابد من باب الأمانة العلمية التي ألزمت نفسى بها أن أستكمل كل جوانب الصورة بما أسفرت عنه هذه الاستطلاعات.

\* \* \*

نحن نتحدث بالعقل والمنطق، ونناقش قضية الختان من منظورها المحلى والدولى، ومن منطلق حقوق الإنسان وحقوق المرأة الجنسية والإنجابية، ونبين بالعلم الذي تثبته التجارب أن الختان جريمة في حق الأنثى.

لكن المصريين، أو الغالبية العظمى منهم، للأسف الشديد، لا يشاركوننا هذا النهج ولا هذا الرأى، بل على العكس ما زالوا يؤمنون بإجراء هذه العملية الهمجية القميئة لبناتهم، تحت مزاعم بالية، وخاطئة، لا تمت إلى الأديان بأية صلة، وتقع تحت طائلة قوانين العقوبات.

هذه هى الحقيقة \_ للأسف الشديد \_ والتى ينطق بها استطلاعان للرأى أجريا هذا العام والعام الماضى. الأرقام مخجلة، والحقائق مؤسفة، وقد خذلنى فيها المصريون، ولكن ما حيلتى وقد آليت على نفسى أن أخوض معركة الختان إلى مداها، ومن بين وقائع الحرب أن أواجه الحقائق مجردة، حتى ولو كنت أرفض وجودها. .

## استطلاع رأى المصريين:

هذا الاستطلاع قام بإجرائه مركز الأبحاث والدراسات بمؤسسة دار التحرير الصحفية، ونشرته جريدة الجمهورية على صفحاتها بتاريخ ٣١/٨/٣١ ؛ تحت عنوان:

أول استطلاع رأى حول ختان الإناث يؤكد :

نصف عمليات الختان يجريها الداية وحلاق الصحة

شمل الاستطلاع ٠٠٠ عينة ينتمون إلى مجموعة الفئات العمرية والمهنية المختلفة (مهنيين موظفين عمال فلاحين)، كما يمثلون ٩ محافظات (القاهرة الجيزة الإسماعيلية بورسعيد دمياط الشرقية المنيا أسيوط).

وفيما يلي النتائج :

السؤال الأول:

هل أجريت عملية ختان لابنتك ؟

- نعم ۹٥ ٪

X 77 Y -

- امتنع عن الإجابة ٩٪

\*\* في حالة الإجابة بنعم، كانت نسبة من قاموا بإجرائها في المستشفيات ٢٤٪، وعند الطبيب (العيادات الخاصة) ٣١٪، أما حلاق الصحة فيجرى ٩٪ من هذه

الحالات، بينما احتلت الداية نسبة ٣٦٪، أي أن الحلاق والداية يقومان بـ ٤٥٪ من عمليات الختان مقابل ٥٥٪ بالمستشفيات والعيادات الخاصة.

ويلاحظ اختفاء دور الداية وحلاق الصحة تماما في عينات القاهرة والجيزة، أما عينة دمياط وبورسعيد فلم تتجاوز نسبة من أجروا عملية الختان عند الداية أو حلاق الصحة ١٣٪، ارتفعت في الشرقية والإسماعيلية إلى ٢٧٪، وقفزت في الدقهلية إلى ٤٢٪.

ثم تأتى عينة الصعيد لتؤكد أهمية الداية وحلاق الصحة عند هذه الشريحة، حيث تصل النسبة إلى ٩٦٪ بمن يجرون الختان.

من هنا تكمن الخطورة، ليس فقط في إجراء هذه العادة التي تؤذى الفتاة نفسيا وجسديا، وقد تؤدى إلى وفاتها، ولكن أيضا إلى سيطرة الداية وحلاق الصحة عليها والترويج لها.

أما نسبة الـ ٣٢٪ الذين قالوا (لا)، فقد رفضوا الختان حتى قبل قرارات وزير الصحة بمنع إجرائه. ويلاحظ أن الغالبية العظمى منهم من المهنيين (أطباء مدرسين محامين مهندسين).

## السؤال الثاني:

هل قرأت أو سمعت عن حوادث الوفاة الناتجة عن الختان:

- نعم ٣٤٪
  - 125 Y -

في البداية نلاحظ في نسبة الـ ٦٤٪ الذين أجابوا بأنهم لم يقرءوا أو يسمعوا عن هذه الحوادث، أن حوالي ٥٠٪ منهم أميون لا يعرفون القراءة والكتابة، وخاصة في محافظات الصعيد وبعض محافظات الوجه البحرى، فقد مثلت هذه الفئة ٧٠٪ من عينة الشرقية والدقهلية.

غير أن نسبة تمثل حوالي ٣٪ من العينة (بخاصة المهنيون) التي أجابت بـ (لا) قد شككت في صحة هذه الوقائع، وأجابت بأن الدولة تحاول تخويف الناس للبعد عن هذه العادة، عن طريق ادعاء وجود حالات وفاة !!

ولعل ذلك يكشف عن قصور تناول أجهزة الإعلام المرئية والمسموعة (الإذاعة والتليفزيون) لهذه الحوادث، حيث لم يعرف بها سوى قراء الصحف والمجلات.

أما الجزء الثاني من السؤال والذي كان نصه: في حالة الإجابة (بنعم) فهل غيرت قناعتك بعد ذلك ؟ كانت الإجابات كالتالي:

- \_٠٧٪ أجابوا بنعم.
- \_ ٥٪ لم يغيروا قناعتهم.
  - ۳۰٪ لم يجيبوا.

وهنا نجد أن نسبة الـ ٢٠٪ الذين أجابوا بنعم كانت أهم الأسباب لديهم :

- \_لم أكن أعرف خطورة هذه العملية.
  - \_أخاف على ابنتي أن تموت.
- \_ لأنى أشك أن تموت ابنتى حتى على يد الطبيب.
  - \_ لأن الختان ليست مسألة دينية .

بينما انقسمت أسباب الـ • ٥٪ الذين لم يغيروا قناعتهم إلى شقين، حيث أكد ٣٣٪ منهم أنهم بالفعل يؤمنون بعدم أهمية هذه العادة، وأنها عادة غير إسلامية لذا فلم يغيروا قناعتهم.

أما النسبة الباقية ٦٧٪ فقد انحصرت أسبابهم في :

- ـ الموت والحياة بأمر الله .
- ـ سوف أحمى ابنتي بأن يقوم الطبيب بهذه العملية .
  - \_أخاف على ابنتي وأريد حمايتها من الانحلال .
- \_حالات الوفاة تنتج عن الإهمال بواسطة الداية أو حلاق الصحة، أما الطبيب فهو أفضل.

### السؤال الثالث:

أصدر الدكتور إسماعيل سلام وزير الصحة قرارا بمنع ختان الإناث . . ما رأيك ؟

- أوافق ٢٧٪
- أرفض ٣٢٪
- أمتنع عن الإجابة ٣١٪

ونلاحظ عند إضافة الـ ٣٢٪ النسبة الرافضة لقرار الوزير إلى نسبة من امتنعوا عن الإجابة (٣١٪) فإن مجموعهما سويا يقارب نتائج السؤال الأول. والذين أجابوا بأنهم قاموا بإجراء الختان بالفعل، إضافة للمقتنعين.

وقد أبدى بعض المعترضين، بخاصة المهنيون منهم، اعتراضهم على تغيير هذه المسألة. وأضافوا أن دور الوزارة هو زيادة الوعى تجاه إجراء هذه العملية بشكل صحى يتلافى المشاكل التي تحدث عنها. أما المنع فهو في رأيهم غير واقعى.

وشملت العينة نسبة من الأطباء -خاصة في الريف - وكان السبب الأساسي لرفضهم، هو أن هذا القرار يحاربهم في مصدر رزقهم، ويحول الناس أكثر إلى اللجوء للداية وحلاقي الصحة.

أما الذين وافقوا على قرار الوزير، فكان غالبيتهم العظمى من المهنيين والمثقفين، وقد أبدى البعض منهم ملاحظة أن قرار الوزير لم تصحبه حملة إعلامية واسعة تشرحه وتقدمه للجماهير سواء في الصحف أو في الإذاعة والتليفزيون، وخاصة أن هناك الكثيرين في الريف والأحياء الشعبية في المدن يحملون تصورات بأن الختان أمر يتعلق بالدين.

### السؤال الرابع:

أعلن فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الدكتور سيد طنطاوي أن أمر منع أو إباحة ختان البنات متروك للأطباء المختصين وليس لأهل الذكر . . مارأيك ؟

أوافق ٥٤٪

- أرفض ٥٤٪
- أمتنع عن الإجابة ١٠٪

واللافت للنظر وجود نسبة ١٥٪ من العينة رغم رفضهم لقرار وزير الصحة في السؤال السابق، إلا أنهم وافقوا على بيان شيخ الأزهر، وعندما سألنا عن سبب ذلك ظهرت عدة أسباب منها البعد الديني، فالبعض وخاصة «الأميون» قال إن كلام شيخ الأزهر «كويس» ولا نستطيع أن نقول عنه شيئا.

البعض الآخر فهم بيان شيخ الأزهر على أنه دعوة منه بأن يقوم بإجراء العملية طبيب وليس الداية أو حلاق الصحة.

### السؤال الخامس:

أوافق على قرار وزير الصحة وبيان شيخ الأزهر لأن الحتان:

- عادة لم يأمر بها الإسلام ٢٦٪
- يؤدى إلى البرود الجنسى ٢٠٪
  - ينفذ بطريقة خاطئة ٥٥٪
- يؤدى إلى مشاكل اجتماعية وأخلاقية ٧٤٪

وقبل تناول هذا السؤال بالتحليل نشير إلى أن العينة اختارت أكثر من عامل في أسباب الموافقة على قرار وزير الصحة. وتظهر النتائج أهمية التوعية في مواجهة هذه المشكلة حيث أكد المبحوثون بنسبة ٢٠٪ (وهي في المرتبة الأولى) على أن الختان يؤدي إلى البرود الجنسي (وهي مشكلة واقعية في المجتمع). واحتلت مشكلة أنه ينفذ بطريقة خاطئة المرتبة الثانية (٥٥٪). وإذا كان عامل المشاكل الاجتماعية والأخلاقية (٤٧٪) جاء في الترتيب الثالث قبل العامل المتمثل في أنها عادة لم يأمر بها الإسلام (٤٤٪)، إلا أن تقارب هذين العاملين يؤكد ارتباطهما وخاصة أن ٢٠٪ من العينة قد اختارهما معا كسبب أساسي للموافقة على قرار الوزير وبيان شيخ الأزهر.

### السؤال السادس:

أرفض قرار وزير الصحة وبيان شيخ الأزهر لأن الختان :

- تراث دینی ۲۹٪
- عادة وتقليد متوارث ٥٦٪
  - عملية تجميل ١٥٪
- للحفاظ على أخلاق المرأة والمجتمع ٢٤٪

فى إجابات هذا السؤال أيضا نلاحظ اختيار العينة لأكثر من عامل فى أسباب رفض القرار.

وفى تقديرنا فإن النتائج جاءت متسقة مع الواقع إلى حد كبير والذى يعكس مفهوم العينة حول هذه المسألة فكان ترتيب الأسباب :

أولا: المحافظة على أخلاق المرأة والمجتمع، وقد ارتفعت هذه النسبة في الصعيد حيث احتلت نسبة ٠٨٪ تليها محافظات الشرقية والمنصورة ثم الإسماعيلية وبورسعيد.

تلا ذلك أنها عادة وتقليد متوارث، والذي جاء في المرتبة الثانية بنسبة (٥٦٪) وقد تساوت أهمية هذا العامل في كل العينة .

أما الترتيب الثالث فكان لأنها تراث ديني (٢٩٪)، وقد ازدادت أهمية هذا العامل في الصعيد وقرى المحافظات. وأخيرا أنها عملية تجميل جاءت في المرتبة الأخيرة (١٥٪).

### ملاحظات:

\* أكدت نتائج الاستطلاع أن الإعلام لم يعط لهذه القضية الاهتمام الكافى، حيث إنه لم توجد حتى الآن حملة إعلامية لشرح هذه القضية وتوعية الناس بالخطورة الكامنة وراء عادة متوارثة.

\* التليفزيون بشكل خاص اتخذ موقفا حياديا رغم أهمية دوره في التوعية وخاصة بين الأميين، ويظهر هذا التقصير بوضوح في النسبة الكبيرة (٦٤٪) التي قالت إنها لم تسمع عن حوادث الوفاة نتيجة عمليات الختان.

\* إجابات الاستطلاع كانت مرتبطة إلى حد كبير بدرجة الثقافة والتعليم، فكان من الطبيعى أن ترتفع نسبة من يؤمنون بأن الختان مسألة دينية بين الأميين بشكل عام بينما ارتبطت هذه المسألة في حالة المهنيين بالمصالح الخاصة، فبعض الأطباء أكدوا على مسألة التراث الديني حماية لمصدر رزقهم الذي يحاربه وزير الصحة.

\* أثبت الاستطلاع أن القضية بشكل عام ليست لها علاقة بالدين بالتصور نفسه الذي يروج له المعترضون. وقد ظهر ذلك بوضوح في نتائج السؤال الأخير والذي تبين منه أن مسألة التراث الديني جاءت في الترتيب قبل الأخير لدى أفراد العينة، سبقته العادات والتقاليد المتوارثة، الأمر الذي يؤكد ضرورة التوعية لمواجهة بعض العادات المتوارثة، والتي قد تؤدى إلى كوارث بسبب الجهل بخطورتها.

### استطلاع رأى المصريات:

فى ٦/ ٢/ ١٩٩٧ أبرقت وكالة الأنباء الفرنسية من القاهرة نتائج الدراسة التى أجراها المجلس الأعلى للسكان، وشملت أكثر من ١٤ ألف امرأة متزوجة وتمحورت حول النمو السكاني وصحة المرأة في مصر، والختان.

وتشير نتائج هذه الدراسة إلى أن ٨ مصريات من كل عشر يؤيدن عملية الختان (٨٢٪) بينما عارضتها ١٣٪ وامتنعت ٥٪ عن الرد. وعلى الصعيد التعليمى انخفضت نسبة المؤيدات للختان إلى ٥ر٦٥٪ عند من أنهين تعليمهن الثانوى، في مقابل ١ر٩٣٪ لدى الأميات.

وكان رأى المصريات أيضا أن الختان يحظى بتأييدهن لأنه:

# عادة حسنة	۳ر۸۵٪
* من دواعي النظافة	۱ر۳۳٪
* لأسباب دينية	۲ر۳۰٪
<ul> <li>پحافظ على عفة الفتاة</li> </ul>	۱ر۹٪
* من أسباب تسهيل فرصة الزواج	۹ر۸٪

\* يمنع الخيانة الزوجية

شباب حصول الرجل على اللذة ٨ر٣٪

سيحان الله!!

لا أجد ما أقوله سوى سبحان الله. فبعد كل هذه السنين، وكل هذه الجهود الصحية والإعلامية، ما زلنا نسمع من المصريين والمصريات الرأى نفسه عن الختان، الرأى نفسه الذى قاله أفراد القبائل الأفريقية منذ آلاف السنين.

ولماذا نستغرب ولدينا واقعة أخرى مفادها أن مشروع صحة المرأة والطفل أجرى دراسة شملت أكثر من ستة آلاف سيدة وفتاة ، وكانت النيجة مؤلمة أيضا . فقد تبين أن الرام المرام الفتيات والسيدات سبق أن أجريت لهن عملية الختان . ثم قام المركز الديموجرافي في عام ١٩٩٥ بدراسة مماثلة ، ولكنها شملت هذه المرة عشرة آلاف سيدة ، سواء من سيدات المدن أو الريف . ومرة أخرى جاءت النتائج مخيبة لكل رهانات المثقفين والأطباء المصريين على مدى ستين عاما . فقد تبين أن نسبة الفتيات والنساء اللواتي تجرى لهن عملية الختان لم تقل ولم تنخفض ، وإنما بقيت محتفظة بمعدلاتها العالية التي عرفناها منذ سنوات طويلة جدا .

### موقف الأطباء من ختان الإناث

يراودنى دومًا سؤال يلح على ذهنى، خصوصًا كلما التقيت بزميل من الأطباء يؤيد ختان الإناث. . سؤال يقول: كيف يفكر هذا الطبيب؟ ولماذا يتخذهذا الموقف، وهو الرجل المسئول حامل الرسالة الذي يفترض فيه أن يقدم للناس الرأى الصواب المبنى على العلم والمعرفة الصحيحة؟

وأقابل فى المؤتمرات والندوات أطباء يعارضون دعوتى لنبذ الختان، وأقرأ فى الصحف من تصل معارضته لى إلى حد إنذارى بالنار وجهنم، جزاء على رفضى الختان، وفى كل الأحوال فإننى لا أغضب. . . فكل منا حر فى تبنى ما يراه صوابًا، لكن المهم أن السؤال ذاته يثور على الفور: ما هى العوامل التى دفعت مثل هذا الزميل لمثل هذا الرأى.

وأخيرًا عثرت على إجابة عن هذا السؤال، وكان ذلك في كتاب أنيق، شكلا وموضوعًا، صادر بتاريخ عام ١٩٩٨ عن مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، يحمل عنوان «موقف الأطباء من ختان الإناث» ويهدف إلى معرفة العوامل التي تحدد مواقف الأطباء من الختان. ويحوى الكتاب بين دفتيه تفاصيل ودقائق ونتائج رسائل بحثية، على أسس علمية وإحصائية سليمة، أعتقد أنها الأولى من نوعها في مصر والعالم العربي.

ولعله مما يزيد في إعجابي بهذا العمل الرائد أنه قام على أكتاف اثنتين من النساء الفاضلات، هما د. آمال عبد الهادى، د. سهام عبدالسلام. وكم كان ملفتاً للنظر، ومثيراً للتقدير، أن يكرس إهداء هذا الكتاب إلى مجموعة متميزة من النساء المصريات اللاتي كافحن للقضاء على عادة ختان الإناث: إلى أمينة السعيد أول من شنت حملة صحفية في الخمسينيات عن ختان الإناث من خلال مجلة حواء، إلى عزيزة حسين، أول من أنشأت معية متخصصة لمكافحة ختان الإناث، إلى مارى أسعد، أول باحثة اجتماعية مصرية تجرى دراسة ميدانية حول ختان الإناث، إلى نوال السعداوى، أول طبيبة مصرية تطرح قضية الختان للمناقشة العامة من خلال كتبها.

الدراسة التى يضمها هذا الكتاب حديثة للغاية، فهى تحمل تاريخ مايو عام ١٩٩٨، وهى بالغة الأهمية فى مدلولاتها واستنتاجاتها، ولذلك فإنى لم أشأ أن أحرم القارئ من مضمونها موجزا، ولا أن أتدخل فى محتوياتها التى تنطق بالحقائق التى يتوجب علينا مواجهتها. وفيما يلى عرض موجز أرجو أن يكون وافياً...

### مقسدمسة:

ما الذي يحدد مواقف الأطباء من الختان؟

كانت التسعينيات بمثابة نقلة كيفية في مناقشة قضية ختان الإناث، إذ تحولت إلى قضية رأى عام، وتحطمت دائرة المحرمات حولها وذلك من خلال التغطية الإعلامية الواسعة في الفترة التي شهدت اللقاءات التحضيرية لمؤتمرات الأمم المتحدة حول حقوق الإنسان ١٩٩٣ والسكان والتنمية ١٩٩٤، والمرأة ١٩٩٥. وقد فوجئ

الكثيرون بموقف بعض الأطباء، ومنهم أساتذة بكليات الطب، دفاعًا عن ختان الإناث، وضرورته الطبية، حيث إن الأطباء هم أكثر فئات الرأى العام معرفة من خلال دراستهم العلمية بأضرار اقتطاع جزء له وظيفة حيوية على الصحة النفسية والجنسية للمرأة، وبأنه لا يوجد في المراجع الطبية الأساسية ما يسمى «بعملية» ختان الأثنى.

كان من المهم معرفة ما الذي يجعل بعض أفراد المهنة الطبية يتبنون موقف الدفاع عن عادة لا تترتب عليها فقط أضرار جسدية ونفسية للمرأة، بل إنها أيضا تمثل انتهاكا للمرأة وانتهاكا لحقها في الحلامة الجسدية، وأحيانا حقها في الحياة.

من ناحية أخرى فإن رأى الأطباء يمثل أهمية كبرى فى ضوء حقيقة أن هناك تناقضا فى الآراء بين أقسام المؤسسة الدينية. (وفى ضوء النص الصريح لفتوى مفتى الديار المصرية بترك القول الفصل فى قضية الختان للأطباء) (الملاحظة الأخيرة من عندى محمد فياض).

وقد تمت الدراسة على حوالى • • ٥ طبيب وطبيبة ، من العاملين في وزارة الصحة ، وكليات الطب في الجامعات الثلاث داخل مدينة القاهرة (القاهرة ، وعين شمس ، والأزهر) من التخصصات المختلفة ذات الصلة بممارسة الختان ، وهي : النساء والتوليد ، الجراحة العامة ، الأطفال ، الصحة النفسية ، والصحة العامة .

### استهدفت الدراسة:

أولا: بحث اتجاهات ومواقف الأطباء من ختان الإناث:

١ ـ استطلاع رأى المستجيبين الشخصي في ضرورة الختان .

٢ ـ معرفة المستجيب بعواقب الختان الصحية والنفسية.

٣ ـ السلوك الفعلى للمستجيبين من خلال التعرف على موقفهم من ختان الإناث.

ثانيا: العوامل المختلفة التي يعتقد في تأثيرها على موقف الأطباء من ختان الإناث:

١ ـ المعارف الطبية عن الختان وفسيولوجيا الجنس: فسيولوجيا الرغبة الجنسية عند

الرجال والنساء، وظائف أجزاء الجهاز التناسلي الخارجي للمرأة التي يتم التعرض لها في عمليات الختان: البظر، غلفة البظر، الشفران الصغيران، وموقف العلوم الطبية وعلم الجنس خصوصا من ختان الإناث.

٢- المعارف العامة حول قضية ختان الإناث: معلومات الأطباء عن مدى انتشار الختان في الدول العربية والإسلامية، وبين الفئات التعليمية والشرائح الاجتماعية والطوائف الدينية والمناطق الجغرافية المختلفة في مصر، بالإضافة لمعلوماتهم عن مواقف الهيئات الدولية والقانون المصرى.

٣- النشأة الاجتماعية: بيانات عن أسرة الطبيب؛ التعليم والعمل والموطن الأصلى للأم والأب، وعدد الأخوة والأخوات وختانهن، وتعليمهم.

٤ ـ الموقف من المرأة وخاصة من الحقوق الإنجابية والجنسية للمرأة: الموقف من عمل المرأة عموما، حقها في الاستمتاع بالجنس، تأثير العمل والتعليم على الحياة الجنسية للمرأة، والموقف من إدخال الثقافة الجنسية في المناهج التعليمية في المراحل المختلفة.

٥ ـ تصور المستجيبين لموقف الدين من ختان الإناث.

ونظرا لكون هذه الدراسة متفردة Unique، وقبل استعراض نتائجها، فقد حرصت سطورها على تأكيد هذه الحقيقة، فقالت: لابد من الإشارة إلى أنها الدراسة الأولى من نوعها التى تتعرض لموقف الأطباء من ختان الإناث في مصر، فبمراجعة البيبليوجرافيا الشارحة التى أصدرتها جامعة جونز هوبكتر (طبعة فبراير ١٩٩٧) عن الدراسات المتعلقة بختان الإناث في العالم، لم نجد إشارة إلى أية دراسة مشابهة عن مصر، الدراسة الوحيدة ذات الصلة التى أتيح لنا الاطلاع على موجزها هي دراسة د. قاسم بدرى من جامعة الأحفاد بالسودان حول «آراء أطباء النساء والتوليد، والقابلات، وطلبة كلية الطب من ختان الإناث». وقد قدمت هذه الدراسة في الندوة العلمية حول المارسات التقليدية المؤثرة على صحة المرأة والطفل التي نظمها المكتب الإقليمي لشرق المتوسط/ منظمة الصحة العالمية في الخرطوم في عام ١٩٧٩.

تناولت دراسة د. بدرى رأى الأطباء في عادة ختان الإناث وفي الآثار الصحية

لها، ورأيهم في الأسباب وراء استمرارها، وكيفية القضاء عليها، وما إذا كانوا قد شاركوا في جهود لمكافحتها أم لا ؟

على أية حال تختلف دراسة د. بدرى جوهريا عن الدراسة التى قمنا بها، حيث إنها تعرضت فقط لرأى الأطباء في عادة ختان الإناث وفي الآثار الصحية لها، لكنها لم تبحث العوامل المؤثرة على هذه الآراء.

### نتائج البحث:

### ١ \_ موقف الأطباء من ختان الإناث:

- \* أبدى حوالي نصف الأطباء ( ٤٩٪) موقفا رافضا تماما للختان .
- \* وتوزع النصف الباقي على من يؤيدون الختان بدرجات متفاوتة.
  - المؤيدون لإجراء الختان لنسبة ضئيلة من النساء ٧ر٣١٪ (\*).
    - -المؤيدون لإجراء الختان لنسبة كبيرة من النساء ١٨٪.

وقد أظهرت الدراسة أن الاتجاه المعارض لختان الإناث يمثل الاتجاه الأكبر حجما بين جميع الدفعات، باستثناء الدفعات في الفترة ما بين عامي ١٩٧٥ و ١٩٧٩، وأن هناك تصاعدا مستمرا في حجم الاتجاه المؤيد للختان، رغم أنه يمثل أقلية محدودة بين إجمالي عدد المستجيبين، منذ الدفعات التي تخرجت منذ منتصف السبعينات والشمانينيات، وإن شهدت دفعة عام ١٩٩٥ بدء تراجع هذا الاتجاه، وعودة الاتجاه المعارض للختان ليمثل أغلبية محدودة، وهو ما يتفق مع نتائج البحث الديموغرافي والصحى لمصر في عام ١٩٩٥، التي توضح تزايد حالات قيام الأطباء بإجراء الختان.

ويوجد ارتباط إيجابى بين الاتجاه نحو رفض الختان وبين إدراك مضاره. يمثل معارضو الختان ٤ر٩٨٪ من الذين يرونه ضارا في جميع الأحوال، بينما يمثل مؤيدو

<sup>(\*)</sup> هؤلاء المؤيدون لإجراء الختان لنسبة ضئيلة من النساء هم اللين يؤيدون إجراءها لمن لديها نوع من التضخم في الشفرين أو غير ذلك من الظواهر غير العادية التي تحتاج إلى عملية تجميلية لإزالتها، وهذا بالتالى لا يعتبر ختانا. وفي رأيي أن نسبة هؤلاء، من هذا المفهوم، يمكن ضمهم إلى المعارضين لإجراء الختان عموما، وبالتالى يمكن القول إن ٨٠٪ من الأطباء يعارضون الختان للأنثى. د. محمد فياض.

الختان لغالبية أو لجميع النساء ٨ر٥٪ بمن يرونه مفيدا في جميع الأحوال. أما المجموعة التي ترى أن الختان ضرورى لنسبة ضئيلة من النساء، فتمثل أكبر نسبة بمن يرون أن الختان مفيد في بعض الأحوال ٢ر٨٥٪ وأيضًا بمن يرونه ضارًا في بعض الأحوال ٢٨٨٪.

### ٢ \_ موقف الأطباء من ختان بناتهم :

على صعيد المواقف العملية نجد أن «معارضى» الختان «لم يختنوا» بناتهم، ولن يختنوهن فى المستقبل بنسبة ٥ ( ٩٨ ٪ . أيضًا الغالبية العظمى ممن يرون الختان ضروريا لنسبة قليلة لم يختنوا بناتهم، وأقلية ضئيلة منهم سيختنون بناتهم فى المستقبل . لكن الموقف يختلف مع «مؤيدى الختان» ، فرغم أن أغلبهم لم يختنوا بناتهم ، إلا أن حوالى ربعهم قد ختنوا بناتهم بالفعل ، كما أن أغلبهم أفادوا بأنهم سيختنون بناتهم فى المستقبل .

### ٣ ـ العوامل المؤثرة على موقف الأطباء :

توضح الدراسة ضعف تأثير التعليم الطبى على مواقف الأطباء من ختان الإناث وتراجعه؛ لتلعب الأسرة والمناخ الثقافي العام دوراً أكبر تأثيراً، وهو أمر يخالف الفهم السائد في المجتمع المصرى عموماً، والمجتمع الطبى خصوصاً. وتظهر نتائج الدراسة أن ما يدركه قسم غير قليل من الأطباء عن قضايا الجنس عموماً، وعن نتائج الجتان خصوصاً لا يكاد يختلف من حيث الجوهر عن المفاهيم غير العلمية الشائعة بين معظم قطاعات المجتمع الأخرى التي لم تحظ بما يتيحه التعليم الطبى من حقائق علمية حول تلك القضايا.

### أهم الاستنتاجات حول التعليم الطبي:

يمكن إيجاز أهم هذه الاستنتاجات فيما يلي :

١ ـ تشويش وخلط واضحان فيما يتعلق برؤية الأطباء لموقف العلوم الطبية من ختان
 الإناث؛ فكل اتجاه يفسر موقف العلوم الطبية لتأييد وجهة نظره!

يرى أغلبية معارضي الختان أن العلوم الطبية ترفض ختان الإناث، بينما يميل

مؤيدو الختان للقول بأن العلوم الطبية تبيح ختان الإناث إباحة مطلقة دون قيد أو شرط. أما مؤيدو الختان لنسبة قليلة من النساء فيميلون إلى الرأى القائل بأن العلوم الطبية تبيح ختان الإناث تحت شروط محددة.

٢ ـ هناك تباين واضح في محتوى التعليم الطبى بين الجامعات المختلفة يتضح من
 تباين مواقف خريجي الجامعات الثلاث من ختان الإناث:

يميل خريجو طب القاهرة إلى رفض ختان الإناث، ويقل مؤيدو الختان بينهم بفارق كبير عن النسبة العامة لهذين الاتجاهين بين إجمالى المستجيبين. في المقابل يميل خريجو جامعة الأزهر لتأييد الختان، ويقل بينهم معارضو الختان بفارق كبير عن النسبة العامة لهذين الاتجاهين بين إجمالى المستجيبين. أما خريجو جامعة عين شمس فيحتلون موقعا وسطيا، إلا فيما يتعلق بتأييد ختان الإناث لنسبة قليلة من النساء، حيث توجد بينهم أعلى نسبة من مؤيدى الختان لنسبة قليلة من الإناث، مقارنة بخريجي جامعتى القاهرة والأزهر، وهي أيضا نسبة تتجاوز النسبة العامة لهذا الاتجاه بين إجمالى المستجيبين.

- ٣- لا يتم تدريس علم الجنس جزءًا مستقلاً من المناهج التعليمية في كليات الطب، فقد أفاد أكثر المستجيبين بأنهم لم يدرسوا علم الجنس أساسا، وحتى الكليات التي تدرسه يتم فيها بشكل هامشي، ويخضع من الناحية الأساسية للمبادرات الشخصية للأساتذة المهتمين، وهو ما يؤثر على اهتمام الطلاب بتعلم هذا الجانب المهم، كما أنه وثيق الصلة بمارستهم العملية بعد التخرج.
- ٤ ـ لا يوجد محتوى معيارى لعلم الجنس فى الكليات المختلفة، بل يخضع هذا المحتوى لمبادرات ومفاهيم، ومواقف شخصية للقائمين على تدريسه فى الأماكن المختلفة. يؤكد على ذلك أنه حتى من أفادوا بأنهم درسوا علم الجنس، لا يعرف غالبيتهم معلومات دقيقة عن وظائف أجزاء الجهاز التناسلي الخارجي للأنثى، أي تلك الأجزاء التي يتعرض لها من يقوم بالختان.
- تزداد درجة معارضة الختان بارتفاع مستوى التعليم الطبى بعد التخرج: يزيد الميل لعارضة الختان بفارق كبير عن لعارضة الختان بفارق كبير عن النسبة العامة لهذين الاتجاهين بين إجمالي المستجيبين.

### العوامل الأخرى غير التعليم الطبي:

فيما يتعلق بهذه العوامل:

تشير نتائج الدراسة إلى ارتباط رفض الختان بموقف منفتح من حقوق المرأة والثقافة الجنسية وفهم الدين. في المقابل يرتبط تأييد الختان بموقف متزمت سواء في قضايا الجنس أو الدين أو المرأة.

ويبدو أن العامل الأساسى فى تشكيل هذه النظرة هو الموقف العام للأسر التى نشأ فيها الأطباء، سواء من القضايا المختلفة المشار إليها، أو من قضية الختان على وجه التحديد. إذ يزداد الميل لمعارضة الختان بين المستجيبين من أبناء الأسر التى لم تختن بناتها. بينما يزداد الميل لتأييده بين الأسر التى ختنت بناتها.

وتوضح النتائج أن أكثر عاملين مؤثرين على تحديد الموقف العام لهذه الأسر هما التعليم والمحيط الحضرى، فالأسر التي تعيش في المحافظات الحضري، يزداد الميل بين أبنائها لرفض الختان، مقارنة بالأسر ذات الأصول الريفية، خاصة ريف الدلتا.

من جانب آخر، يزداد الميل لرفض الختان بين أبناء الأسر التي يرتفع فيها مستوى تعليم الوالدين، على عكس الأسر التي تنتشر فيها الأمية والتي يميل أبناؤها لتأييد الحتان. وهي نتائج تتفق مع نتائج المسح الديموغرافي والصحى الأخير (١٩٩٥).

يلعب الرجال الدور الأكبر في تحديد اتجاه الأسرة من ختان الإناث؛ فقد كشفت الدراسة أن تعليم الأب في علاقته بموقف الأبناء من ختان الإناث أعلى تأثيرا من تعليم الأم على موقف أبنائهما من ختان الإناث، خاصة في حالة الأمهات الأميات اللاتي يتوزع أبناؤهن بشكل شبه متساو على الاتجاهات الثلاثة من ختان الإناث. كذلك فإن تأثير الموطن الأصلى للأب على موقف الأبناء من ختان الإناث له دلالة إحصائية أعلى من تأثير الموطن الأصلى للأم، وأخيرا فإن عمل الأم لم يكن له دلالة إحصائية، وهو ما يتفق مع ما أكدته بعض البحوث الاجتماعية عن الأسرة العربية باعتبارها أسرة أبوية، وأن الأب هو صاحب القرار في أمورها، وأن الأسرة تلعب دورا مهما في تشكيل النسق القيمي للأبناء، وأن الأسرة العربية ما زالت، رغم التحديث عبر نصف القرن الماضي، تحمل قيم الأسرة الريفية الممتدة، خاصة تلك الأسر حديثة الهجرة من الريف.

تدفع هذه النتائج إلى مراجعة الاعتقاد الشائع أن الختان هو أمر تمارسه النساء على النساء ، وأن الرجال ليس لهم علاقة به .

تشير بعض نتائج الدراسة إلى أن قرار الختان ربما لا يكون قرار النساء في نهاية الأمر كما هو شائع، بل هو قرار الرجال يترك للنساء القيام به، فإن تخلين عن هذا الدور تصدى له الرجال. وإذا كان لا يمكن لهذه الدراسة أن تؤكد على الاستنتاج السابق، إذ لم يكن ذلك هدفا لها منذ البداية، إلا أنها تثير شكوكا عميقة حول هذا «الاعتقاد السائد» على أمل أن تتمكن بعض البحوث التالية من استقصائها بدقة.

لا توجد فروق كبرى بين المتزوجين وغير المتزوجين من حيث معارضة الختان، لكن يبدو أن الزواج يرتبط بنقص الميل لتأييد الختان.

من جانب آخر يزداد ميل الأطباء الذكور إلى معارضة الختان عندما تبوح لهم زوجاتهم أو أخواتهم بذكريات أليمة عن تجربة ختانهن، وهو ما يؤكد على أهمية كسر حاجز الصمت وتشجيع النساء على البوح بآلامهن من الختان لذويهم، فهذا أحرى بالمساهمة في تغيير اتجاهات المجتمع باتجاه رفض الختان.

من الواضح أيضا أن الانتماء الدينى له تأثير على موقف الأطباء المسلمين. فغالبية مؤيدى الختان ٩٨٦٪ من الأطباء المسلمين، ولدى بعضهم قناعة راسخة بأن الإسلام يوجب ختان الإناث، وهو أمر وثيق الصلة بما تبنته بعض الشخصيات فى المؤسسة الدينية الإسلامية من آراء تدعو إلى الختان، وهو ما يوضح أهمية أن تكون هناك رسالة دينية واضحة فيما يتعلق بالختان، وتفنيد ادعاءات بعض القادة الدينيين الذين يحاولون إسباغ القداسة الدينية على هذه العادة، على غرار ما فعل المكتب الإقليمي لشرق المتوسط بمنظمة الصحة العالمية.

من كل ما سبق نستنتج أن التعليم الطبى ليس هو المحدد للموقف من الختان، بل إن موقف الطبيب أو الطبيبة الشخصى يصبغ إلى درجة كبيرة فهمه أو فهمها لموقف العلوم الطبية من ختان الإناث. وهو ما يعكس من ناحية، ضعف اهتمام المجتمع الأكاديمي في مصر بقضية ختان الإناث، وهو أمر لا يمكن تبريره - في ظل انتشار هذه العادة في مصر - إلا بإحجام المهنة الطبية عن اقتحام الموضوع لتداعياته الاجتماعية والثقافية والدينية. ومن المرجح أنه يمكن أن يكون للعلوم الطبية تأثير

إيجابى ومؤثر وفعال، بقدر ما يتم التخلص من تأثير الانحيازات الشخصية للقائمين على التدريس، واستبدالها باطلاع واسع على المعارف الأكاديمية وخاصة في تطوراتها الأحدث.

### توصيات:

نقد كان هدف هذه الدراسة المساهمة في الجهود الرامية لاستئصال عادة الختان، من خلال التعرف على مواقف فئة مهمة مؤثرة على موقف الآباء والأمهات من ختان الإناث، فما زال الكثيرون يلجئون للأطباء للمشورة. والأمل أن تسهم نتائج البحث في لفت نظر صانعي القرار في المؤسسة الصحية المصرية والمؤسسة التعليمية الجامعية إلى:

- ١ أهمية تطوير التعليم الجامعي بحيث يلعب دوره المنوط به في فهم إدراك الأطباء
   أن الختان ممارسة ضارة بالصحة النفسية والجسدية للنساء.
- ٢-الاهتمام بإجراء مزيد من البحوث لاستطلاع مواقف واتجاهات القطاعات
   المختلفة في المجتمع وخاصة الرجال، على أن يقوم بهذه البحوث فريق من
   تخصصات مهنية متعددة، وعلى أن يراعى فيها البعد النوعى.
- ٣-أهمية أن يكون هناك موقف واضح معلن من أقسام المؤسسة الصحية والتعليمية
   والجمعيات المهنية الطبية من قضية ختان الإناث، ومن الأطباء الذين يتورطون في
   مارسته.

ولابد في النهاية من الإشارة إلى أن هذا المسح قد تم إنجازه قبل القرار الأخير لوزير الصحة الحالى د. إسماعيل سلام، وهو بذلك يشكل خطا دفاعيا يمكن أن يساعد في تقويم تأثير هذا القرار بعد بضع سنوات من الآن، وفي تقويم أية جهود تبذل لتطوير مواقف الأطباء.

### الفصل العاشر كلمة أخيرة وحاسمة من أطباء أمراض النساء والولادة

انتهت كلمة الدين \_ على لسان مفتى الديار المصرية \_ إلى ترك القول الفصل في عملية ختان الأنثى إلى الأطباء المتخصصين.

وها نحن، الأطباء المختصون، أطباء أمراض النساء والولادة، نقولها بأعلى صوت، كلمة أخيرة وحاسمة: إن الختان للأنثى مرفوض مرفوض مرفوض.

نقولها ونحن نسندها إلى الأسباب العلمية والعملية والطبية والنفسية والجسدية، ونقولها تكرارا لما قلناه من قبل، سواء على الصعيد المحلى في الجمعية المصرية لأمراض النساء والولادة، أو على الصعيد العالمي في الاتحاد الدولي لأطباء النساء والولادة.

كلمة أخيرة وحاسمة، ندعو الله أن يسمعها الجميع.

### موقف الجمعية المصرية لأمراض النساء والولادة في أكتوبر ١٩٩٦

فى أواخر عام ١٩٩٦، ومع احتدام الحوار حول الختان، بين مؤيد ومعارض خصوصا بين الأطباء، كان للجمعية المصرية لأمراض النساء والولادة موقف واضح ومحدد يعلن الرفض التام لهذه العملية غير الإنسانية، واتخذت الجمعية هذا الموقف انطلاقا من مفاهيم طبية وعلمية وعملية تنادى ببطلان أية حجة لإجراء البتر التناسلي للأنثى. وكنموذج ناطق على هذا الموقف فقد قدم أ.د. عز الدين عثمان - أمين عام الجمعية المصرية لأمراض النساء والولادة - بتاريخ ٩/ ١٩٩٦/١ مذكرة في موضوع ختان الإناث، وذلك لعرضها على مجلس إدارة الجمعية؛ وانتهى الأمر باعتمادها موقفًا رسميا للجمعية من قضية ختان الأنثى. يتبلور هذا الموقف فيما يلى:

هناك ثلاث درجات من ختان الأنثى:

الدرجة الأولى: قطع غطاء البظر وجزء من الشفرين الصغيرين.

الدرجة الثانية: قطع البظر والشفرين الصغيرين.

الدرجة الثالثة : قطع البظر والشفرين الصغيرين والشفرين الكبيرين ووصلهما مع ترك فتحة لمرور البول والطمث .

وللأسف فإن الدرجة الأولى والثانية مازالت تمارس في مصر على أكثر من نحو ٩٥٪ من البنات.

والمؤيدون لهذه العملية يظنون أنها:

ا \_ تقلل الرغبة الجنسية عند البنات فتمنعهن من الانحراف أو محارسة الجنس قبل الزواج، والرد على ذلك \_ كما تقول الجمعية المصرية لأمراض النساء والولادة \_ أنه : أ ـ ماذا بعد الزواج؟ ستظل هذه الظاهرة موجودة لتؤدى إلى ظواهر اجتماعية خطيرة بين الأزواج، مثل محارسة الجنس عن طريق العنف أو تعاطى المخدرات بالإضافة إلى آلام الحوض المزمنة.

ب حسن التربية المنزلية والأسرية للبنات تأتى في المقام الأول لحسن سلوكهن وليس بتر عضو أساسى خلق للاستمتاع بالحياة الزوجية مستقبلاً ولضمان استقرارها.

جـ قطع البظر لا يقلل الرغبة الجنسية التي مركزها المخ الذي يتأثر بحواس أخرى مثل الشم واللمس وغيرها، وأن إزالة البظر يتسبب فقط في عدم الاستمتاع بالجنس وصعوبة الارتواء.

Y ... خطأ الاعتقاد فى أنها من النظافة الشخصية . والحقيقة \_ كما تضيف الجمعية \_ أن الشفرين الصغيرين تقومان بتوجيه البول ومنع بلل الملابس وتحمى جلد الفرج من حدوث التهاب نتيجة مرور البول والإفرازات المهبلية عليه ، وكذلك تحميه من الاحتكاك ، ذلك لأن سطح الشفرين الصغيرين مغطى بإفرازات دهنية لذلك فإن إجراء هذه العملية تحت ظروف صحية وطبية قد يمنع حدوث صدمة عصبية كما يمنع النزيف وانتقال بعض الأمراض مثل فيروس الكبد الوبائى والإيدز ، وكذلك حدوث الالتهابات والتقيحات ، لكنها لا تمنع الأضرار السالفة الذكر .

من ذلك كله: تنتهى الجمعية المصرية لأمراض النساء والولادة إلى النتيجة الواضحة والحاسمة التالية: ولذلك فإنه من الناحية الطبية \_ يجب منع إجراء هذه العملية حيث إنها لا تدرس للأطباء ولا يدربون على إجرائها في المناهج التعليمية والتدريبية المختلفة إلا لأسباب صحية محدودة تكاد تقتصر على وجود تضخم في الشفرين الصغيرين.

# القرار الذي اتخذته الجمعية العامة للانتحاد الدولي لأطباء النساء والولادة مونتريال كندا ١٩٩٤

### البتر التناسلي للإناث

### الجمعية العمومية للاتحاد الدولي لأطباء النساء والتوليد

وهى تعتبر أن البتر التناسلى للإناث (ختان الأنثى) هو ممارسة تقليدية ضارة مازالت منتشرة في أكثر من ٣٠ دولة في العالم، بما في ذلك مناطق في أفريقيا وآسيا والشرق الأوسط، وهي تبدى قلقها بشأن الآثار العكسية الخطيرة لهذه الممارسة على الإجراءات الجسدية والنفسية التي يتم اتخاذها على طفلة غير قادرة على إبداء موافقة واعية، وهي تعترف بأن البتر التناسلي للإناث هو انتهاك لحقوق الإنسان باعتباره ممارسة ضارة يتم اتخاذها على طفلة غير قادرة على إبداء موافقة واعية، وهي تستنكر القرار رقم ١٤٧٠ الصادر عن الجمعية العامة لمنظمة الصحة العالمية والذي يرحب بإعلانات السياسات المقدمة للمقرر الخاص للأم المتحدة بشأن الممارسات التقليدية بواسطة الحكومات في الدول التي تتم فيها ممارسة البتر التناسلي للإناث.

### ١ \_ تدعو الجمعية الأعضاء إلى :

- \* حث حكوماتهم على التصديق على معاهدة القضاء على كل أشكال التفرقة ضد النساء، إذا لم تكن حكوماتهم قد صدقت عليها حتى الآن، وعلى ضمان تنفيذ بنود المعاهدة إذا كانت قدتم التصديق عليها فعلا.
- \* حث حكوماتهم على اتخاذ الإجراءات القانونية وغيرها لجعل هذه الممارسة أمرا غير مقبول في المجتمع وجماعاته.
- \* التعاون مع السلطات الوطنية والمنظمات الحكومية وغير الحكومية في الدفاع عن تنمية ودعم الإجراءات الهادفة إلى القضاء على البتر التناسلي للإناث.
  - ٢ توصى أطباء النساء والولادة بما يلى:
- \* شرح الأخطار العاجلة والعواقب البعيدة المدى للبتر التناسلي للإناث للقادة الدينيين والمشرِّعين ولأصحاب القرار.
- \* تعليم مسئولي الصحة والمجتمع والمدرسين وتثقيفهم حول هذه الممارسة التقليدية.
- \* دعم هؤلاء الرجال والنساء الذين يريدون إنهاء هذه الممارسة في عائلاتهم أو مجتمعاتهم.
  - \* المساعدة في البحوث حول توثيق هذه الممارسة وعواقبها الضارة.
- \* معارضة أية محاولة لإضفاء الصبغة الطبية على هذه الممارسة أو السماح بها تحت أية ظروف، سواء في المنشآت أو على يد الأطباء.

مونتريال\_كندا ١٩٩٤

### ماذا يقول المداهعون عن الختان؟

#### 

من باب الأمانة العلمية التي ألزمت بها نفسى طوال عمرى، أجد أن الأمر يقتضى منى أن أعرض نماذج لما يقوله المدافعون عن الختان وأمثلة مما يكتبون.

ويهمني هنا أن أضع أمام القارئ ملاحظات عامة عما يقولون ويكتبون :

- إنهم يتمسكون بفتوى صدرت سابقا، ويحاولون لي حقيقتها لكى تتفق مع ما
   يذهبون إليه من حيث مشروعية الختان دينيا.
- \* ويتمسكون أيضا باثنين من الأحاديث النبوية ، رغم أن الفقهاء أثبتوا ضعف نسبتهما إلى الرسول الكريم (عليهم).
- \* إنهم لا يحاولون الاجتهاد المشروع في ضوء التطورات العلمية المتتالية، والتي لا تختلف إطلاقا مع الشرع والدين، وإنما تتجمد أفكارهم عند نصوص غير ثابتة فيرفضون ما عداها.
- إنهم يستخدمون لغة عنيفة لإرهاب الداعين إلى إلغاء الختان، بل يصلون إلى حد
   تكفيرهم وتخويفهم بالنار كمصير أخير لهم.
- \* إنهم يغالطون أنفسهم، قبل أن يغالطوا الآخرين، فيسخرون منا بأن يعقدوا مقارنة بين ختان الذكر (وهو إزالة قشرة رقيقة) وبين ختان الأنثى (وهو بتر عضو تناسلى) ويهزءون بنا بشماتة قائلين: لماذا لا تطبقون ما تقولونه عن ختان الأنثى على ختان

الذكر. والأمر المؤسف فعلا هو أنهم يعلمون جيدا الفروق الجوهرية بين ختان الأنثى وختان الذكر، لكن تكبّرهم على الحق يدفعهم إلى اللغو الممجوج بتعبيرات لغوية تبدو في ظاهرها مقنعة، بينما هي في الحق خاطئة.

### النموذج الأول،

وقد كنت أنا شخصيا الضحية فيه. فقد نشرت مقالة لى بتاريخ ١٩٩٦/٨/١٤ تحت عنوان «ختان البنات وصمة عار»، سردت فيها حججى المنطقية التى تؤيد رأيى، من النواحى الطبية والقانونية، وكذلك من الناحية الدينية، حيث اجتهدت بقدر فهمى - فى تفسير الآية ١٩٩٩ من سورة النساء فى القرآن الكريم، حيث يقول الشيطان فى سياق الآية - بعد أن عصى ربه - عمن سيتبعونه:

﴿ وَلَأَصْلَنَهُمْ وَلَأَمْرِنَهُمْ وَلَامَرِنَهُمْ فَلَيَبَتَكُنَ (أَى فَلَيقَطَعُوا) آذَانَ الأَنْعَامُ وَلآمرِنَهُمْ فَلَيْغِيرُنَّ خُلِقَ الله ﴾ [النساء: ١١٩].

وكان اجتهادى، أنه إذا كان من يغير خلق الله بقطع آذان الأنعام يكون متبعا لخطوات الشيطان، فإن من يغير خلق الله الذى أبدع تكوين جسد المرأة وجعل لكل جزء فيه مهمة حساسة، أى أن من يختن الأنثى، يكون مغيرا لخلق الله، وهو بالتالى من أتباع الشيطان.

كان هذا مجرد اجتهاد حاولت فيه بعد عمر طويل عامر بالإيمان أن أفهم نصا ، واضحا قاله رب العالمين .

وحتى يكون النموذج الأول للمدافعين عن الختان واضحا، وتكون ملاحظاتي التي أبديتها صادقة، فإنى أدعوكم إلى قراءة تعليق كتبه أحد الزملاء الأطباء، وبشرني فيه بأن أتبوأ مقعدي من النار (١).

<sup>(</sup>١) نشر هذا التعليق في ٢٦/ ٨/ ١٩٩٦ في جريدتي الأخبار والجمهورية بالنص نفسه.

### اتضاق الفقهاء على ختان البنات

فى مقالة تحت عنوان «ختان البنات وصمة عار» بتاريخ ١٤/ ١/ ١٩٩٦، كتب الأستاذ الدكتور محمد فياض مقالا يحوى مغالطات دينية وعلمية.

فأولا: يكفى لأى مسلم الرجوع إلى كتب الفقه للأئمة الأربعة للتيقن من أنهم يتفقون في كون ختان الإناث سنة، وأن الاختلاف حوله يقتصر فقط على وضع حكم من بين الأحكام الثلاثة المذكورة وهي الفرض والسنة والمكرمة.

ثانيا: يخوض سيادته في الجانب الديني ـ على حد تعبيره في المقال ـ فيستشهد بآية قرآنية على أن ختان الإناث «تغيير لخلق الله» ثم يصل من ذلك إلى اتهام من يلتزم بهذه السنة بأنه «يتبع الشيطان ويتخذه وليا».

ونحن نأسف أشد الأسف للجوء سيادته إلى الاجتهادات الشخصية والخوض في مسائل دينية من أجل تطويعها لخدمة آراء معينة. ويكفى أن نتذكر تحذير سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الشريف: «من قال في القرآن برأيه أو بما لا يعلم فليتبوأ مقعده من النار».

إن هذه المزاعم عما يسميه سيادته بتغيير خلق الله تنطبق تماما على ختان الذكور. . فلماذا لا يرى سيادته في ختان الذكور اتباعا للشيطان أيضا ؟ . . وكيف يصل الأمر إلى هذا الحد من الإساءة إلى القرآن والسنة والمشاعر الدينية في آن واحد ؟

ثالثا: إن ما ذكره سيادته عن المضاعفات الطبية التي تحدث من إجراء عملية الختان ـ رغم ما فيه من مبالغات شديدة \_ إنما تحدث عند إجراء هذه العملية البسيطة على أيدى الجهلاء وغير المتخصصين وفي غير الأماكن المجهزة وبغير الأسلوب الذي حدده سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو «الخفض وعدم الإنهاك».

ولقد فطن إلى هذه الحقيقة الأستاذ الدكتور وزير الصحة السابق، مما دعاه إلى اتخاذ قراره الصائب بفتح المستشفيات الحكومية والعامة لإجراء ختان الإناث عن طريق الأطباء وبأجر رمزى لمن يرغبون في إجرائه لبناتهم لتجنب أية مضاعفات.. وهو ما نطالب اليوم بضرورة العودة إليه.

د. عادل حسن عبد الفتاح أستاذ الجراحة بطب القاهرة

### النموذج الثاني:

وهذا نموذج آخر لما يقوله المدافعون عن الختان، متمثلاً فيما نشرته جريدة «النور» بتاريخ ٦/ ١٩٩٧ :

الدكتور طنطاوى ووزير الأوقاف ينكران سنة الحتان

الختان ليس عادة منقرضة وإنما هو من شعائر الإسلام

مجمع البحوث الإسلامية : ختان الإناث مشروع في الإسلام ولا يجوز تجريمه

«رغم أن أغلب فقهاء السلف والخلف أجمعوا على أن الختان من سنن الفطرة وشعائر الإسلام، فإن شيخ الأزهر الحالى الدكتور سيد طنطاوى ومعه وزير الأوقاف الدكتور زقزوق، يصران على إنكار الأحاديث القاطعة التى رواها البخارى وأبو داود والطبرانى والإمام أحمد وغيرهم !!. كما ينكر طنطاوى وزقزوق آراء فقهاء المذاهب الأربعة وغيرهم الذين تراوحت أقوالهم عن الختان بأنه سنة وإما مكرمة وإما واجب وإما مشروع !! وهكذا نقلت الصحف فى الأسبوع الماضى تصريحات غريبة واصل فيها طنطاوى وزقوق الهجوم على الختان وزعما أنه عادة منقرضة وليس من الدين.

وخير رد على هذه المزاعم فتوى المرحوم الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الراحل والتى أيده فيها مجمع البحوث الإسلامية وهو أعلى هيئة في الأزهر الشريف».

وتورد الجريدة نص الفتوى والتى تدور حول فطرة الله التى فطر الناس عليها، وتنتهى بعد جدال طويل، إلى أن الختان للرجال والنساء من صفات الفطرة التى دعا إليها الإسلام. وهذا هو الثير للانتباه فيما نشرته الجريدة، من حيث الربط دائما بين ختان الذكر والأنثى واعتبارهما، سويا، من شعائر الإسلام وفطرته. وتقول الجريدة إنه لم ينقل عن أحد من فقهاء المسلمين فيما طالعنا من كتبهم التى بين أيدينا، قول يمنع الختان للرجال أو النساء، أو عدم جوازه، أو إضراره بالأنثى إذا هو تم على الوجه الذى علمه الرسول صلى الله عليه وسلم لأم حبيبة فى الرواية المنقسولة عنها.

وأرجو الرجوع إلى الفصل الذي أتحدث فيه عن حكم الختان في الشرع

الإسلامي، فقط لتعرفوا أن أم حبيبة هذه ليس لها ذكر ثابت وحقيقي مؤكد.

ومع اختلافي تماما مع التشدد في التفسير، فإنني أدعوكم إلى قراءة متأنية لما قالته الفتوى التي يستندون إليها، لنجدها تقول إن «للختان أو الخفاض للفتيات أنواع أربعة:

- النوع الأول: وفيه يتم قطع الجلدة أو النواة فوق رأس البظر.
- النوع الثاني: وفيه يتم استئصال جزء من البظر وجزء من الشفرين الصغيرين.
  - النوع الثالث: وفيه يستأصل كل البظر وكل الشفرين الصغيرين.
- النوع الرابع، وفيه يزال كل البظر وكل الشفرين الصغيرين وكل الشفرين
   الكبيرين.

يا سبحان الله 11 أليس هذا هو ما أقوله أنا وكل المطالبين بالرحمة للنساء من جريمة البتر التناسلي ؟. (يرجى الرجوع إلى الفصل الثالث لمراجعة أنواع الختان كما سردتها من الناحية الطبية وتأكيدى على استحالة تنفيذ النوع الأول – وهو أخفها – دون الإضرار بالأعضاء التناسلية الأخرى).

الأمر الغريب هنا هو أنهم يغضون النظر والفكر عما ذهبت إليه الفتوى موضوع الحديث ؟ حيث نصت على ما يلى: «لما كان ذلك، كان النوع الأول من طرق الختان أو الخفاض للبنات، وهو قطع الجلدة أو النواة فوق رأس البظر، هو الواجب الاتباع».

الأمر الأغرب أن هذه الفتوى - مع احترامى الكامل لها - تقصر أى حديث عن الختان على ما جاء منسوبا إلى الرسول الكريم، عليه الصلاة والسلام، فى أحاديث ضعيفة، ثم تضرب عرض الحائط بالعلم الحديث، فتنص على أنه: «لا يصح أن يترك توجيهه وتعليمه إلى أقوال غيره ولو كان طبيبا لأن الطب علم والعلم متطور تتحرك نظراته ونظرياته دائما».



### خانمـــة

### ويعسد..

فهذا هو الختان. . أو البتر التناسلي للأنثي.

أو بمعنى آخر . . هذا هو العار الذي ما زال يلطخ وجه الحضارة المصرية . . أو هو الجريمة الكاملة التي يتم ارتكابها وسط الزغاريد .

هذا هو الختان. . إنه إعدام لأنوثة الأنثى، وتمريغ لكرامتها، وطمس لأحاسيسها، ووأد لعواطفها، وإهدار لمشاعرها.

وإذا كان بعض شيوخنا الأجلاء قد أفتوا بأنه ليس من حق أى إنسان أن يتبرع بجزء من جسده، بالهبة للأقربين أو بالبيع، على أساس أن الله خلق له الجسد كاملا وليس من حقه أن يتصرف فيه، فلماذا لا يسحبون الحكم نفسه على الجهلة والأغبياء الذين يتطوعون بقطع وإزالة هذا الجزء الحيوى من أجساد بتاتهم، وبالتالى يحرمونهن من العيش وهن «كاملات الأجزاء» التي خلقها لهم الله.

وأشد من ذلك وأنكى أن جريمة الختان تنتهى وقائعها في غضون أيام، أما تأثيرها في متدعلى طول مساحة العمر، وتعيش بها وهي تعانى من عاهة بشعة، بل مستديمة، دون أن تعوضها بأية أجهزة أو تجد لها علاجا ناجعا.

وهذا الرأى يشاركني فيه الأستاذ عبد الله كمال في موضوعه الذي نشرته مجلة روزاليوسف في يوم ١٩٩٧/١٢/١٩ ، وقال فيه عن الإنسانة ضحية الختان :

«سوف تأتى هذه الأنثى . . . مهما طال الزمن، ومهما سيطر الرجال، ومهما تراخ كثير من المشايخ، ومهما تواطأ العديد من الأطباء، ومهما زعم البعض أنه يدافع عر الأخلاق. . سوف تأتى هذه الأنثى التى يمكن أن تقف أمام محكمة عادلة وتطالب بحقها القانونى فى عقاب ذلك المجتمع وأدواته التى ارتكبت فى حقها جريمة العاهة المستديمة . سوف تأتى لتطالب بسجن كل من شارك فى وقائع هذا الجرم الدائم ضدها».

وإننى، بضمير تعمره الراحة، أقدم هذا الكتاب، إسهاما منى، بكلمة حق، فى موضوع كثر الجدال والخلاف حوله. ولقد حاولت بالأسانيد والأدلة أن أوضح الصورة الحقيقية لموضوع البتر التناسلي للإناث، أو الختان، باجتهاد شخصى وعلمى.

وتبقى في الختام كلمتا شكر.

فى الكلمة الأولى أقول شكرا لكل من ساندنى فى دعوتى هذه وشد من أزرى، سواء من الزملاء أو نقابة الأطباء أو الجمعية الطبية والقائمين على إدارة شتونها. وأقولها بكل الصراحة . . إن هذه المساندة والمؤازرة كانت خير دافع لى على إصدار هذا الكتاب .

أما كلمة الشكر الثانية فأخص بها الأخ والصديق عزيز أحمد عزمى. أقول إن العثور على الصديق في أيامنا هذه يكاد يرقى لمرتبة الصعوبة، ولكن الله حباني بنعمة أن أجد فيه الصديق. وأقول إن نبع الإخلاص كاد يجف تحت ضغوط الحياة، ولكن الله العزيز الجليل أكرمني بما لدى هذا الصديق الكريم من إخلاص نحوى ونحو الآخرين. أما ما أنعم الله به على أنا وعزيز من توفيق ونجاح، فإنني لا أجد له تفسيرا إلا حما قال لى مرارا وتكرارا إنه دعوة الأم. . فلا شكر للصديق العزيز، لأنه ليس في القاموس كلمات تفيه حقه،

وبعد. . فهاهو كتابى بيمينى . . إنه اجتهاد أردت به رضاء الله ، جل جلاله ، الذى عشت بنوره متعبدا طوال حياتى ، وهدفت من وراثه خدمة وجه مصر الحبيبة ، التى عشقت ترابها الطيب منذ نعومة أظفارى .

والله الموفق،

د.محمد فياض

### المراجع

جميع القرارات والتوصيات والدراسات والبحوث والمقالات التي وردت في هذه المراجع:

- -World Health Organization (WHO), Contraception Report
- Family Care International
- InterAfrican Committee Newsletter

- -World Health Statistics Quarterly
- Family Planning News
- Sexual & Marital Therapy
- Sex Weekly
- Archives of Sexual Behaviour
- British Journal of Obstetrics & Gyniacology
- British Medecine Journal
- New England Journal of Medecine
- Journal of Women's Health

- - Journal of Adolescent Health
  - Freedome Review
  - Nursing
  - American Sociological Review
  - Social Science And Medecine
  - Populi
  - CEDPA Network
  - Information Network For Bodily Integrity of Women
  - Health Promotion Exchange
  - Reproductive Freedome News
  - New York Times
  - Indian Medical Tribune
  - Guidelines On The Prevention Of Female Genital Mutilation, Ministry

Of Foreign Affairs . Copenhagen - DENMARK 1966

\* \*

## المهرس

٥	مقىلمة
٩	الختان في الىلغة
11	الفصل الأول: الختان مدى انتشاره في العالم
11	الموقف الراهنالمناهنالمناهن المراهن ا
۱۳	جـــــــــــــــــــــــــــــــــــــ
19	الفصل الثاني: الختان تاريخه وهل أصله فرعوني
۲۷	الفصل الثالث: الختان كل ما يجب أن تعرفه عن العملية
۲۷	ما هـو الختان؟
۲۷	م تتكون الأعضاء التناسلية الخارجية للأنثى؟
۲۸	مًا هي أنواع الختان؟
44	ما هي حقيقة ختان السنة؟
44	من الذي يقوم بعملية الختان؟
۳٠	ما هي عواقب عملية الختان؟
۲۱	ما هي المشاكل النفسية المترتبة على الختان؟
44	ما هي المضاعفات الجنسية للختان؟ما
٣٥	ما الذي يقوله العالم ومنظماته؟
٢٦	شهادة طبيب مصرى؟
٣٩	الفصل الرابع: الحتان كيف أصبح قضية صالمية
49	هكذا أصبح الختان قضية عالمية
٤٣	الختان قضية ساخنة الختان
٤٥	الختان وحقوق الإنسان وحقوق الطفل
	الهيثات والمنظمات والمجموعات الدولية وغير الحكومية
٤٧	المناهضة للختان

۱ د	نماذج صارخة لفتت الأنظار إلى الختان
	ومن الختان في مصر ما قتل
9 0	الفصل الخامس : الختان الجهود المبذولة في قارات الدنيا للقضاء عليه
09	مقدمة
09	الختان في أفريقيا
٧٠	الختان في مصر
٧٧	الختان في أوروبا
۸۰	الختان في آسيا
۸۱	الختان في الولايات المتحدة الأمريكية
۸٥	الفصل السادس :التشريع كجزء من الحملة ضد الختان
۸٧	مـصـر والـتشـريـعـات
	ختان الأنثى في ضوء قواعد المسئولية الجنائية والمدنية في
۸۸	القانون المصرى
9.8	ختان الإناث جريمة معاقب عليها بالسجن
97	ختان البنات لیس سوی جریمة
99	قضية ختان الإناث أمام المحاكم المصرية
٠٦	الدول تصدر تشريعات بوقف الختان
149	الفصـل السابع : الختـان والدينا
٠٩	الختان وحكم الشرع الإسلامي
11	الختان اتباع لألاعيب الشيطان
119	الختان من منظور التاريخ والدين المسيحي
371	الختان يثير الجدال بين الأقباط أيضا
177	الختان من منظور اليهودية
۸۲۸	الختان والدين على الصفحات المطبوعة
۱۳۰	كلمة أخيرة في علاقة الختان بالدين
۱۳۱	لفصل المشامن : الحتان والموروث السئقاني
144	مفارقة صعبة

۱۳۳	النساء من أسباب المشكلة
178	ماذا يقول العالم في هذا الصدد؟
۲۳۱	كلمتي الأخيرة في الموروث الثقافي للختان
139	الفصل الستاسع : الختان ورأى المصريسين فيه
139	مـقـــــــــــــــــــــــــــــــــــ
18.	استطلاع رأى المصريين
127	استطلاع رأى المصريات
104	الفصل العاشر : كلمة أخيرة حاسمة من أطباء أمراض النساء والولادة
107	موقف الجمعية المصرية لأمراض النساء والولادة في أكتوبر ١٩٩٦
171	ماذا يقول المدافعون عن الختان؟
۱٦٣	اتفق الفقهاء على ختان البنات
777	خــاتمـــة
179	



onverted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

رقم الإيداع ٥٩ ٠ ١ / ٩٨ الترقيم الدولي 4 - 0486 - 09 - 977 verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

### مطابع الشروق...

القاهرة ۸۰ شارع سيبويه المصرى ـ ت.٤٠٢٣٩٩ ـ فاكس:٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢) بيروت : ص.ب: ٨٠٤٦٤ ـ هاتف : ٨١٧٢١٣ ـ فاكس : ٨١٧٧٦٥ (١٠)



# البَّرْ النَّنَاسُلِيّ لَلِانَاتُ البَّنَانُ البَّنَانُ البَنْسَانُ البِنْسَانُ

يجيب المؤلف في هذا الكتاب عن الأسئلة الحرجة التي مازالت مطروحة حتى الآن، ويدحض الافتراءات التي لم يبأس البعض من ابدائها.

واراتكر المؤلف على كل ما تبسر له من بحوث ودراسات وقرارات في كل أنحاء العالم، الإعداد مادة هذا الكتاب، وبكل اللايمتراطية أفسح جانبا من هذا الكتاب الأولئك اللاين بدافعون عن الختان، حتى الا تكون الصورة تاقصة في أي من ملامحها.

واخيرا.. قان هذا الجهد المخلص الذي قام به المؤلف ساهم في إلقاء شوء كاشف على كل جواتب القضية، اللي رأى أن في استمرارها على أرض مصر عارا على جبين كل مناء وإهدارا لكرامة أنثى بريشة، هي هي النهاية أم، أو أخت، أو ابنة لكل مصرى،

حار الشروقت

التلجية على المحركة المحركة والمثالثين على المحركة المحركة المحركة على المحركة المحرك